فقد جاء أشراطها

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

الطبعة الثانية

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

رمادي للنشر

ص.ب: ٧٤٨٦ - الدمام: ٣١٤٦٢ - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٨٣٣٧٧٧٠ - فاكس: ٨٣٤٩٨٤٦ - ترخيص رقم: ٤٥٠٥/د

المؤتمن للتوزيع

ص.ب: ٦٩٧٨٦ - الرياض: ١١٥٥٧

الرياض - ت: ٤٦٤٦٦٨٨ - ف: ٤٦٤٢٩١٩ - الدمام - ت: ٨٢٦٤٢٨٢ - ف: ٨٢٦٤٢٨٢
القصيم - ت: ٣٦٤٤٨١٥ - ف: ٣٦٤٤٨١٥ - جدة - ت: ٦٨٧٣٥٤٧ - ف: ٦٨٧٣٥٤٧

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فقد جاء أشراطها

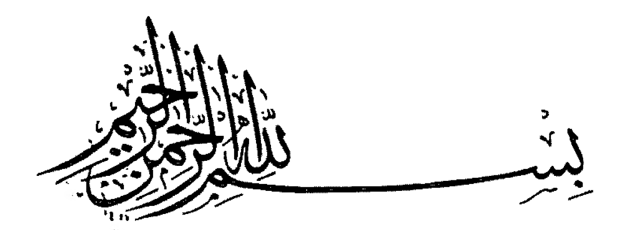
تأليف

محمود عطية محمد علي

قدم له

الشيخ حسين العوايشة

رمادي للنشر


بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

تقـــديـم

بقلم الشيخ حسين بن عودة العوايشة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعـوذ بالله من شـرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلَه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيها الّذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمـون﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿يـا أيها النـاس اتقوا ربكم الـذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منهـا زوجها وبَثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الّذي تساءلون به والأرحـام إنّ الله كان عليكم رقيباً﴾ [النساء : ١] .

﴿يا أيها الّذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً . يصلح لكم أعمـالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسولـه فقد فـاز فوزاً عـظيماً﴾ [الأحـزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

فـإن أصدق الحـديث كتاب الله، وخيـر الهدى هـدى محمد صلّى الله عليه وسلّم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة .

وبعـــد :

فهذا كتاب بديع في أشراط الساعة للشيخ الفاضل محمود عطية (حفظه الله تعالى) بذل فيه جهداً طيباً، وقد أعطى فيه دروساً في (مسجد البحيرة) في

الشارقة/ الإمارات العربية) لاقت إقبالاً شديداً .

والشيخ يدعو دائماً إلى تصحيح العقيدة والمنهج والسلوك، فكان كتابه هذا من ثمرته أن يتحرى فيه الثابت الصحيح ويذر السقيم الضعيف، ويتبع فيه منهج السلف الصالح ويتلقى عن علمائه الأفاضل .

وقام بترتيب أبواب الكتاب ترتيباً منظماً وفق حوادث أشراط الساعة؛ مما يزيد القارىء الكريم شوقاً إلى إتمام الكتاب .

والشيخ ذو أُسلوب سَهْل شَيّق، إذا كان في محاضرة أو خطبة أو موعظة أو توجيه، فإنه يفيد العالم وطالب العلم والعامِّيّ في آن واحد .

وله مباحثُ قيِّمة ورسائل نافعة في التربية وتزكية النَّفس يلمس من اطلع عليها قدراته الطيبة وتميّزه في ذلك، وأسأل الله أن يعجل في إخراجها إلى عالم المطبوع؛ وأسأله سبحانه أن يتقبل من الشيخ الفاضل هذا العمل الجليل وأن يجزيه خير الجزاء على نَفَسه الطيب فيه ـ مع ما يُعانيه من ضيق الوقت، وأسأله سبحانه أن ينفع به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إنّه السميع العليم .

كتبه

حسين بن عودة العوايشة

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمونَ﴾[1].

﴿يا أَيُّهـا النَّـاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثيراً ونِساءً واتَّقوا اللهَ الَّذي تَساءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقيباً﴾[2].

﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقوا اللهَ وقُولوا قَوْلاً سَديداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُم ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللهَ ورسولَه فقد فازَ فوزاً عَظيماً﴾[3].

أما بعد:

---

(١) آل عمران: ١٠٢

(٢) النساء: ١

(٣) الأحزاب: ٧٠ - ٧١

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[1].

وبعد:

فإن الإيمان بالغيب هو أساس الإيمان ـ إن لم يكن الإيمان كلّه ـ، ذٰلك أن أركان الإيمان جلّها مغيَّبات، ومن ذٰلك الإيمان باليوم الآخر.

ولقد بيَّن الله عزَّ وجلَّ في كتابه أن هٰذا اليوم آتٍ لا ريب فيه؛ قال تعالى:

﴿ومَا خَلَقْنا السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما إلَّا بالحَقِّ وإنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَميلَ﴾[2].

وبيَّن عز وجل أن الإيمان بالغيب ـ ومنه الإيمان باليوم الآخر ـ من صفات المتقين، فقال عز وجل:

﴿الٓمٓ . ذٰلك الكِتابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدىً للمُتَّقينَ . الَّذينَ يُؤمِنونَ بالغَيْبِ يُقيمونَ الصَّلاةَ ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقونَ . والَّذينَ يُؤمِنونَ بما أُنْزِلَ إليكَ ومَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنونَ . أُولٰئكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وأُولٰئكَ هُمُ المُفْلِحونَ﴾[3].

ولقد وضح لنا رسول الله ﷺ أن بين يدي هٰذا اليوم علامات وأشراط، منها عشر كبرى ستظهر تباعاً، وبانتهائها ـ وفي وقت لا يعلمه إلا الله ـ يأذن عز

---

(1) أي: صاحبها.

تنبيه: تسمى هـذه الخطبة عند العلماء بخطبة الحاجة، وهي تشرع بين يدي كل خطبة، ايّاً كانت، ولشيخنا ناصر السنة وقامع البدعة محمد ناصر الدين الألباني رسالة خاصة بذٰلك طبع المكتب الإسلامي، فلتراجع.

(2) الحجر: ٨٥.

(3) البقرة: ١ ـ ٥.

وجل بتغير العالم إيذاناً بقيام الساعة

ولما كان الناس في غفلة شديدة عن هٰذا اليوم، وهم كما وصفهم ربهم في غفلة وإعراض عنه، لا يعملون استعداداً له، فقال عزَّ وجل:

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وهُمْ في غَفْلَةٍ مُعْرِضونَ﴾[1].

ومن باب التذكير والتحذير؛ فقد بدأت منذ فترة بإلقاء سلسلة من المحاضرات عن أشراط الساعة وعلاماتها، وكانت أسبوعية، ثم توقفت فترة، وعدت مرة أخرى لإلقائها ولكن كل شهر، وذلك بسبب ظروف العمل.

وخلال ذٰلك كان الكثيرون من الإخوة يلحُّون علي أن أجمع هٰذه المحاضرات في كتاب، وكنت أعدهم خيراً، على الرغم من أنَّني من ذٰلك الصنف من الناس الذي لا يميل للكتابة.

وتوالت الأيام، وإذا بي أفاجأ باتصال تليفوني من عمان من الأخ نظام سكجها صاحب المكتبة الإسلامية هناك مفاده أنه سمع أن لي بعض النشاطات في مجال إلقاء محاضرات في مواضيع شتى، ومنها أشراط الساعة، وحثني على مباشرة الكتابة؛ ليتمَّ نشرها في أقرب فرصة، فوعدته خيراً بأن يتم ذٰلك بعد عودتي من موسم حج عام ١٩٨٩م.

ولما عدت إلى أهلي سالماً ـ والحمد لله وحده على ذلك ـ؛ شمرت عن ساعد الجد، وبدأت بجمع ما توافر عندي من المحاضرات، وقطعت شوطاً بعيداً في تنسيقها وترتيبها استعداداً لطبعها.

وانتهت الإجازة الصيفية، وبدأ العام الدراسي، وتوقَّفت الكتابة أو كادت، ذلك أن العمل في التدريس صعب وشاقٌّ، ومهامُّه لا حصر لها، فكنت لا أكاد

(١) الأنبياء: ١.

أجد متَّسعاً للنوم والراحة من الإرهاق والتعب أو القيام بالواجب تجاه الأهل والولد.

ومع كثرة الواجبات وتشعُّبها كنت أغتنم بعض أيام الإجازات الطارئة وإجازة منتصف العام لاستئناف الكتابة، حتى تمَّ إنجاز الكتاب والحمد لله.

وها هو موسم حج عام ١٩٩٠ على الأبواب، أي أن كتابة هٰذا الكتاب قد استغرقت عاماً كاملاً، والحمد لله، وأرجو أن أنتهي منه قبل بدء الموسم؛ لأنني أريد أن أحج هٰذا العام إن شاء الله أنا وزوجي أم عبدالرحمٰن حفظها الله.

* * * * *

ملاحظات حول الكتاب

ولتسهيل مهمة القارىء، ولتكون الفائدة من مطالعة الكتاب كبيرة؛ فهناك أمور لا بدَّ من توضيحها للقارىء؛ ليوفر وقته في معرفة هٰذه الأمور، ولتتضح له بعض جوانب الغموض حول ما يكتب في الحاشية أحياناً.

وهٰذه هي الملاحظات:

١ ـ قسمت الكتاب إلى قسمين، تحدثت في القسم الأول منهما عن بعض الحقائق اليقينية التي يجب على كل أحد معرفتها؛ كوقت قيام الساعة، وأنه مما استأثر الله عز وجل بعلمه، والاستعدا لها بالعمل لا بالتواكل والانتظار، واقتران الساعة لعظم أمرها ببعض أسماء الله الحسنى.

وتحدثت في القسم الثاني عن أشراط الساعة؛ مقسماً إياها إلى سماوية وأرضية، بغض اسظر عن كونها صغرى وكبرى، ولكني أشرت وأنا أتحدث عنها إلى كونها صغرى أو كبرى معتادة أو خارقة للعادة.

٢ ـ كثيراً ما أردد كلمة (شيخنا)، وحيث وردت من خلال كلامي؛ فالمقصود: شيخنا، حافظ الوقت، محدِّث العصر، ناصر السنة وقامع البدعة، محمد ناصر الدين الألباني، حفظه الله.

٣ ـ التعليقات التي أنقلها وأعزوها لمصدر ما؛ فالعهدة فيها على صاحب التعليق أيّاً كان، وقد أوضحت ذٰلك من خلال عزو كل ما نقلت إلى صاحبه، مع ذكر الكتاب ورقم الصفحة، كما أنني من خلال فهارس المراجع ذكرت طبعة الكتاب ودار النشر ما استطعت إلى ذٰلك سبيلاً.

وإذا وجد القارىء تعليقاً نسيت أن أعزوه لصاحبه؛ فليدع الله أن يغفر

لي، وليتذكر أن «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»[1].

٤ ـ أرقام الأحاديث التي أعزوها لبعض كتب شيخنا كـ «صحيح ابن ماجه»، و«صحيح الترمذي»؛ إنما هي أرقام الأحاديث الصحيحة في هٰذا الكتاب، وليس لرقم الحديث في «سنن ابن ماجه» الأصل، فالذي يطالع هٰذه الكتب يجد أن أمام كل حديث رقمان، أحدهما رقمه في هٰذا الكتاب، والآخر رقمه في الكتاب الأصلي.

٥ ـ يحدث أحياناً أن أستفيض في شرح أمر ما لبيان كثير من الأمور التي تلتبس على الناس.

فمثلاً؛ أسهبت في الحديث عن موضوع الفتن مركِّزاً على إزالة كثير من الشبهات التي يحاول مَن لا خلاق لهم أن يلصقوها بذٰلك الجيل الطاهر أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم أجمعين.

٦ ـ خلال الحديث عن بعض أشراط الساعة يرد في الدليل الذي أسوقه بعض الأشراط، فلا أعيد الكلام عليها استقلالاً؛ إلا أحياناً.

وقد أسوق الحديث الذي يحتوي على أكثر من شرط من أشراط الساعة؛ مستشهداً به على أحد هٰذه الأشراط، وذٰلك لوجود أحاديث أخرى يستشهد بها على تلك الأشراط.

٧ ـ اعتمدت فيما أوردته من الأحاديث على كتب الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وعلى كتب شيخنا حفظه الله وغير ذٰلك من الكتب، ولأن بضاعتي في الحديث مزجاة، ولست من أهل التصحيح والتضعيف؛ فقد اعتمدت على تصحيحهما وتضعيفهما للأحاديث، والعهدة في ذٰلك عليهما، غير أن معظم ما

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٤٣٩١)، وهو حديث حسن.

أثبته من الأحاديث خارج الصحيحين قد صححه غير واحد من الأئمة الحفاظ، ولم أثبت أي حديث إلا بعد أن فتشت عليه في مصادره التي يُعزى إليها إن كانت متوفرة عندي.

٨ ـ أعددت في آخر الكتاب مجموعة من الفهارس لتسهيل الرجوع لأي موضوع أو آية أو حديث، وهٰذه مجموعة الفهارس:

أ ـ مواضيع الكتاب.

ب ـ الآيات القرآنية.

ج ـ الأحاديث الصحيحة المرفوعة.

د ـ الأحاديث الموقوفة والآثار.

هـ ـ الأحاديث الضعيفة.

و ـ المراجع.

ز ـ كتب ننصح بقراءتها.

وكنت أرغب أن أكتب ملحقاً بتخريج الأحاديث الواردة في هٰذا الكتاب، ومن صحَّحها من الأئمة، ولكن ضيق الوقت حال دون ذٰلك، وعسى أن نوفق لذٰلك في طبعات قادمة إن شاء الله.

٩ ـ وأخيراً؛ فإن اختيار اسم للكتاب بقي محل أخذ وردٍّ، حتى استقر الرأي فترة من الزمن ـ وبناء على استشارة الأخوة ـ أن يكون الاسم «بل الساعة موعدهم»، ولكن أخي في الله حسين العوايشة حفظه الله بعد فترة أثار اعتراضاً رأيته وجيهاً، وهو أن قارىء العنوان قد يتوهم أن موضوع الكتاب عمَّا بعد الساعة من مواقف وأهوال حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، فجلت بخاطري، وقررت بعون الله أن أسميه: «فقد جاء أشراطها»؛ فهو في غاية الوضوح، ويدلُّ على موضوع الكتاب.

وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم ألقاه ، كما أسأله عز وجل أن يجعله في ميزان حسنات أخي في الله حامد خوري الذي كان له الفضل بعد الله عز وجل في تزويد مكتبتي الخاصة بمعظم ما تحتاجه من كتب ومصادر على نفقته الخاصة .

كما أسأله عز وجل أن يجعله في موازين حسنات كل من استفدنا من علمهم من السابقين والمتأخرين ؛ إنه سميع مجيب .

الفقير إلى الله والراجي عفوه

محمود عطية محمد علي

* * * * *

المبحث الأول

حقائق بين يدي الموضوع

هناك حقائق لا بدَّ أن تكون راسخة في ذهن كل واحد منا وهو يتحدث عن الساعة وأشراطها، فمعرفة هٰذه الحقائق تجعل العبد في خشية وإشفاق من الساعة، وتجعله يستعد لها استعداداً يليق بها، حتى يكون من الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر.

ومن هذه الحقائق اليقينية:

أولاً:

الآيات والأحاديث الدالة على وقت الساعة وقيامها تدلُّ دلالة قاطعة على أن الله عز وجل استأثر بعلمها، فلم يطلع على ذلك ملكاً مقرَّباً ولا نبيّاً مرسلاً:

قال تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ في السَّماواتِ والأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عنها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللهِ ولٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمونَ﴾[1].

قال ابن كثير:

«أمر تعالى رسوله ﷺ إذا سُئل عن وقت الساعة؛ أن يردَّ علمها إلى الله تعالى؛ فإنه هو الذي يجلِّيها لوقتها؛ أي: يعلم جليَّة أمرها، ومتى يكون على التحديد، لا يعلم ذٰلك إلا هو تعالى، ولهٰذا قال: ﴿ثَقُلَتْ في السَّماواتِ

(١) الأعراف: ١٨٧.

والأرْضِ﴾؛ قال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة في قوله: ﴿ثَقُلَتْ في السَّماواتِ والأرْضِ﴾؛ قال: ثقُل علمها على أهل السماوات والأرض أنهم لا يعلمون، واختار هٰذا القول ابن جرير رحمه الله»[1]، ووافقهما ابن كثير[1].

وقال تعالى:

﴿ولِلهِ غَيْبُ السَّماواتِ والأرْضِ ومَا أمْرُ السَّاعَةِ إلَّا كَلَمْحِ البَصَرِ أوْ هُوَ أقْرَبُ إنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾[2].

قال ابن كثير:

«يخبر تعالى عن كمال علمه وقدرته على الأشياء في علمه غيب السماوات والأرض، واختصاصه بعلم الغيب، فلا اطلاع لأحد على ذٰلك؛ إلا أن يُطلعه تعالى على ما يشاء، وفي قدرته التامَّة التي لا تخالف ولا تمانع، وأنه إذا أراد شيئاً؛ فإنما يقول له كن فيكون؛ كما قال: ﴿ومَا أمْرُنَا إلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بالبَصَرِ﴾[3]؛ أي: فيكون ما يريد كطرف العين، وهٰكذا قال ها هنا: ﴿ومَا أمْرُ السَّاعَةِ إلَّا كَلَمْحِ البَصَرِ أوْ هُوَ أقْرَبُ إنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾؛ كما قال: ﴿مَا خَلْقُكُمْ ولا بَعْثُكُمْ إلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ ما في الأرْحَامِ ومَا تَدْري نَفْسٌ مَاذا تَكْسِبُ غَداً وما تَدْري نَفْسٌ بأيِّ أرْضٍ تَموتُ إنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ﴾[5]».

(١، ١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٧١ ـ ط المعرفة)

(٢) النحل: ٧٧.

(٣) القمر: ٥٠.

(٤) لقمان: ٢٨.

(٥) لقمان: ٣٤.

قال ابن كثير:

«هٰـذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها، فلا يعلمها أحدٌ إلا بعد إعلامه تعالى بها، فعِلْمُ وقت الساعة لا يعلمه نبيٌّ مرسل ولا ملك مقرَّب»(١).

وقال أيضاً:

«قال قتادة: أشياء استأثر الله بهنَّ، فلم يطلع عليهنَّ ملكاً مقرَّباً ولا نبيّاً مرسلاً: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، فلا يدري أحدٌ من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو في أي شهر أو ليل أو نهار...»(٢).

وقال تعالى:

﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها . فيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها . إلى رَبِّكَ مُنْتَهاها . إنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها . كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها﴾(٣).

قال ابن كثير:

«أي: ليس علمها إليك، ولا إلى أحد من الخلق، بل مردُّها ومرجعها إلى الله عزَّ وجلَّ؛ فهو الذي يعلم وقتها على التعيين»(٤).

هٰذه بعض الآيات التي تدل على أن الله عزَّ وجل استأثر بعلم وقت الساعة، وهي غيض من فيض.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣ / ٤٥٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣ / ٤٥٥).

(٣) النازعات: ٤٢ ـ ٤٦.

(٤) «تفسير ابن كثير» (٤ / ٤٦٩).

وهناك الكثير من الآيات التي تبين قرب قيام الساعة، أو أنها ستأتي بغتة والناس عنها غافلون أو معرضون، وأذكر بعض هٰذه الآيات:

قال تعالى:

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[1].

قال ابن كثير:

«يقول تعالى مخبراً عن خسارة من كذب بلقائه وعن خيبته إذا جاءته الساعة بغتة وعن ندامته على ما فرَّط من العمل وما أسلف من قبح الفعل»[2].

وقال تعالى:

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[3].

قال ابن كثير:

«أي: أفأمن هٰؤلاء المشركون بالله أن يأتيهم أمر يغشاهم من حيث لا يشعرون»[4].

وقال تعالى:

---

(١) الأنعام: ٣١.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢ / ١٢٨).

(٣) يوسف: ١٠٧.

(٤) «تفسير ابن كثير» (٢ / ٤٩٥).

﴿اقْتَرَبَ للنَّاسِ حِسابُهُمْ وهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضونَ﴾[1].

قال ابن كثير:

«هٰذا تنبيه من الله عزَّ وجلَّ على اقتراب الساعة ودنوها، وأن الناس في غفلة عنها؛ أي: لا يعملون لها، ولا يستعدون من أجلها»[2].

وقال تعالى:

﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلوهُ سُبحانَهُ وتَعالى عَمَّا يُشْرِكونَ﴾[3].

قال ابن كثير:

«يخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوِّها معبراً بصيغة الماضي الدال على التحقيق والوقوع لا محالة»[4].

وقال تعالى:

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾[5].

قال ابن كثير:

«يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها»[6].

ومن الأحاديث الدالَّة على أن الله استأثر بعلم وقت الساعة:

ـ ما رواه أحمد والبخاري عن ابن عمر:

---

(١) الأنبياء: ١.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣ / ١٧٢).

(٣) النحل: ١.

(٤) «تفسير ابن كثير» (٢ / ٥٦٠).

(٥) القمر: ١.

(٦) «تفسير ابن كثير» (٤ / ٣٦٠).

«مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله تعالى : لا يعلم أحد ما يكون في غد إلا الله تعالى ، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام إلا الله تعالى ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله تعالى ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله تعالى ، ولا يدري أحد متى يجيء المطر إلا الله تعالى»(١).

ورواه أحمد والشيخان عن أبي هريرة، وأحمد والبخاري عن ابن عمر، وأحمد والروياني عن بريدة :

«خمس لا يعلمهن إلا الله : ﴿إِنَّ اللهَ عِنْـدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ مَا في الأرْحَامِ ومَا تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً وما تَدْري نَفْسٌ بأَيِّ أَرْضٍ تَموتُ إِنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ﴾(٢)»(٣).

قال المناوي :

«(خمسٌ لا يعلمهنَّ إلا اللهُ) على وجه الإحاطة والشمول كليّاً وجزئيّاً، فلا ينـافيه إطـلاع الله بعض خواصه على كثير من المغيبات، حتى من هٰذه الخمس؛ لأنها جزئيات معدودة، وإنكار المعتزلة لذٰلك مكابرة.

﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ؛ أي : تعيين وقت قيامها»(٤).

قال الحافظ في «الفتح» :

«قال القرطبي : لا مطمع لأحد في علم شيء من هٰذه الأمور الخمسة؛ لهٰذا الحديث، وقد فسَّر النبي ﷺ قول الله تعالى : ﴿وعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ لا

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني حفظه الله (رقم ٥٧٦٠).

(٢) لقمان : ٣٤.

(٣) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني حفظه الله (رقم ٣٢٥٠).

(٤) «فيض القدير» (٣ / ٤٥٨).

﴿يَعْلَمُها إلَّا هُوَ﴾ بهٰذه الخمس، وهو في الصحيح. قال: فمن ادَّعى علم شيء منها غير مسنده إلى رسول الله ﷺ؛ كان كاذباً في دعواه»[1].

قال القرطبي:

«وقال ابن عباس: هٰذه الخمسة لا يعلمها إلا الله تعالى، ولا يعلمها ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل، فمَن ادَّعى أنه يعلم شيئاً من هٰذه؛ فقد كفر بالقرآن؛ لأنه خالفه»[2].

ــ وما رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه عن جابر:

«أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أتتكُمُ الساعة بغتةً، بعثت أنا والساعة هكذا، صبَّحتكم الساعة ومستكم، أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، مَن ترك مالاً؛ فلأهله، ومَن ترك ديناً أو ضياعاً؛ فإليَّ وعليَّ وأنا وليُّ المؤمنين»[3].

قال المناوي:

«(صبَّحتكم الساعة ومسَّتكم)؛ أي: توقَّعوا قيامها، فكأنكم بها وقد فجأتكم على بغتة صباحاً أو مساء، فبادروا إلى التوبة؛ لتسقط عنكم المعاصي، وازهدوا في الدنيا؛ ليخف حسابكم، وتذكَّروا الآخرة وأهوالها، وما هو إلا من نفس إلى نفس، فتصيرون إليها ﴿إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين﴾[4]»[5].

---

(١) «فتح الباري» (١ / ١٢٣ - ١٢٤).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٤ / ٨٢).

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ١٣٦٥).

(٤) الأنعام: ١٣٤.

(٥) «فيض القدير» (٢ / ١٧٢).

ـ وما رواه الحاكم عن ابن مسعود؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله جعل الدنيا كلها قليلاً، وما بقي منها إلا القليل من القليل، ومثل ما بقي من الدنيا كالثغْب ـ يعني: الغدير ـ شُرب صفوه وبقي كدره»[1].

قال المناوي:

«يعني: أن مثل الدنيا كمثل حوض كبير مليء ماء، وجعل مورداً للأنام والأنعام، فجعل الحوض ينقص على كثرة الوارد، حتى لم يبق منه إلا وشلٌ[2] كدرٌ في أسفله بالت فيه الدوابّ وخاضت فيه الأنعام، فالعاقل لا يطمئن إلى الدنيا ولا يغترُّ بها بعدما اتضح له أنها زائلة مستحيلة، وأنه قد مضى أحسنها، وأنها وإن ساعدت مدة؛ فالموت لا محالة يُدرك صاحبها ويخترمه»[3].

وهناك أحاديث كثيرة غير ما ذكرت، سأوردها إن شاء الله تعالى في مواطن أخرى من الكتاب.

ثانياً:

الإيمان بالساعة جزء من الإيمان باليوم الآخر، والإيمان باليوم الآخر جزء من الإيمان بالغيب، ومن صفات المؤمنين المتَّقين الإيمان بالغيب والإشفاق من الساعة، ومن صفات الكافرين التكذيب بها والقول على الله فيها بغير علم.

قال تعالى:

﴿ولَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وهَارُونَ الفُرْقَانَ وضِياءً وذِكْرى للمُتَّقِينَ . الَّذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بالغَيْبِ وهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقونَ﴾[4].

---

(١) هو في «صحيح الجامع» (رقم ١٧٣٣).

(٢) الوشل: الماء القليل يتحلَّب من جبل أو صخرة، ولا يتصل قطره. «المعجم الوسيط».

(٣) «فيض القدير» (٢ / ٢٢١). (٤) الأنبياء: ٤٨ و٤٩.

قال ابن كثير:

«﴿وذِكْـرى للمُتَّقينَ﴾؛ أي: تذكيراً لهم وعـظة، ﴿وهُمْ مِنَ السَّـاعَـةِ مُشْفِقونَ﴾؛ أي: خائفون وجلون»[1].

وقال تعالى:

﴿اللهُ الَّذي أَنْزَلَ الكِتابَ بالحَقِّ والميزانَ ومَا يُدْريكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَريبٌ . يَسْتَعْجِلُ بها الَّذينَ لاَ يُؤمِنُونَ بِها والَّذينَ آمَنُوا مُشْفِقونَ مِنْها ويَعْلَمونَ أَنَّها الحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذينَ يُمارونَ في السَّاعَةِ لَفي ضَلالٍ بَعيدٍ﴾[2].

قال ابن كثير:

«﴿ومَا يُدْرِيكَ لعَلَّ السَّاعةَ قَرِيبٌ﴾: فيه ترغيب فيها وترهيب منها وتزهيد في الدنيا، ﴿يَسْتَعْجِلُ بِها الَّذينَ لا يُؤمِنُونَ بِها﴾؛ أي: يقولون: متى هٰذا الوعد إن كنتم صادقين، وإنما يقولون ذٰلك تكذيباً واستبعاداً وكفراً وعناداً، ﴿والَّذينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنهـا﴾؛ أي: خائفـون، وجلون من وقوعها، ﴿ويَعْلَمونَ أَنَّها الحَقُّ﴾؛ أي: كائنة لا محالة، فهم مستعدون لها، عاملون من أجلها، ﴿أَلا إِنَّ الَّذينَ يُمارُونَ في السَّاعةِ﴾؛ أي: يجادلون في وجودها ويدفعون وقوعها ﴿لَفي ضَلالٍ بعيد﴾؛ أي: في جهل بيِّن؛ لأن الذي خلق السماوات والأرض قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى، كما قال تعالى: ﴿وهُو الَّذي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وهُو أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[3]»[4].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣ / ١٨١).

(٢) الشورى: ١٧ و١٨.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤ / ١١٠).

(٤) الروم: ٢٧.

وقال تعالى:

﴿ودَخَلَ جَنَّتَهُ وهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ مَا أَظنُّ أَنْ تَبيدَ هٰذهِ أَبداً ۝ ومَا أَظنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ولئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لأجِدَنَّ خَيْراً مِنها مُنْقَلَباً﴾[1].

قال ابن كثير:

«وقوله: ﴿ودَخَلَ جَنَّتَهُ وهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾؛ أي: بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد، ﴿قالَ مَا أَظنُّ أَنْ تَبيدَ هٰذهِ أَبداً﴾، وذٰلك اغترار منه، لمَّا رأى فيهما من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطَّردة في جوانبها وأرجائها؛ ظنَّ أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف، وذٰلك لقلَّة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة، ولهٰذا قال: ﴿ومَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائمَةً﴾؛ أي: كائنة، ﴿ولئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لأجِدَنَّ خَيْراً مِنها مُنْقَلَباً﴾؛ أي: ولئن كان معادٌ ورجعةٌ ومردٌّ إلى الله؛ ليكونن لي هناك أحسن من هٰذا الحظ عند ربي، ولولا كرامتي عليه؛ ما أعطاني هٰذا»[2].

وقال تعالى:

﴿وقالَ الَّذينَ كَفَروا لا تَأْتِينا السَّاعَةُ قُلْ بَلى ورَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ في السَّماواتِ ولا في الأرْضِ ولا أَصْغَرُ مِنْ ذٰلك ولا أَكْبَرُ إلاَّ في كِتابٍ مُبينٍ﴾[3].

قال ابن كثير:

«هٰذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهنَّ مما أمر الله تعالى رسوله

---

(١) الكهف: ٣٥ و٣٦.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣ / ٨٣).

(٣) سبأ: ٣.

ﷺ أن يقسم بربِّه العظيم على وقوع المعاد لمَّا أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد:

فإحداهن في سورة يونس عليه السلام، وهي قوله تعالى: ﴿ويَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي ورَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ومَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[1].

والثانية هٰذه: ﴿وقالَ الَّذينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينا السَّاعَةُ قُلْ بَلى ورَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

والثالثة في سورة التغابن، وهي قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذينَ كَفَروا أَنْ لَنْ يُبْعَثوا قُلْ بَلَى ورَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ وذٰلكَ عَلى اللهِ يَسيرٌ﴾[2]»[3].

وروى أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد ـ واللفظ للترمذي ـ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«وكيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ؟!»، فكأن ذٰلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم:

«قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»[4].

هٰؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، سمعوا بقرب قيام الساعة، فانخلعت قلوبهم، وارتجفت أوصالهم، وثقل الأمر عليهم، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يجأروا إلى الله بالدعاء ويتوكلوا عليه.

وروى الترمذي والحاكم وغيرهما عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله

---

(١) يونس: ٥٣.

(٢) التغابن: ٧.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣ / ٥٢٥).

(٤) وهو في «صحيح الترمذي» لشيخنا الألباني (٢ / ٢٩٢ / رقم ١٩٨٠).

ﷺ :

«من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»[1].

قال المناوي:

«(ومن أدلج بلغ المنزل)؛ يعني: من خشي الله؛ أتى منه كل خير، ومن أمن؛ اجترأ على كل شرٍّ، كذا في «الكشاف»، وقال في «الرياض»: المراد التشمير في الطاعة، وفي «الترغيب»: معناه: من خاف؛ ألزمه الخوف السلوك إلى الآخرة والمبادرة بالعمل الصالح؛ خوف القواطع والعوائق، ثم قال: والأظهر أنه ضرب مثلاً لكل من خاف الردى أو فوت ما يتمنى أن يصل إلى السير بالسرى ولا يركن إلى الراحة والهوى حتى يبلغ المنى.

(ألا إن سلعة الله غالية)؛ أي: رفيعة القدر، (ألا إن سلعة الله الجنَّة).

قال الطيبي: هذا مثل ضربه لسالك الآخرة؛ فإن الشيطان على طريقه، والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه، فإن تيقَّظ في سيره وأخلص في عمله؛ أمن من الشيطان وكيده.

وقال العلائي: أخبر أن الخوف من الله هو المقتضي للسير إليه بالعمل الصالح، والمشار إليه بالإدلاج، وعبَّر ببلوغ المنزلة عن النجاة المترتبة على العمل الصالح، وأصل ذلك كله الخوف»[2].

وروى أحمد والترمذي والحاكم عن أبي؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل؛ قام فقال:

---

(1) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٦٠٩٨).

(2) «فيض القدير» (٦ / ١٢٣).

«يا أيها الناس! اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة[1]، تتبعها الرادفة[2]، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه».

قال أُبيّ: فقلت: يا رسول الله! إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت». قلت: الربع؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك». قلت: فالنصف؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير». قلت: فالثلثين؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير». قلت: أجعل لك صلاتي كلَّها؟ قال: «إذاً؛ تكفى همَّك، ويُغفرُ لك ذنبك»[3].

يحذر رسول الله ﷺ أصحابه وأمته بقرب الساعة، وأول ذلك النفخ في الصور نفختان هما نفخة الصعق ونفخة البعث، ويحثهم على قيام الليل والإكثار من الذكر والأعمال الصالحة، فالموت على الأبواب، ومن مات انقطع عمله إلا من ثلاث، وبعد ذلك إما إلى جنة أو نار.

وروى الحاكم عن عمرو بن ميمون الأودي؛ قال:

قام فينا معاذ بن جبل، فقال: يا بني أود! إني رسول رسول الله ﷺ إليكم:

«تعلمون المعاد إلى الله، ثم إلى الجنة أو النار، وإقامة لا ظعن فيه، وخلود لا موت في أجساد لا تموت»[4].

ورواه الطبراني عن معاذ بن جبل: أن رسول الله ﷺ بعثه إلى اليمن،

---

(١) الراجفة: نفخة الصعق.

(٢) نفخة البعث.

(٣) وهو في «صحيح الترمذي» لشيخنا الألباني (٢ / ٢٩٨ / ١٩٩٩).

(٤) وهو في «السلسلة الصحيحة» لشيخنا الألباني (رقم ١٦٦٨).

فلما قدم عليهم؛ قال: يا أيها الناس! إني رسول رسول الله ﷺ إليكم يخبركم: «أن المردَّ إلى الله، إلى جنة أو نار، خلود بلا موت، وإقامة بلا ظعن»[1].

ينبه رسول الله ﷺ إلى قرب قيام الساعة، وأن المآل إلى الله عز وجل، حيث يحاسب العبد على ما قدم، فإما إلى جنة أو نار، حيث الخلود فلا موت، وحيث النعيم والعذاب جسماني، فمن سمع مثل هٰذا عن الصادق المصدوق؛ وجب أن يبادر إلى التوبة النصوح والعمل الصالح؛ ليفوز بالخلود في الجنة يوم يلقى الله.

ثالثاً:

لا تقوم الساعة إلا في يوم جمعة.

لقد أخبر رسول الله ﷺ في أكثر من حديث صحيح أن الساعة تقوم في يوم جمعة، وهٰذا من الخلال العظيمة، التي اختص الله بها يوم الجمعة، فهو خير يوم طلعت عليه الشمس، وهو سيد الأيام، وأعظمها عند الله.

روى أحمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال:

«خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنَّة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»[2].

قال المناوي:

«قال القاضي: بين الصبح وطلوع الشمس، واختصاصه بوقوع ذٰلك فيه يدلُّ على تمييزه بالخيرية؛ لأن خروج آدم فيه من الجنة سبب لوجود الذرِّيَّة الذين

---

(١) وهو في «صحيح الجامع الصغير» لشيخنا الألباني (رقم ١٩٤٢)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد» (١٠ / ٣٩٦).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٣٣٢٨).

منهم الأنبياء والأولياء وسبب للخلافة في الأرض وإنزال الكتب، وقيام الساعة سبب تعجيل جزاء الأخيار وإظهار شرفهم».

ثم قال المناوي:

«قال القاضي: وقد عظم الله هٰذا اليوم، ففرض على عباده أن يجتمعوا فيه ويعظموا فيه خالقهم بالطاعة، لكن لم يبيِّنه لهم، بل أمرهم بأن يستخرجوه بأفكارهم، وواجب على كل قبيل اتِّباع ما أدى إليه اجتهاده صواباً أو خطأً؛ كما في المسائل الاجتهادية، فقالت اليهود: هو يوم السبت؛ فإن الله فرغ من السماء والأرض فيه، فينبغي انقطاعنا عن العمل فيه والتعبد، وزعمت النصارى أنه الأحد؛ لأنه يوم بدء الخلق الموجب للشكر والتعبد، ووفق الله هٰذه الأمة للإصابة، فعيَّنوه الجمعة؛ لأن الله خلق الإنسان للعبادة، وكان خلقه يومها، فالعبادة فيه أولى؛ لأنه تعالى أوجد في سائر الأيام ما ينفع الإنسان، وفي الجمعة أوجد نفس الإنسان والشكر على نعمة الوجود[1].

وروى مالك وأحمد وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال:

«خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه قُبِض، وفيه تقوم الساعة، ما على وجه الأرض من دابَّة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مُصيخَة حتى تطلع الشمس؛ شفقاً من الساعة؛ إلا ابن آدم، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله شيئاً؛ إلا أعطاه إياه»[2].

---

(١) «فيض القدير» (٣ / ٤٩٣ - ٤٩٤).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٣٣٢٩).

قال المناوي :

«(وفيه تقـوم السـاعـة)؛ أي : يوم القيامـة، وفيه يُحاسب الله الخلق، ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

(ما على وجه الأرض من دابَّة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مصيخة)؛ أي : مصغية منتظرة لقيامها فيه.

(حتى تطلع الشمس شفقاً)؛ أي : خوفاً من قيام الساعة؛ فإنه اليوم الذي يطوى فيه العالم، ويخرب الدنيا، وتنبعث فيه الناس إلى منازلهم من الجنة والنار»[1].

وروى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أوس بن أوس؛ قال: قال رسول الله ﷺ قال:

«إن من أفضـــل أيامكم يوم الجمعـة: فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخـة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة عليَّ؛ إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[2].

قال المناوي :

«(وفيه النفخة)؛ أي : النفخ في الصور، وذلك شرف أيضاً؛ لأنه من باب نوصُّل أرباب الكمال إلى ما أُعِدَّ لهم من النعيم المقيم.

(الصعقة): هي غير النفخة»[3].

والمقصود بها النفخة الثانية، وهي نفخة الصعق.

---

(١) «فيض القدير» (٣ / ٤٩٤).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٢٢٠٨).

(٣) «فيض القدير» (٢ / ٥٣٥).

وروى أحمد وابن ماجه عن أبي لبابة بن عبدالمنذر؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر؛ فيه خمس خلال: خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفَّى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة، وما من ملك مقرَّب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهو يشفِق من يوم الجمعة أن تقوم فيه الساعة»(١).

وروى الطبراني في «الأوسط» عن أنس؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«عُـرِضت عليَّ الأيام، فعُـرِضَ عليَّ فيها يوم الجمعة، فإذا هي كمرآة بيضاء، وإذا في وسطها نكتة سوداء، فقلت: ما هٰذه؟ فقيل: الساعة»(٢).

وروى ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تطلع الشمس ولا تغرب على أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة إلا وهي تفزع يوم الجمعة؛ إلا هٰذين الثقلين: الجنُّ والإنس»(٣).

رابعاً:

الساعة تطلق وتدلُّ على الموت أو انتهاء جيل، والساعة تطلق والمراد بها القيامة.

وقد وردت أحاديث رسول الله ﷺ تبيِّن كلًّا من المعنيين:

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٢٢٧٥).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٣٨٩٥).

(٣) وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» لشيخنا الألباني (١ / ٢٩٣ / رقم ٦٩٩).

روى مسلم في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: كان رجال من الأعراب يأتون النبي ﷺ، فيسألونه عن الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول:

«إن يعش هٰذا؛ لا يدْركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم»[1].

قال الحافظ في «الفتح»:

«أطلقت في الحديث على انخرام قرن الصحابة»[2].

وقال أيضاً:

«وأطلقت أيضاً على موت الإنسان الواحد»[2].

وروى مسلم عن جابر؛ قال: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر:

«تسألوني عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة يأتي عليها مئة سنة وهي حيَّة يومئذ»[3].

والمقصود: يموت أولٰئك المخاطَبون أو ذٰلك القرن.

وروى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: متى تقوم الساعة؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ هنيهة، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة، فقال:

«إن عُمِّرَ هٰذا؛ لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة».

---

(١) وهو في «مختصر مسلم» بتحقيق شيخنا الألباني (رقم ٢٠٦٤).

(٢) «فتح الباري» (١١ / ٣٤٨).

(٣) وهو في «المشكاة» بتحقيق شيخنا الألباني (رقم ٥٥١٠).

قال أنس: ذلك الغلام من أترابي يومئذ[1].

قال شيخنا:

«المراد بالساعة هنا الموت، يعني: يموت ذلك القرن ويفنى أهله، أما حديث «من مات؛ فقد قامت قيامته»؛ فضعيف؛ كما بينته في «الأحاديث الضعيفة» (١١٦٦)»[2].

وروى أحمد والطبراني في «الكبير» عن ابن عمر؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعْبَدَ الله تعالى وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقي تحت ظلِّ رمحي، وجُعِلَ الذلُّ والصغار على مَن خالف أمري، ومن تشبه بقوم؛ فهو منهم»[3].

قال المناوي:

«(بعثت بين يدي الساعة): مستعار ممَّا بين يَدَيْ جهة الإنسان؛ تلويحاً بقربها، والساعة هنا القيامة، وأصلها قطعة من الزمان»[4].

وروى الحاكم في «الكنى» والدولابي في «الكنى» عن أبي جبيرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«بعثت في نسم الساعة»[5].

---

(١) وهو في «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٦٣).

(٢) «مختصر مسلم» (ص ٣٠٩).

(٣) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٢٨٢٨).

(٤) «فيض القدير» (٣ / ٢٠٣ و٢٠٤).

(٥) وهو في «الأحاديث الصحيحة» (رقم ٨٠٨).

قال شيخنا:

«قوله: «نسم الساعة»؛ في «النهاية»: هو من النسيم، أول هبوب الريح الضعيفة؛ أي: بعثت في أول أشراط الساعة وضعف مجيئها، وقيل: هو جمع نسمة؛ أي: بُعثت في ذوي أرواح خلقهم الله تعالى قبل اقتراب الساعة؛ كأنه قال: في آخر النشو من بني آدم»[1].

وروى أحمد والشيخان والترمذي عن أنس، وأحمد والشيخان عن سهل بن سعد: قال سهلٌ: رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام:

«بُعثتُ والساعةَ كهاتين»[2].

قال المناوي:

«قال عياض: هو تمثيل لاتصال زمنه بزمنها، وأنه ليس بينهما شيء، كما أنه ليس بينهما إصبع أخرى، ويحتمل أنه تمثيل لقُرْب ما بينهما من المدة كقرب السبابة والوسطى».

قال المناوي:

«والأرجح الأول»[3].

خامساً:

مع اقتراب الساعة يزداد بعد الناس عن ربهم.

---

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢ / ٤٦٨).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٨٢٦) بلفظ: «بعثت أنا والساعة كهاتين.

(٣) «فيض القدير» (٣ / ٢٠٢).

روى الطبراني عن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال:

«اقتربت الساعة، ولا تزداد منهم إلا بعداً»[1].

قال المناوي:

«(اقتربت الساعة)؛ أي: دنا وقت قيامها، وإذا اقتربت؛ فقد اقترب وقت ما يكون فيها من حساب وثواب وعقاب وغير ذلك ونحوه.

(إلا بعداً)؛ أي أنها كلما اقتربت ودنت؛ كلما تناسوا قربها، وعملوا عمل مَن الساعة أخذت في البعد عنه؛ لما على قلوبهم من الأكنَّة والأغطية، وعلى أبصارهم وبصائرهم من الأغشية، ووصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى أنهم غافلون عن حسابهم، ساهون عنه، لا يتفكَّرون في عاقبتهم، ولا يفطنون لما يرجع إليه خاتمة أمرهم، مع اقتضاء عقولهم أن الجزاء كائن للمحسن والمسيء، وإذا قُرِعت لهم العصا ونُبِّهوا من سِنَةِ الغفلة وفطنوا لذلك بما يُتلى عليهم من الآيات والنذر؛ أعرضوا وسدوا أسماعهم، وما تزيدهم فنون الموعظة إلا لهواً ولعباً وشحّاً وحرصاً وتناسياً للساعة، كأنها ولَّت عنهم دباراً وتناءت عنهم فراراً»[2].

وروى الحاكم وغيره عن ابن مسعود؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«اقتربت الساعة، ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصاً، ولا يزدادون من الله إلا بعداً»[3].

قال المناوي:

---

(1) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ١١٥٦).

(2) «فيض القدير» (٢ / ٥٧).

(3) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ١١٥٧).

«(اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصاً)؛ شحّاً وإمساكاً؛ لعماهم عن عاقبتها.

(ولا يزدادون من الله إلا بعداً)؛ أي: من رحمته؛ لأن الدنيا مبعدة عن الآخرة»[1].

سادساً:

على من تقوم الساعة؟

١ ـ الساعة تقوم على شرار الخلق:

روى أحمد ومسلم عن ابن مسعود؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»[2].

٢ ـ الساعة تقوم على الأسافل والرعاع من أهل الدنيا:

روى أحمد والترمذي والضياء عن حذيفة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَعَ ابنُ لُكَع»[3].

قال المناوي:

«(لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس)؛ أي: أحظاهم بطيباتها.

(لكع ابن لكع)؛ الأحمق والعبد واللئيم، وأُريد به من لا يُعرف له أصلٌ، ولا يُحمدُ له خُلُق، من الأسافل والرعاع»[4].

---

(١) «فيض القدير» (٢ / ٥٧).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٧٢٨٤).

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٣٠٨).

(٤) «فيض القدير» (٦ / ٤١٧ و٤١٨).

٣ ـ على حثالة (حفالة) الناس:

روى أحمد والبخاري عن مرداس الأسلمي؛ قال: قال النبي ﷺ:

«يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر، لا يباليهم الله بالة»[١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

«(يذهب الصالحون الأول فالأول): المراد قبض أرواحهم».

(حثالة أو حفالة)؛ قال الحافظ:

«قال الخطابي: الحثالة بالفاء وبالمثلثة: الرديء من كل شيء، وقيل: آخر ما يبقى من الشعير والتمر وأردأه».

قال الحافظ:

«وقـال ابن التين: الحثالة: سقط الناس، وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير وغيرهما.

وقال الداودي: ما يسقط من الشعير عند الغربلة، ويبقى من التمر بعد الأكل.

(لا يباليهم الله بالة): قال الخطابي: أي: لا يرفع لهم قدراً، ولا يُقيم لهم وزناً»[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

«قال ابن بطال: في الحديث أن موت الصالحين من أشراط الساعة، وفيه

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٩٣٤).

(٢) «فتح الباري» (كتاب الرقاق، ١١ / ٢٥٢)

الندب إلى الاقتداء بأهل الخير، والتحذير من مخالفتهم؛ خشية أن يصير مَن خالفهم ممَّن لا يعبأ الله به، وفيه أنه يجوز انقراض أهل الخير في آخر الزمان حتى لا يبقى إلا أهل الشر، واستُدِل به على جواز خلوِّ الأرض من عالم حتى لا يبقى إلا أهل الجهل صرفاً»[1].

قلت: أهل الخير هم أهل العلم بالكتاب والسنة والعاملون بما فيهما.

٤ ـ على النصارى ومن على شاكلتهم ممَّن يدين بغير الإسلام:

روى أحمد ومسلم عن المستورد؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس»[2].

قال المناوي:

«(تقوم الساعة)؛ أي: القيامة.

(والروم أكثر الناس)، ومن عداهم بالنسبة إليهم قليل، وثبت في الصحيح أنه لا يبقى مسلم وقت قيام الساعة، لكن يكون الروم، وهم قوم معروفون، وهم أكثر الكفرة ذٰلك الوقت»[3].

تنبيه: جاء في الحديث عند مسلم قول عمرو بن العاص للمستورد عند روايته لهٰذا الحديث: «انظر ما تقول». قال المستورد: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال عمرو: «لئن قلت ذٰلك؛ إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرَّة بعد فرَّة، وخيرهم

---

(١) «فتح الباري» (١١ / ٢٥٢).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٢٩٨١).

(٣) «فيض القدير» (٣ / ٢٦٥).

لمسكين ويتيم، وأمنعهم من ظلم الملوك»[1].

٥ ـ على من لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً:

وسيأتي دليل ذٰلك قريباً إن شاء الله.

٦ ـ على غير الموحدين:

روى أحمد ومسلم والترمذي عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله»[2].

جاء في «مشكاة المصابيح» تعليقاً على الحديث:

«أي: يوحِّد الله؛ كما في رواية لأحمد بسند صحيح: «يقول: لا إلٰه إلا الله»، فليس المراد بالحديث ذكر الله عز وجل باللفظ المفرد (الله، الله) كما يظن بعض المتصوفين؛ فإنه ذكر مبتدع لا أصل له في السنَّة، ولو أن المسلمين أطبقوا جميعاً على هجر هٰذا النوع من الذكر؛ لما قامت الساعة عليهم؛ لأنهم موحِّدون»[3].

إشكال وردُّه:

ويشكل على هٰذه الأحاديث التي تبيِّن أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق وألأمهم وغير الموحِّدين منهم: أنه وردت أحاديث أخرى تبيِّن أن هناك طائفة تبقى على الحق منصورة حتى تقوم الساعة.

وقد أزال هٰذا الإشكال والحمد لله الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو

---

(١) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٢٦).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني برقم (٧٢٩٧).

(٣) «مشكاة المصابيح» (٣ / ٥٠ / رقم ٥٥١٦).

رضي الله عنهما.

ونحن نذكر أولاً طائفة من هٰذه الأحاديث، ثم نبيِّن كيفية إزالة هٰذا الإشكال إن شاء الله:

روى مسلم عن عقبة بن عامر؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لا تزال عصابة[1] من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوِّهم لا يضرُّهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذٰلك»[2].

وروى الحاكم عن عمر رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تزال طائفة[1] من أمَّتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»[3].

وروى مسلم عن سعد بن أبي وقاص؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»[4].

قال شيخنا تعليقاً على الحديث:

«واعلم أن المراد بأهل الغرب في هٰذا الحديث أهل الشام؛ لأنهم يقعون في الجهة الغربية الشمالية بالنسبة للمدينة المنوَّرة التي نطق فيها عليه الصلاة والسلام بهٰذا الحديث الشريف، ففيه بشارة عظيمة لمن كان فيها من أنصار السنة، المتمسكين بها، والذابين عنها، والصابرين في سبيل الدعوة إليها، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا في زمرتهم، تحت لواء صاحبها

---

(١) انظر التعليق في الصفحة التالية.

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧١٧٣).

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧١٦٤).

(٤) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٧٥٧٤).

محمد ﷺ»[1].

وروى البخاري عن المغيرة بن شعبة: أن رسول الله ﷺ قال:

«لا يزال ناس[2] من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»[3].

وأعود الآن فأقول: لا منافاة ولا تعارض والحمد لله بين أحاديث رسول الله ﷺ، فالساعة ستقوم على شرار الخلق كما بيَّن رسول الله ﷺ، وقبيل الساعة بوقت يعلمه الله يرسل الله عزَّ وجلَّ ريحاً تقبض روح كل مؤمن، وقد

---

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» لشيخنا الألباني تعليقاً على الحديث (رقم ٩٦٥) (٢ / ٦٩٠).

(٢) اعلم أن العصابة أو الطائفة أو الناس الذين ذُكروا في الحديث إنما هم أهل الحديث، ذهب إلى هٰذا طائفة من فحول العلماء، ومنهم:

١ ـ عبدالله بن المبارك: قال: «هم عندي أصحاب الحديث».

٢ ـ علي بن المديني: قال البخاري: قال علي بن المديني: «هم أصحاب الحديث».

٣ ـ أحمد بن حنبل: قال: «إن لم تكن هٰذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث؛ فلا أدري مَن هم».

٤ ـ أحمد بن سنان الثقة الحافظ: قال: «هم أهل العلم وأصحاب الآثار».

٥ ـ البخاري محمد بن إسماعيل: قال: «أصحاب الحديث». وقال في «صحيحه»: «وهم أهل العلم». ولا منافاة بينه وبين ما قبله كما هو ظاهر؛ لأن أهل العلم هم أهل الحديث.

وغيرهم.

وقد ذكر شيخنا حفظه الله أقوالهم بالأسانيد الصحيحة، وانتصر لهم، وأيد ذٰلك بحجج واضحة وقويَّة وأودع ذٰلك كله في كتابه العظيم «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١ / ٤٧٨ ـ ٤٨٦ / رقم ٢٧٠)؛ فلا تفوِّت على نفسك فرصة مطالعتها؛ لعظيم فوائدها، فعسى أن يهديك الله سواء السبيل، إن كنت ممن لا يحبون أهل الحديث ونهجهم.

(٣) وهو في صحيح الجامع برقم ٧٧٠١.

وضَّح لنا ذٰلك وجلَّاه الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما:

روى مسلم عن عبدالرحمٰن بن شماسة المهري؛ قال:

كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبدالله بن عمرو بن العاص، فقال عبدالله: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، هم شرٌّ من أهل الجاهلية، لا يدعون الله بشيء إلا ردَّه عليهم»، فبينما هم على ذٰلك؛ إذ أقبل عقبة بن عامر، فقال مسلمة: يا عقبة! اسمع ما يقول عبدالله. فقال عقبة: هو أعلم، أما أنا؛ فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوِّهم لا يضرُّهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذٰلك». فقال عبدالله: «أجل، ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك، مسُّها مسُّ الحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبَّةٍ من إيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة»[1].

وروى مسلم عن النعمان بن سالم؛ قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول:

سمعت عبدالله بن عمرو، وجاءه رجل، فقال: ما هٰذا الحديث الذي تحدِّث به؛ تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال: سبحان الله! ـ أو: لا إلٰه إلا الله، أو كلمة نحوهما ـ؛ لقد هممت ألا أحدِّث أحداً شيئاً أبداً، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً، يحرَّق البيت، ويكون ويكون، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال في أمتي، فيمكث أربعين ـ لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً ـ، فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم، كأنَّه عروة بن مسعود، فيطلبُه، فيهلكُه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين

(١) وهو في «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٢٢).

اثنين عداوة، ثم يرسل الله عزَّ وجلَّ ريحاً باردة من الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرَّة من خير أو إيمانٍ إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل؛ لدخلته عليه حتى تقبضه». قال: سمعتها من رسول الله ﷺ؛ قال: «فيبقى شرار الناس في خفَّة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون[1] منكراً، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذٰلك دارٌّ رزقهم، حسنٌ عيشهم، ثم يُنفخ في الصور، فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتاً[2] ورفع ليتاً». قال: «وأول من يسمعه رجلٌ يلوط[3] حوض إبله». قال: «فيصعق ويصعَق الناس، ثم يرسل الله ـ أو قال: ينزل الله ـ مطراً كأنه الطلّ ـ أو الظلّ (نعمان الشاك)[4] ـ، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى؛ فإذا هم قيام ينظرون، ثم يُقال: يا أيها الناس! هلمَّ إلى ربكم، ﴿وقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤولونَ﴾[5]، ثم يُقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين». قال: «فذٰلك يومَ يجعل الولدان[6] شيباً، وذٰلك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾[7]»[8].

يتبين من هٰذين الحديثين:

---

(١) تقوم الساعة على مَن هٰذه صفتهم، وهٰذا دليل على ما سبق أن أشرت إليه في فقرة «على مَن تقوم الساعة».

(٢) الليت: صفحة العنق، وهي جانبه.

(٣) أي: يطيِّنُ ويصلح.

(٤) قال العلماء: الأصح: الطلّ، وهو الموافق للحديث الآخر: «إنَّه كمنيِّ الرجال».

(٥) الصافات: ٢٤.

(٦) المزمل: ١٧، ونصها: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً﴾.

(٧) القلم: ٤٢.

(٨) وهو في «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٥٢).

١ ـ بدء قيام الساعة، وهو النفخ في الصور، يكون على شرار الخلق.

٢ ـ يسبق ذٰلك ريح يرسلها الله من قبل الشام، لا تدع أحداً من المؤمنين في أي مكان إلا قبضته.

سابعاً:

الغاية والهدف من معرفة أشراط الساعة هو العمل والاستعداد ليوم الحساب وليس التواكل والانتظار.

قال تعالى واصفاً عباده المؤمنين السابقين بالخيرات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقونَ . والَّذينَ هُمْ بِآياتِ رَبِّهِمْ يُؤمِنونَ . والَّذينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكونَ . والَّذينَ يُؤتُونَ مَا آتَوْا وقُلوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ . أُولٰئِكَ يُسارِعُونَ في الخَيْراتِ وهُمْ لَها سابِقونَ﴾(١).

قال ابن كثير:

«يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ هُم مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقونَ﴾؛ أي: هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون منه وجِلونَ من مكره بهم.

﴿والَّذينَ هُمْ بِآياتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنونَ﴾؛ أي: يؤمنون بآياته الكونية والشرعية، وما شرعه الله؛ فهو إن كان أمراً؛ فمما يحبه ويرضاه، وإن كان نهياً؛ فهو مما يكرهه ويأباه، وإن كان خيراً؛ فهو حقٌّ كما قال الله.

﴿والَّذينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكونَ﴾؛ أي: لا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه، ويعلمون أنه لا إله إلا الله، أحداً صمداً، لم يتَّخذ صاحبة ولا ولداً،

---

(١) المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١.

وأنه لا نظير له ولا كفء له.

﴿والَّـذينَ يُؤتُونَ مَا آتَوْا وقُلوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إلى رَبِّهِمْ رَاجِعونَ﴾؛ أي: يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يُتقبَّل منهم؛ لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشرط الإعطاء، وهٰذا من باب الإشفاق والاحتياط»[1].

وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن جرير والحاكم وأحمد عن عائشة زوج النبي؛ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هٰذه الآية: ﴿والَّذينَ يُؤتُونَ ما آتَوْا وقُلوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾؛ قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق! ولكنهم الذين يصومون ويصلُّون ويتصدَّقون وهم يخافون أن لا يُتَقَبَّل منهم، أولٰئك الذين يسارعون في الخيرات»[2].

قال شيخنا حفظه الله:

«قلت: والسر في خوف المؤمنين أن لا تقبل منهم عبادتهم ليس هو خشيتهم أن لا يوفيهم الله أجورهم؛ فإن هٰذا خلاف وعد الله إياهم في مثل قوله تعالى: ﴿وأَمَّا الَّـذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فيُوفِّيهِمْ أُجورَهُمْ﴾[3]، بل إنه ليزيدهم عليها؛ كما قال: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجورَهُمْ ويَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾[4]، والله تعالى لا يخلف وعده كما قال في كتابه، وإنما السر أن القبول متعلِّق بالقيام بالعبادة كما أمر الله عزَّ وجلَّ، وهم لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها على مراد الله، بل يظنُّون أنهم قصَّروا في ذٰلك، ولهٰذا؛ فهم يخافون أن لا تقبل منهم».

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣ / ٢٤٨).

(٢) وهو في «السلسلة الصحيحة» لشيخنا الألباني (رقم ١٦٢).

(٣) آل عمران: ٥٧.

(٤) فاطر: ٣٠.

فليتأمل المؤمن هٰذا، عسى أن يزداد حرصاً على إحسان العبادة والإتيان بها كما أمر الله، وذٰلك بالإخلاص فيها له، واتباع نبيه ﷺ في هديه فيها، وذٰلك معنى قوله تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً ولا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحداً﴾[1].

روى الطبراني والبيهقي في «شعب الإيمان» عن معاذ بن جبل؛ قال: قلت: يا رسول الله! أوصني. قال:

«اعبد الله ولا تشرك به شيئاً، واعمل لله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى، واذكر الله تعالى عند كل حجر وكل شجر، وإذا عملت سيئة؛ فاعمل بجنبها حسنة: السر بالسر، والعلانية بالعلانية»[2].

قال المناوي:

«(اعبد الله): مقصوده كما قال الحراني: حمل الخلق على صدق التذلل.

(ولا تشرك به شيئاً)؛ أي: لا تشرك معه في التذلل له شيئاً، أي شيء كان، وهٰذا أول ما أقام الله من بناء الدين وجمع بينهما؛ لأن الكفار كانوا يعبدونه في الصورة، ويعبدون معه أوثاناً يزعمون أنها شركاؤه.

(واعمل لله كأنك تراه)؛ يعني: كن عالماً متيقظاً لا ساهياً ولا غافلاً، وكن مجدّاً في العبودية مخلصاً في النية آخذاً أهبة الحذر؛ فإن من علم أن له حافظاً رقيباً شاهداً لحركاته وسكناته؛ فلا يسيء الأدب طرفة عين، ولا لمحة خاطر،

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ١٠٥١).

وهٰذا من جوامع الكلم.

(واعدد نفسك في الموتى)؛ أي: وترحل عن الدنيا حتى تنزل بالآخرة، وتحلَّ فيها حتى تبقى من أهلها، وأنك جئت إلى هٰذه الدار كغريب يأخذ منها حاجته، ويعود إلى الوطن الذي هو القبر، فكأنك بالموت وقد سقاك كأسه على غفلة، فصرت من عسكر الموتى، فنزِّل نفسك منزلة من قضى نحبه، واترك الحرص، واغتنم العمل وقصِّر الأمل.

(واذكر الله تعالى عند كل حجر وكل شجر)؛ أي: عند مرورك على كل شيء من ذٰلك، فالمراد ذكره على كل حال، قال العارفون: ومن علامات صحة القلب أن لا يفتر عن ذكر ربه ولا يسأم من خدمته ولا يأنس بغيره.

(وإذا عملت سيئة؛ فاعمل بجنبها حسنة)؛ تمحها، لأن الحسنات يذهبن السيئات (السر بالسر والعلانية بالعلانية)؛ أي: إن عملت سيئة سرِّية؛ فقابلها بحسنة سرِّية، وإن عملت سيئة علانيةً؛ فقابلها بحسنة علانية»[1].

وروى الحاكم والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه:

«اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»[2].

قال المناوي:

«(اغتنم خمساً قبل خمس)؛ أي: افعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء:

---

(١) «فيض القدير» (١ / ٥٥٠).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ١٠٨٨).

(حياتك قبل موتك)؛ يعني: اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك، فإن من مات انقطع عمله وفاته أمله وحقّ ندمه.

(وصحتك قبل سقمك)؛ أي: اغتنم العمل حال الصحة؛ فقد يمنع مانع كمرض، فتقدم المعاد بغير زاد.

(وفراغك قبل شغلك)؛ أي: اغتنم فراغك في هٰذه الدار قبل شغلك بأهوال القيامة التي أول منازلها القبر، فاغتنم فرصة الإمكان لعلك تسلم من العذاب والهوان.

(وشبابك قبل هرمك)؛ أي: اغتنم الطاعة حال قدرتك قبل هجوم عجز الكبر عليك فتندم على ما فرطت في جنب الله.

(وغناك قبل فقرك)؛ أي: اغتنم التصدق بفضول مالك قبل عروض جائحة تفقرك فتصير فقيراً في الدنيا والآخرة، فهٰذه الخمسة لا يعرف قدرها إلا بعد زوالها»[1].

وروى أحمد والطيالسي والبخاري في «الأدب المفرد» عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال:

«إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة[2]، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها؛ فليغرسها»[3].

قال شيخنا:

هٰذا الحديث حضٌّ على الاستثمار؛ فإن فيه ترغيباً عظيماً على اغتنام

---

(١) «فيض القدير» (٢ / ١٦).

(٢) هي النخلة الصغيرة، وهي الوديّة.

(٣) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ١٤٣٧).

آخر فرصة من الحياة في سبيل زرع ما ينتفع به الناس بعد موته، فيجرى له أجره، وتكتب له صدقته إلى يوم القيامة.

وقد ترجم الإمام البخاري لهٰذا الحديث في «الأدب المفرد» بقوله: «باب اصطناع المال»[1]، ثم روى عن الحارث بن لقيط؛ قال: «كان الرجل منَّا تنتج فرسه، فينحرها، فيقول: أنا أعيش حتى أركب هٰذه؟ فجاءنا كتاب عمر: أن أصلحوا ما رزقكم الله؛ فإن في الأمر تنفساً، وسنده صحيح.

وروى أيضاً بسند صحيح عن داود؛ قال: قال لي عبدالله بن سلام: «إن سمعت بالدجال قد خرج وأنت على ودية تغرسها؛ فلا تعجل أن تصلحه؛ فإن للناس بعد ذٰلك عيشاً».

وداود هٰذا هو ابن أبي داود الأنصاري؛ قال الحافظ فيه: مقبول.

وروى ابن جرير عن عمارة بن خزيمة بن ثابت؛ قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي: «ما يمنعك أن تغرس أرضك؟». فقال له أبي: أنا شيخ كبير أموت غداً. فقال له عمر: «أعزم عليك لتغرسنّها»؛ فلقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي. كذا في «الجامع الكبير» للسيوطي.

ولـذٰلك اعتبر بعض الصحابة الرجل يعمل في إصلاح أرضه عاملاً من عمال الله عزَّ وجلَّ، فروى البخاري في «الأدب المفرد» عن نافع بن عاصم: أنــه سمـع عبـدالله بن عمـرو قال لابن أخ لِه خرج من الـوهط[2]: «أيعمـل

(١) «الأدب المفردة للبخاري (باب ٢٢٢ / حديث ٤٧٨ ـ ٤٨٠).

(٢) هو البستان، وهي أرض عظيمة كانت بالطائف لعمرو بن العاص، على ٣ أميان من (وجّ)، يبدو أنه خلّفها لأولاده.

وقد روى ابن عساكر في «تاريخه» بسند صحيح عن عمرو بن دينار؛ قال: «دخل عمرو بن العاص في حائط له بالطائف يقال له (الوهط)، فيه ألف ألف خشبة، اشترى كل خشبة بدرهم؛ يعني: يقيم بها الأعناب».

عمالك؟». قال: لا أدري. قال: «أما لو كنت ثقفيّاً؛ لعلمت ما يعمل عمالك»، ثم التفت إلينا، فقال: «إن الرجل إذا عمل مع عماله في داره (وقال الراوي مرَّة: في ماله) كان عاملاً من عمال الله عز وجل». وسنده حسن إن شاء الله تعالى.

هٰذا بعض ما أثمرته تلك الأحاديث في جملتها من السلف الصالح رضوان الله عليهم»[1].

وروى الطيالسي والبيهقي في «شعب الإيمان» عن جابر: أن النبي ﷺ قال: «قال لي جبريل: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه»[2].

قال المناوي:

«(قال لي جبريل: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت)؛ قال بعضهم: هٰذا وعظ وزجر وتهديد، والمعنى: فليتأهب من غايته الموت بالاستعداد لما بعده، ومن هو راحل عن الدنيا كيف يطمئن إليها فيخرِّب آخرته التي هو قادم عليها.

(وأحبب من شئت فإنك مفارقه)؛ أي: تأمَّل من تصاحب من الإخوان، عالماً بأنه لا بدَّ من مفارقته، فلا تسكن إليه بقلبك، ولا تطعه فيما يعصي ربك؛ فإنه لا بدَّ من فرقة الأخلاء كلهم إلى يوم قيل فيه: ﴿الأَخِلَّاءُ يَومَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[3]، فإن كان ولا بد؛ فأحبب في الله مَن يعينك على طاعة الحق تعالى، ولا تعلِّق قلباً عرف مولاه بمحبَّة سواه.

---

(1) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» لشيخنا الألباني (١ / ١٢ و١٣ / رقم ٢).

(2) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٤٢٣١).

(3) الزخرف: ٦٧.

(واعمـل ما شئت)؛ مبالغة في التقريع والتهديد من قبيل: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[1]؛ يجازكم به، فإن كان العمل حسناً؛ سرَّك جزاؤه، أو سيئاً؛ ساءك لقاؤه».

(فإنك ملاقيه)؛ قال الغزالي: هٰذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد، فينبغي أن تحب من لا يفارقك، وهو الله، ولا تحب من يفارقك، وهو الدنيا؛ فإنك إذا أحببت الدنيا؛ كرهت لقاء الله، فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبُّه»[2].

وكما رأيت أخي المسلم، فهٰذا عدد يسير من أحاديث رسول الله ﷺ، وهـي غيض من فيض، تحثُّ على العمـل، وإن ما تلقى من جزاء خيراً أو شرّاً؛ إنما يترتَّب على عملك بعد رحمة الله عزَّ وجلَّ لك.

قال ابن القيم:

«وكذٰلك المتدبِّر لكتاب الله يجد أن القرآن من أوله إلى آخره صريح في ترتُّب الجـزاء بالخير والشـر على الأسبـاب، بل ترتُّب أحكـام الدنيا والآخرة ومصالحهما ومفاسدهما على الأسباب والأعمال.

ومن تفقَّه هٰذه المسألة، وتأمَّلها حقَّ التأمل؛ انتفع بها غاية النفع، ولم يتَّكـل على القـدر؛ جهـلاً منه وعجزاً وتفريطاً وإضاعة، فيكون توكُّله عجزاً، وعجزه توكُّلاً، بل الفقيه كل الفقيه الذي يردُّ القدر بالقدر، ويدفع القدر بالقدر، ويعارض القدر بالقدر، بل لا يمكن أن يعيش الإنسان إلا بذٰلك؛ فإن الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هي من القدر، والخلق كلهم ساعون

---

(١) فصلت: ٤٠.

(٢) «فيض القدير» (٤ / ٥٠٠).

في دفع هٰذا القدر بالقدر، وهٰكذا من وفَّقه الله وألهمه رشده يدفع قدر العقوبة الأخروية بقدر التوبة والإيمان والأعمال الصالحة»[1].

ثامناً:

أمر الساعة عظيم؛ لذا فهي مقترنة بأسماء الله الحسنى: القدير، العليم، الخبير، الحق، الملك، مالك يوم الدين.

فأمر الساعة لا يعجز القدير العليم بوقتها، وهو من الغيب الذي استأثر الله به، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فأمر الساعة وما يتبعها عظيم، فلا بدَّ أن يكون أمر الساعة بيد مَن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

قال تعالى:

﴿ومَا خَلَقْنَا السَّماواتِ والأَرْضَ إلَّا بالحَقِّ وإنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَميلَ . إنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلَّاقُ العَليمُ﴾[2].

قال ابن كثير:

«﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلَّاقُ العَظيمُ﴾: تقرير للمعاد، وأنه تعالى قادر على إقامة الساعة؛ فإنه الخلَّاق الذي لا يعجزه خلق شيء، العليم بما تمزَّق من الأجساد وتفرَّق في سائر أقطار الأرض»[3].

وقال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ ولَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بقَادِرٍ

(1) «الجواب الكافي» (ص ١٨ و١٩).

(2) الحجر: ٨٥ ـ ٨٦.

(3) «تفسير ابن كثير» (٢ / ٥٥٦).

على أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾[1]

قال ابن كثير:

«يقول تعالى: أولم ير هٰؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد أن الله الذي خلق السماوات والأرض، ﴿ولَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾؛ أي: ولم يُكْرِثْهُ خلقهن، بل قال لها: كوني؛ فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة، بل طائعة مجيبة خائفة وجلة، أفليس ذٰلك بقادر على أن يحيي الموتى، ولهٰذا قال: ﴿بلى إِنَّهُ على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ﴾»[2].

وقال تعالى:

﴿لَخَلْقُ السَّماواتِ والأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ولٰكِنَّ أَكْثَرَ الناسِ لاَ يَعْلَمونَ﴾[3].

قال ابن كثير:

«يقول تعالى منبهاً على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة، وأن ذٰلك سهل عليه، يسيرٌ لديه، بأنه خلق السماوات والأرض، وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة وإعادة، فمن قدر على ذٰلك؛ فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى والأحرى».

ثم قال:

«فلهٰذا لا يتدبَّرون هٰذه الحجة، ولا يتأملونها؛ كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله تعالى خلق السماوات والأرض، وينكرون المعاد استبعاداً وكفراً

---

(1) الأحقاف: ٣٣.

(2) «تفسير ابن كثير» (٤ / ١٧١).

(3) غافر: ٥٧.

وعناداً، وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا»[1].

وقال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ بالحَقِّ إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ويَأْتِ بِخَلْقٍ جَديدٍ . وما ذٰلكَ عَلى اللهِ بِعزيزٍ﴾[2].

قال ابن كثير:

«يقـول تعـالى مخبراً عن قدرته على معاد الأبدان يوم القيامة بأنه خلق السماوات والأرض التي هي أكبر من خلق الناس، أفليس الذي قدر على خلق هٰذه السماوات ـ في ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات والحركات المختلفات والآيات الباهرات وهٰذه الأرض بما فيها من مهـاد ووهاد وأوتاد وبراري وصحارى وقفار وبحار وأشجار ونبات وحيوان على اختلاف أصنافها ومنافعها وأشكالها وألوانها ـ بقادر على ما هو دونها؟

﴿إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ويَأْتِ بِخَلْقٍ جَديدٍ . ومَا ذٰلكَ عَلى اللهِ بعزيزٍ﴾؛ أي: بعظيم ولا ممتنع، بل هو سهل عليه إذا خالفتم أمره أن يذهبكم ويأت بآخرين على غير صفتكم»[3].

هٰذه بعض الآيات التي تتحدث عن كمال قدرة الله عزَّ وجلَّ وكمال علمه وكمال حكمته في الخلق، ومَن شاء المزيد؛ فعليه بكتاب الله يتلوه ويتدبَّره.

تاسعاً:

متى نلجأ إلى التأويل؟

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤ / ٥).

(٢) إبراهيم: ١٩ و٢٠.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢ / ٥٢٧ ـ ٥٢٨)

نلجأ إلى التأويل عندما تكون هناك قرينة قاطعة تدلُّ عليه أو عند تعذُّر الحقيقة.

وقد اتفقت الأمة خلفاً وسلفاً على أن الأصل في الكلام أن يُحمل على الحقيقة، وأنه لا يجوز الخروج عنها إلى المجاز؛ إلا عند تعذُّر الحقيقة، أو لقرينة عقليَّة أو عرفيَّة أو لفظيَّة.

قال العلَّامة المرتضى اليماني في كتابه «إيثار الحق على الخلق» في باب «فصل في الإرشاد إلى طريق المعرفة لصحيح التفسير» ما نصه:

«النوع السادس من التفسير: المجازي، وتعتبر فيه قرائن المجاز الثلاث الموجبات للعدول إليه، وإلا؛ حرم القول به والعدول إليه:

الأولى: العقلية التي يعرفها المخاطِب والمخاطَب؛ كقوله تعالى: ﴿واسْأَلِ القَرْيَةَ الَّتي كُنَّا فِيها والعِيْرَ الَّتي أَقْبَلْنا فِيها﴾[1]؛ أي: أهلهما، ومنه قوله تعالى: ﴿واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾[3]، وهو كثير، وليس هو من المتشابه، بل تعرفه أجلاف العرب.

الثانية: العرفية؛ مثل قوله تعالى: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لي صَرْحاً﴾[4]؛ أي: مُرْ مَن يبني؛ لأن مثله في العرف لا يبني.

الثالثة: اللفظية؛ نحو قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾[5]؛ فإنها دليل على أن الله غير النور، وقوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ﴾[5]؛ فإنها دليل على

(١) يوسف: ٨٢.

(٢) الإسراء: ٢٤، ومعنى: ﴿اخفض لهما جناح الذل﴾؛ أي: تواضع لهما.

(٣) الكهف: ٧٧، ومعنى: ﴿يريد أن ينقض﴾؛ أي: مائل للسقوط.

(٤) غافر: ٣٦.

(٥) النور: ٣٥.

أن المراد نور الهدى.

ويتيقظ هنــا لمـا كان من جنس تأويل البـاطنية، فيُرَدُّ، وإن صدر من غيرهم؛ فقد كثر جداً»[1].

وأمارة الدعوى الباطلة: تجرُّدها عن أحد هٰذه القرائن، وأما ما يدَّعيه أهل الكلام من الأدلَّة التي لم يتَّفقوا على صحَّة دليل واحد منها؛ فلا يجوز تقليدهم في ذٰلك؛ لا عندهم، ولا عند غيرهم، بل يجب البحث التام أو الإمساك عن التأويل حتى يقع الإجماع.

ثم قال رحمه الله:

«ومن العقلي الجلي المجمع عليه: تخصيص قوله: ﴿وأُوتِيتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2] على ما يناسب ملوك البشر من المعتاد في الدنيا دون العالم العلوي وأمور الآخرة والملائكة والنبوة ونحو ذٰلك»[3].

وقال رحمه الله في مكان آخر:

«وقد أجمعت الأمة على أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، فكل ما لم يبيَّن من العقائد في عصر النبوة؛ فلا حاجة إلى اعتقاده، ولا الخوض فيه والجدال، والمراد: سواء كان إلى معرفته سبيل أو لا، وسواء كان حقّاً أو لا، وخصوصاً متى أدى الخوض فيه إلى التفرق المنهي عنه»[4].

* * * *

---

(١) «إيثار الحق على الخلق» (ص ١٦٦) للعلامة المرتضى اليماني.

(٢) النمل: ٢٣.

(٣) «إيثار الحق على الخلق» (ص ١٦٧).

(٤) «إيثار الحق على الخلق» (ص ١٠٩).

المبحث الثاني

منهجنا في بحث أشراط الساعة

وأشرع الآن في الحديث عن أشراط الساعة؛ مستمدّاً من الله العون، سائلاً إياه السداد والتوفيق في القول والعمل:

لقد تكلَّم العلماء كثيراً عن أشراط الساعة، وقسموها بطرق مختلفة: فبعضهم قسمها إلى سماوية وأرضية، وبعضهم قسمها إلى معتادة وغير معتادة، والبعض قسمها إلى كبرى وصغرى.

قال الحافظ في «الفتح» تعليقاً على حديث جبريل وسؤاله النبي ﷺ عن الساعة:

«قال القرطبي: علامات الساعة على قسمين: ما يكون من النوع المعتاد أو غيره، والمذكور هنا الأول[1]، وأما الغير؛ مثل طلوع الشمس من مغربها؛ فتلك مقاربة لها أو مضايقة، والمراد هنا العلامات السابقة على ذلك»[2].

وقال رحمه الله في مكان آخر:

«قال البيهقي وغيره: الأشراط منها صغار وقد مضى أكثرها، ومنها كبار ستأتي»[3].

قال الحافظ:

---

(١) أي: ما ورد في الحديث من النوع المعتاد؛ كولادة الأمة ربتها، وتطاول رعاة البهم بالبنيان.

(٢) «فتح الباري» (١ / ١٢١. / حديث ٥٠).

(٣) «فتح الباري» (١٣ / ٨٥ / كتاب الفتن).

«قلت: وهي التي تضمنها حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم، وهي: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، والريح التي تهب بعد موت عيسى فتقبض أرواح المؤمنين»[1].

وقال ابن أبي العز الحنفي في كتابه العظيم «شرح العقيدة الطحاوية»:

«وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر؛ فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية؛ كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية»[2].

وسأتحدث عن أشراط الساعة مقسماً إياها إلى سماوية وأرضية، فإن كانت كبرى؛ ذكرت ذلك، وهي عشر، وكذلك إن كانت غير معتادة لهولها؛ ذكرت ذلك أيضاً، وقد تكون الآية صغرى، ولكنها غير معتادة[3]، فأبين ذلك إن شاء الله.

والآيات الكبرى هي المؤذنة بتغير أحوال العالمين العلوي والأرضي كما سيأتي في حينه، وما عداها فهي صغرى.

قال الحافظ في «الفتح»:

«الأشراط: العلامات التي يعقبها قيام الساعة»[4].

* * * * *

(١) «فتح الباري» (١٣ / ٨٥ / كتاب الفتن).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» بتحقيق شيخنا الألباني (ص ٥٦٦).

(٣) خارقة للعادة.

(٤) «فتح الباري» (١٣ / ٧٩ / حديث ٧١١٨).

الباب الأول

الأشراط السماوية (العلوية)

الفصل الأول
أشراط تبدأ بالسماء وتنتهي بالسماء

المبحث الأول

انشقاق القمر

قال تعالى:

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ . وإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضوا ويَقُولوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[1].

قال ابن كثير:

«﴿وانْشَقَّ القَمَرُ﴾ : قد كان هٰذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذٰلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وهٰذا أمر متَّفق عليه بين العلماء؛ أي: انشقاق القمر، وأنه وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات»[2].

روى الشيخان عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال:

---

(١) القمر: ١ و٢.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤ / ٢٦١).

«انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال النبي ﷺ: اشهدوا»[1].

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه:

«إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر»[2].

وروى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما:

«أن القمر انشق في زمان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم»[3].

وروى مسلم عن عبدالله بن مسعود؛ قال:

بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى، إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا»[4].

وروى مسلم عن عبدالله بن مسعود؛ قال:

انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقتين، فستر الجبل فِلقةً، وكانت فِلقةٌ فوق الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اشهد»[5].

هٰذه جملة من الأحاديث تتحدَّث عن انشقاق القمر عندما سأل كفار مكة رسول الله أن يُريهم آية.

ويُستفاد من هٰذه الأحاديث:

(١) «اللؤلؤ والمرجان» (حديث ١٧٨٤).
(٢) «اللؤلؤ والمرجان» (حديث ١٧٨٥).
(٣) «اللؤلؤ والمرجان» (حديث ١٧٨٦).
(٤) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٧ / ١٤٤).
(٥) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٧ / ١٤٤).

أولاً: انشقاق القمر معجزة عظيمة:

قال الحافظ في «الفتح»:

«وقال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة، لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذٰلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هٰذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يُطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذٰلك صار البرهان به أظهر»[1].

ثانياً: انشقاق القمر حدث في زمن النبي ﷺ:

قال الحافظ في «الفتح»:

«**قوله[2]: «باب انشقاق القمر»؛ أي: في زمن النبي ﷺ على سبيل** المعجزة له، وقد ترجم بمعنى ذٰلك في علامات النبوة»[3].

ثالثاً:

هٰذه الآية صغرى وغير معتادة، وإنما قلت صغرى؛ لأنه لم يتبعها حدوث تغيُّر سواء في العالم العلوي أو السفلي.

رابعاً:

الانشقاق حدث مرَّة واحدة على الأرجح، وذٰلك أنه جاءت رواية عند مسلم؛ بلفظ: «مرتين»، ولكن العلماء ردُّوها، فقال الحافظ في «الفتح»:

«ولا أعرف من جزم من علماء الحديث بتعدُّد الانشقاق في زمنه ﷺ، ولم

---

(١) «فتح الباري» (٧ / ١٨٥).

(٢) أي: البخاري؛ فإن «فتح الباري» شرح لـ «صحيح البخاري».

(٣) «فتح الباري» (٧ / ١٨٢).

يتعرَّض لذٰلك أحد من شراح الصحيحين.

وتكلَّم ابن القيم على هٰذه الرواية، فقال: المرات يراد بها الأفعال تارة، والأعيان أخرى، والأول أكثر، ومن الثاني: «انشق القمر مرتين»، وقد خفي على بعض الناس، فادَّعى ان انشقاق القمر وقع مرتين، وهٰذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط؛ فإنه لم يقع إلا مرة واحدة.

وقد قال العماد بن كثير: في الرواية التي فيها «مرتين» نظر، ولعلَّ قائلها أراد فرقتين».

قال الحافظ

«قلت: وهٰذا الذي لا يتَّجه غيره جمعاً بين الروايات»[1].

---

(١) قال الحافظ في «الفتح»: «أخرج مسلم حديث انشقاق القمر من الوجه الذي أخرجه منه البخاري من حديث سعيد عن قتادة؛ بلفظ: «فأراهم انشقاق القمر مرتين»، وأخرجه من طريق معمر، وأخرجه أيضاً من طريق معمر عن قتادة؛ قال: بمعنى حديث شيبان».

قلت (أي: الحافظ): «وهو في «مصنف عبدالرزاق» عن معمر بلفظ: «مرتين» أيضاً.

وكذٰلك أخرجه الإمامان أحمد وإسحاق في «مسنديهما» عن عبدالرزاق، وقد اتفق الشيخان عليه من رواية شعبة عن قتادة؛ بلفظ: «فرقتين».

قال البيهقي: وقد حفظ ثلاثة من أصحاب قتادة عنه: «مرتين»».

قال الحافظ: «قلت: لكن اختلف على كل منهم في هٰذه اللفظة، ولم يُختلف على شعبة، وهو أحفظهم، ولم يقع في شيء من طرق حديث ابن مسعود بلفظ: «مرتين»، إنما فيه: «فرقتين أو فلقتين»؛ بالراء أو اللام، وكذا في حديث ابن عمر: «فلقتين».

وزيادة في الإيضاح؛ فهٰذه هي الروايات بأسانيدها:

قال البخاري: حدثني عبدالله بن عبدالوهاب: حدثنا بشر بن المفضَّل: حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس، فذكره بلفظ: «فأراهم القمر شقتين».

قال مسلم: حدثني زهير بن حرب وعبد بن حميد؛ قالا: حدثنا يونس بن محمد: حدثنا =

خامساً

هناك تساؤلات قد تثور، وهي تساؤلات يثيرها منكرو حدوث الانشقاق من الفلاسفة ومن تابعهم من المبتدعة، ومن هٰذه التساؤلات:

١ ـ كيف ينشق القمر، وكيف تُفتح أبواب السماء ليلة الإسراء، وكيف تكوَّر الشمس يوم القيامة، ومعلوم أن الآيات العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام؟!

قال الحافظ في «الفتح»:

«وجواب هٰؤلاء إن كانوا كفاراً: أن يناظَروا أولاً على ثبوت دين الإسلام، ثم يُشرَكوا مع غيرهم ممَّن أنكر ذٰلك من المسلمين، ومتى سلَّم المسلم بعض ذٰلك دون بعض؛ ألزم التناقض، ولا سبيل إلى إنكار ما ثبت في القرآن من الانخراق والالتئام في القيامة، فيستلزم جواز وقوع ذٰلك معجزة لنبي الله ﷺ».

ثم قال:

«وقد أجاب القدماء عن ذٰلك، فقال أبو إسحاق الزجَّاج في «معاني القرآن»: أنكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الأمة انشقاق القرآن، ولا إنكار للعقل فيه؛ لأن القمر مخلوق لله، يفعل فيه ما يشاء، كما يكوِّره يوم البعث ويفنيه»[(١)].

= شيبان: حدثنا قتادة عن أنس، فذكره بلفظ: «فأراهم انشقاق القمر مرتين».

وقال: وحدثنيه محمد بن رافع: حدثنا عبدالرزاق: أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس؛ بمعنى حديث شيبان»[(أ)].

(١) «فتح الباري» (٧ / ١٨٥).

(أ) «فتح الباري» (٧ / ١٨٣).

٢ ـ قال البعض: لو وقع؛ لجاء متواتراً، واشترك أهل الأرض في معرفته، ولما اختص بها أهل مكة.

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال أبو إسحاق الزجاج: جواب من قال هٰذا: أن الانشقاق وقع ليلًا، وأكثر الناس نيام، والأبواب مغلَّقة، وقلَّ من يراصد السماء إلا النادر، وقد يقع بالمشاهدة في العادة أن ينكسف القمر وتبدو الكواكب العظام وغير ذٰلك في الليل ولا يشاهدها إلا الآحاد؛ فكذٰلك الانشقاق كان آية وقعت في الليل لقوم سألوا واقترحوا، فلم يتأهب غيرهم لها، ويحتمل أن يكون القمر ليلتئذ كان في بعض المنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض، كما يظهر الكسوف لقوم دون قوم»[1].

ثم قال الحافظ في «الفتح»:

«وقال الخطابي: وقد أنكر بعضهم انشقاق القمر، فقال: لو وقع ذٰلك؛ لم يجز أن يخفى أمره على عوامِّ الناس؛ لأنه أمر صدر عن حسٍّ ومشاهدة، فالناس فيه شركاء، والدَّواعي متوفِّرة على رؤية كل غريب ونقل ما لم يُعْهَد، فلو كان لذٰلك أصل؛ لخُلِّد في كتب أهل التسيير والتنجيم، إذ لا يجوز إطباقهم على تركه وإغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره.

والجواب عن ذٰلك أن هٰذه القصة خرجت عن بقية الأمور التي ذكروها؛ لأنه شيء طلبه خاصٌّ من الناس، فوقع ليلًا؛ لأن القمر لا سلطان له بالنهار، ومن شأن الليل أن يكون أكثر الناس فيه نياماً ومستكنِّين بالأبنية، والبارز بالصحراء منهم إذا كان يقظان يحتمل أنه كان في ذٰلك الوقت مشغولاً بما يلهيه

(١) «فتح الباري» (٧ / ١٨٥).

من سمر وغيره، ومن المستبعد أن يقصدوا إلى مراصد مركز القمر ناظرين إليه لا يغفلون عنه، فقد يجوز أنه وقع ولم يشعر به أكثر الناس، وإنما رآه من تصدَّى لرؤيته ممَّن اقترح وقوعه، ولعلَّ ذلك إنما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر»[1].

٣ ـ ما الحكمة في قلة من نقل آية انشقاق القمر من الصحابة؟

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال الخطابي: وهناك حكمة بالغة في كون المعجزات المحمَّدية لم يبلغ شيء منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه إلا القرآن، وهي أن معجزة كل نبي كانت إذا وقعت عامَّة؛ أعقبت[2] هلاك من كذَّب به من قومه؛ للاشتراك في إدراكها بالحس، والنبي ﷺ بُعث رحمة، فكانت معجزته التي تحدَّى بها عقليَّة، فاختصَّ بها القوم الذين بُعث منهم؛ لما أوتوه من فضل العقول وزيادة الأفهام، ولو كان إدراكها عامّاً؛ لعوجل من كذَّب به كما عوجِلَ من قبلهم».

قال الحافظ:

«وذكر أبو نعيم في «الدلائل» نحو ما ذكره الخطابي، وزاد: ولا سيما إذا وقعت الآية في بلدة كان عامَّة أهلها يومئذ الكفار الذين يعتقدون أنها سحر، ويجتهدون في إطفاء نور الله»[3].

٤ ـ بعض من روى أحاديث الانشقاق لم يكن وُلد بعد؛ كابن عباس، وبعضهم كان صغيراً في المدينة؛ كأنس بن مالك، وبعضهم شاهدها؛

(١) «فتح الباري» (٧ / ١٥٨).

(٢) وقع هلاك القوم بعد حدوثها والتكذيب بها.

(٣) «فتح الباري» (٧ / ١٨٥).

كعبدالله بن مسعود وغيره

قال الحافظ في «الفتح»:

«قوله في الحديث: «إن أهل مكة»: هٰذا من مراسيل الصحابة؛ لأن أنساً لم يدرك هٰذه القصة، وقد جاءت هٰذه القصة من حديث ابن عباس، وهو أيضاً ممَّن لم يشاهدها، ومن حديث ابن مسعود وجبير بن مطعم وحذيفة، وهٰؤلاء شاهدوها»[1].

* * * * *

(١) «فتح الباري» (٧ / ١٨٢).

المبحث الثاني

انتفاخ الأهلَّة

علامة صغرى غير معتادة لم تحدث بعد.

روى الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود، والطبراني في «الأوسط» و «الصغير» عن أبي هريرة، والطبراني في «الأوسط» والضياء عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال:

«من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلَّة»[1].

وروى الطبراني في «الأوسط» وغيره عن أنس: أن رسول الله ﷺ؛ قال:

«من اقتراب الساعة أن يُرى الهلال قَبلًا، فيُقال لليلتين، وأن تتَّخذ المساجد طرقاً، وأن يظهر موت الفجأة»[2].

قال المناوي:

«(انتفاخ الأهلة)؛ أي: عظمها، وهو بالجيم؛ من: انتفج جنبا البعير: إذا ارتفعا وعظما خلقةً، وبخاء معجمة، وهو ظاهر».

وقال أيضاً:

«(من اقتراب الساعة أن يُرى الهلال قَبَلًا)؛ أي: يُرى ساعة ما يَطْلع لعظمه ووضوحه من غير أن يتطلب.

(فيقال: لليلتين)؛ أي: هو ابن ليلتين»[3].

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٥٧٧٤).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» أيضاً (رقم ٥٧٧٥).

(٣) «فيض القدير» (٦ / ١٠).

المبحث الثالث

طلوع الشمس من مغربها

آية كبرى، غير معتادة، لم تقع بعد، ووقوعها خرقٌ للنواميس الكونية المعروفة عند الناس، وهي أعظم الآيات مطلقاً، فلا يراها أحدٌ إلا آمن، آية يتبعها تغيُّر أحوال العالم العلوي؛ إيذاناً ببدء القيامة.

روى مسلم في «صحيحه» عن أبي ذر:

أن النبي ﷺ قال يوماً: «أتدرون أين تذهب هٰذه الشمس؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إن هٰذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذٰلك حتى يُقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فتجري، فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخرُّ ساجدة، ولا تزال كذٰلك حتى يُقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً، حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي، أصبحي طالعةً من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها»، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»[1].

ورواه الشيخان وغيرهما عن أبي ذر مختصراً؛ قال:

دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس، فلمَّا غابت الشمس؛ قال: «يا أبا ذر! هل تدري أين تذهب هٰذه؟». قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب، فتستأذن في السجود، فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من

(١) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٨٤).

حيث جئت، فتطلع من مغربها». قال: ثم قرأ في قراءة عبدالله: وذٰلك مستقر لها»[1].

وروى أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه عن ابن عمرو؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن أول الآيات خروجاً: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، فأيتهما ما كانت قبل صاحبتها؛ فالأخرى على أثرها قريباً»[2].

وروى الطبراني عن أبي أمامة: أن رسول الله ﷺ قال:

«أول الآيات طلوع الشمس من مغربها»[3].

وعند ابن ماجه من حديث ابن عمرو؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أول الآيات خروجاً: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابَّة على الناس ضحى».

قال عبدالله: فأيتهما خرجت قبل الأخرى؛ فالأخرى منها قريب

قال عبدالله: ولا أظنها إلا طلوع الشمس من مغربها[4].

وروى أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن صفوان بن عسال؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن من قبل مغرب الشمس باباً مفتوحاً[5] عرضه سبعون سنة، فلا يزال

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٧٧٠٥).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٢٠٠٩).

(٣) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٢٥٥٧).

(٤) وهو في «صحيح سنن ابن ماجه» لشيخنا الألباني (رقم ٣٢٢٨).

(٥) زاد أحمد وغيره هنا: «للتوبة».

ذلك الباب مفتوحاً حتى تطلُعَ الشمس نحوه، فإذا طلعت من نحوه؛ لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»[1].

وروى الطبراني عن صفوان بن عسال:

«إن للتوبة باباً عرض ما بين مصراعيه ما بين المشرق والمغرب، لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها»[2].

ورواه الطبراني عن صفوان بن عسال؛ بلفظ:

«للتوبة باب بالمغرب، مسيرة سبعين عاماً، لا يزال كذلك حتى يأتي بعض آيات ربك؛ طلوع الشمس من مغربها»[3].

وروى أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها، ورآها الناس؛ آمنوا أجمعون؛ فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل».

وفي لفظ عند ابن ماجه: «آمن مَن عليها»؛ بدل: «آمنوا أجمعون»[4].

وروى مسلم عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من تاب قبل أن تطلُعَ الشمس من مغربها؛ تاب الله عليه»[5].

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٢٢٢٥).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٢١٧٣).

(٣) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٥٠٥٧).

(٤) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٧٢٨٩)، وهو عند ابن ماجه (رقم ٣٢٨٧).

(٥) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٦٠٠٩).

وفي هٰذه الأحاديث فوائد كثيرة؛ منها:

أولاً: سجود الشمس لباريها:

«وهٰذا السجود لا ندري كيفيته، بل يعلمه خالقها الذي يسجد له أمامنا الشجر والدوابُّ والجبال ولا نعلم كيفيته، فهٰذه بتلك»[1].

قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ في السَّماواتِ ومَنْ في الأَرْضِ والشَّمْسُ والقَمَرُ والنُّجومُ والجِبالُ والشَّجَرُ والدَّوابُّ وكَثيرٌ مِنَ النَّاسِ وكَثيرٌ حَقَّ عَليهِ العَذابُ ومَنْ يُهِنِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشاءُ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إلى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤا ظِلالَهُ عَنِ اليَمينِ والشَّمائِلِ سُجَّداً للهِ وهُمْ دَاخِرونَ . ولله يَسْجُدُ مَا فِي السَّماواتِ ومَا في الأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ والمَلائِكَةُ وهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرونَ . يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ويَفْعَلونَ مَا يُؤمَرونَ﴾[3].

قال ابن كثير:

«يخبر تعالى عن عظمته وكبريائه الذي خضع له كل شيء ودانت له الأشياء بأسرها جماداتها وحيواناتها ومكلفوها من الإنس والجن والملائكة، فأخبر أن كلَّ ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال؛ أي: بكرة وعشيّاً؛ فإنه ساجد بظلِّه لله تعالى»[4].

---

(١) «ترتيب أحاديث صحيح الجامع» لعوني الشريف وعلي حسن عبدالحميد (٤ / ١٩٥ / حاشية).

(٢) الحج: ١٨.

(٣) النحل: ٤٨ ـ ٥٠.

(٤) «تفسير ابن كثير» (٢ / ٥٧٢).

وقال تعالى:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ والأَرْضُ ومَنْ فيهِنَّ وإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ولٰكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَليماً غَفوراً﴾[1].

قال ابن كثير:

«يقول تعالى: تقدِّسه السماوات السبع والأرض ومن فيهنَّ من المخلوقات وتنزِّهه وتعظِّمه وتبجِّله وتكبِّره عما يقول هٰؤلاء المشركون وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلٰهيته.

﴿وإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾؛ أي: وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله.

﴿ولٰكِنْ لا تَفْقَهونَ تَسبيحَهُمْ﴾؛ أي: لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس؛ لأنها بخلاف لغاتكم.

وهٰذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات، وهٰذا أشهر القولين؛ كما ثبت في «صحيح البخاري» عن ابن مسعود: أنه قال: «كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»[2]»[3].

---

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري، وهو في «فتح الباري» (رقم ٣٥٧٩)، ونصه: «كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقلَّ الماء، فقال: اطلبوا فضلة من ماء. فجاؤوا بإناءٍ فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: حيَّ على الطهور المبارك والبركة من الله. فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام والحصى وهو يؤكل».

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣ / ٤١ و٤٢).

وروى ابن ماجه عن ابن عباس؛ قال:

«كنت عنـد النبي ﷺ، فأتاه رجلٌ، فقال: إني رأيت البارحة فيما يرى النـائم كأني أصلي إلى أصل شجرة، فقرأت السجدة، فسجدت، فسجدت الشجرة لسجودي، فسمعتها تقول: «اللهم احطط عني بها وزراً، واكتب لي بها أجراً، واجعلها لي عندك ذخراً».

قال ابن عباس:

«فرأيت النبي ﷺ قرأ السجدة، فسجد، فسمعته يقول في سجوده مثل الذي أخبره الرجل عن قول الشجرة»[1].

ولفظ الترمذي: «فسمعتها وهي تقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبَّلها مني كما تقبَّلتها من عبدك داود»[2].

ثانياً:

الآيات العظيمة كما يقول الطيبي رحمه الله أمارات للساعة دالَّة إما على قربها وإما على حصولها.

ومن الدال على قربها: الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، والخسف.

ومن الدال على حصولها: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس[3].

---

(١) وهو في «صحيح ابن ماجه» لشيخنا الألباني (رقم ٨٦٥).

(٢) وهو في «صحيح الترمذي» لشيخنا الألباني (رقم ٤٧٣).

(٣) «فتح الباري» (١١ / ٣٥٢ و٣٥٣).

ثالثاً

الذي يترجَّح من مجموع الأخبار أن طلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي وينتهي ذٰلك بقيام الساعة[1].

رابعاً

التوبة لها باب مفتوح قبل مغرب الشمس، عرضه مسيرة سبعين عاماً، يغلق عند طلوع الشمس من مغربها.

* وهل تقبل التوبة بعد ذٰلك؟ والجواب:

ـ إن كان طلوع الشمس من مغربها أول الآيات العظام عموماً؛ فنعم.

ـ وإن سُبِق طلوع الشمس من مغربها بآيات أخرى؛ كنزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، والدجال؛ فلا، وهٰذا هو الأرجح، والله أعلم.

* وبيان ذٰلك:

ـــ حديث أبي هريرة عند مسلم:

«من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها؛ تاب الله عليه»

قال الحافظ:

«فمفهومه أن من تاب بعد ذٰلك لا تقبل»[2].

ـ حديث معاوية عند أحمد وأبي داود:

---

(1) «فتح الباري» (١١ / ٣٥٣).

(2) «فتح الباري» (١١ / ٣٥٤).

«لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»[1].

فمفهومه أن التوبة تنقطع بعد ذٰلك.

ـ حديث ابن السعدي ـ وهو عبدالله بن وقدان ـ عند أحمد: أن النبي ﷺ قال:

«لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يُقاتل».

فقال معاوية وعبدالرحمٰن بن عوف وعبدالله بن عمرو بن العاص: إن النبي ﷺ قال:

«إن الهجرة خصلتان: إحداهما أن تهجر السيئات، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تُقُبِّلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من الغرب، فإذا طلعت؛ طبع على كل قلب بما فيه، وكفي الناس العمل»[2].

فمفهومه أن التوبة لا تُقبل بعد ذٰلك، ويُطبع على كل قلب بما فيه.

ـ حديث أبي موسى عند أحمد ومسلم: عن النبي ﷺ؛ قال:

«إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»[3].

فمفهومه أن الله لا يقبل توبة مسيء الليل والنهار بعد طلوع الشمس من مغربها.

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٣٤٦).

(٢) وهو في «إرواء الغليل» لشيخنا (رقم ١٢٠٨).

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ١٨٦٧).

فإذا كانت التوبة لا تقبل بعد طلوع الشمس من مغربها، وكان طلوع الشمس من مغربها أوَّل الآيات عموماً؛ فكيف ينزل عيسى عليه السلام بعد ذٰلك ولا يقبل من المشركين إلا الإسلام أو القتل؟

وللإجابة على هٰذا التساؤل لا بدَّ من القول: إن نزول عيسى عليه السلام يسبق خروج الشمس من مغربها.

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال البيهقي في «البعث والنشور»: باب خروج يأجوج ومأجوج، فصل: ذكر الحليمي أن أول الآيات الدجال، ثم نزول عيسى؛ لأن طلوع الشمس من المغرب؛ لو كان قبل نزول عيسى؛ لم ينفع الكفَّار إيمانهم في زمانه، ولكنه ينفعهم، إذ لو لم ينفعهم؛ ما صار الدين واحداً بإسلام من أسلم منهم.

قال البيهقي: وهو كلام صحيح، لو لم يعارض الحديث الصحيح المذكور: إن «أول الآيات طلوع الشمس من المغرب»[1]، وفي حديث عبدالله بن عمرو[1]: «طلوع الشمس أو خروج الدابَّة»، وفي حديث أبي حازم[2] عن أبي هريرة الجزم بهما وبالدجال في عدم نفع الإيمان.

قال البيهقي: إن كان في علم الله أن طلوع الشمس سابق؛ احتمل أن يكون المراد نفي النفع عن أنفس القرن الذين شاهدوا ذٰلك، فإذا انقرضوا، وتطاول الزمان، وعاد بعضهم إلى الكفر؛ عاد تكليفه الإيمان بالغيب، وكذا في قصة الدجال، لا ينفع إيمان من آمن بعيسى عند مشاهدة الدجال، وينفعه بعد انقراضه، وإن كان في علم الله طلوع الشمس بعد نزول عيسى؛ احتمل أن

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سيأتي بيانه.

يكون المراد بالآيات في حديث عبدالله بن عمرو آيات أخرى غير الدجال ونزول عيسى».

قال الحافظ:

«قلت: وهٰذا الثاني هو المعتمد»(١).

ويظهر لي ـ والله أعلم ـ من كلام البيهقي رحمه الله أنه كان يرى أن التوبة لا تنفع بظهور واحد من الثلاثة(٢): الدجال، ودابة الأرض، وطلوع

---

(١) «فتح الباري» (١١ / ٣٥٤).

(٢) وهي التي جاءت في الحديث الذي رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث إذا خرجْن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجَّال، ودابة الأرض»(أ).

قلت: يحتمل معنى: «ثلاث إذا خرجن»؛ أي: انتهى خروجهن كلهن، فمن لم يؤمن ولم يتَّعظ عند خروج الآية الأولى ـ وهي الدجَّال ـ وهو يشاهد فتنه وضلالاته؛ فهو ممَّن ران الكفر على قلوبهم؛ فعند ذٰلك لا تنفعه توبته عند مشاهدة الآية العظمى، وهي طلوع الشمس من مغربها.

وهٰذا بمعنى الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله ليقبل توبة العبد ما لم يغرغر»(ب).

فالذي يمرض مرض الموت، ولا يبادر إلى التوبة؛ أملاً منه أنه سيشفى ويعيش بعدها؛ لا تنفعه التوبة عند معاينة ملك الموت عند الغرغرة.

وهٰذا ما حصل مع فرعون؛ فإنه آمن عند معاينة العذاب، فلم ينفعه ذٰلك.

قال تعالى: **﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنودُه بغياً وعدْواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إلٰه إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . آلآن وقد عصيْت قبل وكنت من المفسدين﴾**(ج). =

(أ) وهو في «صحيح الجامع» (٣٠٢٠).

(ب) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا (رقم ١٨٩٩).

(ج) يونس: ٩٠ ـ ٩١.

الشمس من مغربها، وأن هناك استثناء لذلك، وهو المدة التي يحكم بها عيسى عليه السلام بعد الدجال، حيث تقبل توبة من تاب؛ لأن الله يُهلك الملل كلها إلا الإسلام».

خامساً: الخلاصة:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

«الذي يترجَّح من مجموع الأخبار: أن خروج الدجَّال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامَّة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعلَّ خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب».

وقال أيضاً:

قال ابن كثير: «آمن حيث لا ينفعه الإيمان، ولهذا قال الله تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال: ﴿آلآن وقد عصيتَ قبلُ﴾؛ أي: أهذا الوقت تقول وقد عصيت الله قبل هذا فيما بينك وبينه وكنت من المفسدين في الأرض الذين أضلوا الناس»[د].

وهذا المعنى هو الذي تدلُّ عليه آيات الكتاب: أن التوبة لا تنفع عند معاينة العذاب؛ إلا مَن استثنى الله عزَّ وجلَّ؛ كقوم يونس عليه السلام.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: **﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون . أثمَّ إذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون﴾**[هـ].

وقوله تعالى: **﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنَّا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلـم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنَّة الله التي قد دخلت في عباده وخسر هنالك المبطلون﴾**[و].

(د) «تفسير ابن كثير» (٢ / ٤٣٠).

(هـ) يونس: ٥٠ ـ ٥١.

(و) غافر: ٨٤ و٨٥.

«إذا طلعت الشمس من المغرب؛ أغلق باب التوبة، ولم يفتح بعد ذٰلك وإن ذٰلك لا يختصُّ بيوم الطلوع، بل يمتدُّ إلى يوم القيامة، وإن طلوع الشمس من مغربها أول الإنذار بقيام الساعة»[1].

وأختم حديثي عن هٰذه الآية العظمى ـ وهي طلوع الشمس من مغربها ـ بذكر الآية الكريمة في سورة الأنعام والتي فسِّرت بأحاديث رسول الله بطلوع الشمس من مغربها.

قال تعالى:

﴿هَلْ يَنْظُرونَ إلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَو يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ ربِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أو كَسَبَتْ في إيمانِها خَيْراً قُلِ انْتَظِروا إنَّا مُنْتَظِرونَ﴾[2].

قال ابن كثير:

«يقول تعالى متوعِّداً للكافرين به والمخالفين لرسله والمكذِّبين آياته والصادِّين عن سبيله: ﴿هَلْ يَنْظُرونَ إلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾، وذٰلك كائن يوم القيامة، ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها﴾، وذٰلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها.

وقوله تعالى: ﴿لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: إذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذ؛ لا يُقبل منه، فأما من كان مؤمناً قبل ذٰلك، فإن كان مصلحاً في عمله؛ فهو بخير عظيم، وإن لم يكن مصلحاً، فأحدث توبة حينئذ؛

(١) «فتح الباري» (١١ / ٣٥٣ و٣٥٥).
(٢) الأنعام: ١٥٨.

لم تُقْبَل منه توبته؛ كما دلَّت عليه الأحاديث المتقدِّمة.

وعليه يُحمل قوله تعالى: ﴿أو كَسَبَتْ في إيمانِها خَيْراً﴾؛ أي: ولا يُقبل منها كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملاً به قبل ذٰلك.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ انْتَظِروا إنَّا مُنْتَظِرونَ﴾: تهديد شديد للكافرين، ووعيد أكيد لمن سوَّف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذٰلك، وإنما كان هٰذا الحكم عند طلوع الشمس من مغربها؛ لاقتراب الساعة، وظهور أشراطها»[1].

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال ابن عطيَّة وغيره ما حاصله: معنى الآية: أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب، وكذٰلك العاصي لا تنفعه توبته، ومَن لم يعمل صالحاً من قبل، ولو كان مؤمناً؛ لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب.

وقال القاضي عياض: المعنى: لا تنفع توبةٌ بعد ذٰلك، بل يُختَم على عمل كل أحد بالحالة التي هو عليها»[2].

ومن شاء المزيد؛ فليراجع «فتح الباري»[3].

* * * * *

---

(1) «تفسير ابن كثير» (٢ / ٤٣٠).

(2) «فتح الباري» (١١ / ٣٥٣).

(3) «فتح الباري» (١١ / ٣٥٢) وما بعدها.

الفصل الثاني
أشراط تبدأ بالسماء وتنتهي بالأرض

المبحث الأول

الدخان

آية كبرى غير معتادة حدثت وسيتكرر حدوثها.

قال تعالى:

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبينٍ . يَغْشَى النَّاسَ هٰذا عَذابٌ أَليمٌ . رَبَّنا اكْشِفْ عَنَّا العَذابَ إِنَّا مُؤمِنونَ . أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وقَدْ جاءَهُمْ رَسولٌ مُبينٌ . ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وقالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنونٌ . إِنَّا كَاشِفو العَذابِ قَليلاً إِنَّكُمْ عَائِدونَ . يومَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمونَ﴾[1].

قال القرطبي:

«﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبينٍ﴾: ارتقب؛ معناه: انتظر يا محمد بهٰؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين؛ قاله قتادة. وقيل: معناه: احفظ قولهم هٰذا لتشهد عليهم يوم تأتي السماء بدخان مبين».

(١) الدخان: ١٠ ـ ١٦.

ثم قال:

«وفي الدخان أقوال ثلاثة:

الأول: أنه من أشراط الساعة لم يجىء بعد.

الثاني: أن الدخان هو ما أصاب قريشاً من الجوع بدعاء النبي ﷺ حتى كان يرى الرجل بين السماء والأرض دخاناً.

الثالث: أنه يوم فتح مكّة لما حجبت السماء الغبـرة»(١).

«وهٰذا القول غريب جدّاً، بل منكر»(٢).

والأحاديث تؤيد القول الأول والثاني، وهٰذا هو البيان:

ــ روى الشيخان عن عبدالله بن مسعود؛ قال:

«خمس قد مضين: اللزام، والروم، والبطشة، والقمر، والدخان»(٣).

ــ روى الشيخان عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال:

إنما كان هٰذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ؛ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد، حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبينٍ . يَغْشَى النَّاسَ هٰذا عَذابٌ أَليمٌ﴾. قال: فأتي رسول الله ﷺ، فقيل: يا رسول الله! استسق الله لمضر؛ فإنها قد هلكت. قال: «لِمُضَرَ؟! إنك لجريء». فاستسقى، فسقوا، فنزلت: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾،

(١) «تفسير القرطبي» (١٦ / ١٣٠ ـ ١٣١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤ / ١٣٨).

(٣) وهو في «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٧ / ١٤٢)، وفي «فتح الباري» (كتاب التفسير، ٨ / ٥٧٤)، وسيأتي تفسيرها.

فلما أصابتهم الرفاهية؛ عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرى إنَّا مُنْتَقِمونَ﴾[1]؛ قال: يعني يوم بدر.

ــ وروى البخاري عن مسروق؛ قال:

دخلت على عبدالله، فقال: إن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم. إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ومَا أنا مِنَ المُتَكَلِّفينَ﴾[1]، إن قريشاً لما غلبوا النبي ﷺ واستعصوا عليه؛ قال: «اللهمَّ أعنِّي عليهم بسبع كسبع يوسف»، فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع، ﴿قَالوا رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذابَ إِنَّا مُؤمِنونَ﴾، فقيل له: إن كشفنا عنهم؛ عادوا، فدعا ربَّه، فكشف عنهم، فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبينٍ. . .﴾ إلى قوله جلَّ ذكره: ﴿إِنَّا مُنْتَقِمونَ﴾[2].

ــ وروى البخاري عن مسروق؛ قال:

دخلت على عبدالله، ثم قال: إن رسول الله ﷺ لما دعا قريشاً؛ كذَّبوه، واستعصوا عليه، فقال: «اللهمَّ أعنِّي عليهم بسبع كسبع يوسف»، فأصابتهم سنةٌ حصَّت[3] كل شيء، حتى كانوا يأكلون الميتة، وكان يقوم أحدهم، فكان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجهد والجوع، ثم قرأ: ﴿فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبينٍ. يَغْشى النَّاسَ هٰذا عَذابٌ أَليمٌ﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّا كَاشِفوا العَذابِ قَليلاً إِنَّكُمْ عَائِدونَ﴾. قال عبدالله: أفيكشف عنهم العذاب يوم

(١) «اللؤلؤ والمرجان» (رقم ١٧٨٣).

(٢) أخرجه: البخاري (٦٥ كتاب التفسير، ٤٤ سورة الدخان، باب ﴿ربنا اكشف عنا العذاب﴾).

(٣) حصَّت: جرَّدت وأذهبت، يُقال: سنة حصاء؛ أي: جرداء، لا غيث فيها.

القيامة؟ قال: والبطشة الكبرى يوم بدر[1].

ـ وروى البخاري عن مسروق؛ قال: قال عبدالله:

إن الله بعث محمداً ﷺ، وقال: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾؛ فإن رسول الله ﷺ لما رأى قريشاً استعصوا عليه، فقال: «اللهمَّ أعنِّي عليهم بسبع كسبع يوسف»، فأخذتهم السنة، حتى حصَّت كل شيء، حتى أكلوا العظام والجلود، وقال أحدهم: حتى أكلوا الجلود والميْتة، وجعل يخرج من الأرض كهيئة الدخان، فأتاه أبو سفيان، فقال: أي محمد! إن قومك قد هلكوا، فادع الله أن يكشف عنهم، فدعا، ثم قال: تعودوا بعد هٰذا. في حديث منصور: ثم قرأ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ...﴾ إلى: ﴿عَائِدُونَ﴾؛ أيكشف عنهم عذاب الآخرة؟ فقد مضى الدخان والبطشة واللزام[2]، وقال أحدهم: القمر، وقال الآخر: الروم[3].

ـ وروى الإمام مسلم عن مسروق؛ قال:

كنا عند عبدالله جلوساً وهو مضطَجع بيننا، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبدالرحمٰن! إن قاصّاً عند أبواب كِنْدة يقصُّ ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام. فقال عبد الله ـ وجلس وهو غضبان ـ: يا أيها الناس! اتقوا الله، مَن علم منكم شيئاً؛ فليقل بما يعلم، ومَن لم يعلم؛ فليقل: الله أعلم؛ فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم؛

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥ كتاب التفسير، ٤٤ تفسير سورة الدخان، ٤ باب: ﴿أنى لهم الذكرى﴾).

(٢) الهلكة، وقيل: هو البطشة.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥ كتاب التفسير، ٤٤ تفسير سورة الدخان، ٥ باب: ﴿ثم تولَّوا عنه﴾).

فإن الله عز وجل قال لنبيه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ومَا أَنا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾، إن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إدباراً، فقال: «اللهمَّ سبع كسبع[1] يوسف». قال: فأخذتهم سنة حصَّت كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر إلى السماء أحدهم فيرى كهيئة الدخان، فأتاه أبو سفيان، فقال: يا محمد! إنك جئت تأمر بطاعة الله وصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم. قال الله عز وجل: ﴿فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبينٍ. يَغْشى النَّاسَ هٰذا عَذابٌ أَليمٌ... ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدونَ﴾. قال: أفيكشف عذاب الآخرة؟! ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرى إِنَّا مُنْتَقِمونَ﴾، فالبطشة يوم بدر، وقد مضت آية الدخان والبطشة واللزام وآية الروم[2].

هٰذه هي الروايات المختلفة في البخاري ومسلم لآية الدخان، ونستخلص منها ما يلي:

أولاً:

تبين هٰذه الروايات صراحة أن الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود كان يرى أن آية الدخان قد مضت.

وفي رواية مسلم قول عبدالله بن مسعود: «أفيكشف عذاب الآخرة؟!»؛ قال النووي:

«هٰذا استفهام إنكار على من يقول: إن الدخان يكون يوم القيامة؛ كما صرَّح به في الرواية الثانية، فقال ابن مسعود: هٰذا قول باطل؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا كَاشِفُو العَذابِ قَليلاً إِنَّكُمْ عَائِدونَ﴾، ومعلوم أن كشف العذاب ثم

(١) أي في شدتها كالسنوات التي مرت بقوم يوسف.

(٢) وهو في «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٧ / ١٤٠)

عودهم لا يكون في الآخرة، إنما هو في الدنيا»[1].

ثانياً:

تبيِّن هٰذه الروايات أن الدخان إنما كان يراه الناس من الجهد والجوع، فكانوا يرونه بينهم وبين السماء؛ كما صرحت بذٰلك بعض الروايات، وأحياناً يخرج من الأرض؛ كما صرحت روايات أخرى.

وقد جمع الحافظ بين الروايات، فقال:

«ولا تدافع بينهما؛ لأنه يُحمل على أنَّه كان مبدؤه من الأرض ومنتهاه ما بين السماء والأرض، ولا معارضة أيضاً بين قوله: «يخرج من الأرض» وبين قوله: «كهيئة الدخان»؛ لاحتمال وجود الأمرين؛ بأن يخرج من الأرض بخار كهيئة الدخان من شدة حرارة الأرض ووهجها من عدم الغيث، وكانوا يرون بينهم وبين السماء مثل الدخان من فرط حرارة الجوع، والذي كان يخرج من الأرض بحسب تخيُّلهم ذٰلك من غشاوة أبصارهم من فرط الجوع»[2].

ثالثاً:

يشكل على هٰذا الفهم ما يلي:

١ ـ الآيات الكريمة صريحة تماماً في أن الذي يأتي من السماء دخان مبين، ولا يجوز أن نحمل الدخان في الآية الكريمة على أنه تهيؤ إلا بقرينة، ولا قرينة هنا.

٢ ـ حديث أبو سريحة حذيفة بن أسيد رضي الله عنه، وفيه أن الدخان هو أحد الآيات الكبرى قبيل قيام الساعة.

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٧ / ١٤٠).

(٢) «فتح الباري» (٨ / ٥٧٤).

روى مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري؛ قال:

اطَّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذكرون؟». قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات (فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذٰلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم)»[1].

٣ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وذكر فيه الدخان كآية من ست آيات؛ إذا ظهرت؛ شغل الناس بها عن الأعمال، فأمروا بالمبادرة إلى الأعمال قبل ظهورها.

روى أحمد ومسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ؛ قال:

«بادروا بالأعمال ستّاً: طلوع الشمس من مغربها، والدُّخان، ودابَّة الأرض، والدجال، وخُوَيْصة[2] أحدكم، وأمر[3] العامة»[4].

يُفهم من هٰذا الحديث أمور تعارض فهم ابن مسعود رضي الله عنه أن آية الدخان قد مضت، وهٰذه الأمور هي:

أ - الخطاب في هٰذا الحديث إنما هو للمؤمنين، يحثهم على الأعمال الصالحة قبل ظهور هٰذه الآيات الست، فإذا كان الدخان قد أصاب قريشاً؛ فلا يصلح هٰذا الخطاب لهم؛ لأنهم كفار.

---

(١) «مختصر مسلم» بتحقيق شيخنا (رقم ٢٠٣٧)، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ١٦٣١).

(٢) يعني: الموت.

(٣) أي: القيامة.

(٤) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٢٨١٠)

ب ـ راوي الحديث إنما هو أبو هريرة، وهو يروي شيئاً سمعه من رسول الله ﷺ؛ فقد سمعه منه بعد إسلامه، وهو قد أسلم يوم خيبر، وذٰلك بعد الهجرة، فكيف يأمر رسول الله ﷺ بالمبادرة إلى الأعمال قبل ظهور أمر قد ظهر وانتهى؟!

ج ـ أخبر رسول الله ﷺ في هٰذا الحديث عن آيات عظمى يُشغل عند وقوعها الإنسان، أصغرها موت الإنسان، وكلها لم تقع، مما يستبعد معه أن يتكلَّم أو يذكر أمراً قد حدث وانقضى.

رابعاً:

وخلاصة القول في هٰذه الآية أن الدخان دخانان:

١ ـ دخان مضى، وهو دخان التهيؤ الذي رآه أهل مكة بسبب الجوع.

٢ ـ والدخان الحقيقي، وهو الآية العظيمة بين يدي الساعة.

قال القرطبي رحمه الله في «التذكرة»:

«قال أبو الخطاب بن دحية: والذي يقتضيه النظر الصحيح حمل ذٰلك على قضيتين: إحداهما وقعت وكانت، والأخرى ستقع وستكون، فأما التي كانت؛ فالتي كانوا يرون فيها كهيئة دخان، وهو غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من الأشراط والعلامات، ولا يمتنع إذا ظهرت هٰذه العلامة أن يقولوا: ﴿رَبَّنا اكْشِفْ عَنَّا العَذابَ إِنَّا مُؤْمِنونَ﴾، فيكشف عنهم، ثم يعودون؛ لقرب الساعة، وقول ابن مسعود لم يسنده إلى النبي ﷺ، إنما هو من تفسيره، وقد جاء النص عن رسول الله ﷺ بخلافه»[1].

---

(١) «التذكرة» (ص ٧٤١).

وذكر القرطبي أيضاً في «التذكرة»؛ قال:

«قال مجاهد: كان ابن مسعود يقول: هما دخانان، قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر؛ فتنثقب مسامعه، فتبعث عند ذٰلك الريح الجنوب من اليمن، فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى شرار الناس»[1].

قلت: إن صح هٰذا عن ابن مسعود؛ فقد ارتفع الإشكال بين الروايات المختلفة، وإن لم يصح؛ فقد عرفت كيفية رفع الأشكال، والله الموفق لا رب سواه.

* * * * *

---

(١) «التذكرة» (ص ٧٤١).

المبحث الثاني

نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام

وأختم حديثي عن الأشراط السماوية بالحديث عن آية كبرى لم تقع بعد، وهي غير معتادة، وإنما قلت: غير معتادة؛ لأجل طريقة حدوثها، وإلا؛ فقد اعتاد الناس أن يبعث الله الرسل من أهل الأرض، واعتادوا أن ينزل الروح الأمين على رسل الله مبلغاً إياهم، ولكن غير المعتاد أن ينزل من السماء بشر سبق وأن أرسل إلى قومه فادَّعوا قتله وصلبه فكذبهم الله في القرآن الكريم؛ مبيناً لهم أنه سيعود.

هٰذه الآية هي نزول عيسى عليه السلام من السماء الدنيا إلى الأرض.

أولاً: الآيات الدالة على نزول عيسى وما يفهم منها:

قال تعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وقَتْلِهِمُ الأنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وقَوْلِهِمْ قُلوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عليها بِكُفْرِهِمْ فلا يُؤمِنونَ إلَّا قَليلاً . وبِكُفْرِهِمْ وقَوْلِهِمْ عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظيماً . وقَوْلِهِمْ إنَّا قَتَلْنا المَسيحَ عِيسى ابنَ مَرْيَمَ رسول الله ومَا قَتَلوهُ ومَا صَلَبوهُ ولكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وإنَّ الَّذينَ اختَلَفوا فيه لَفي شَكٍّ منهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وما قَتَلوهُ يَقيناً. بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إليهِ وكانَ اللهُ عَزيزاً حَكيماً. وإنْ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ إلاَّ لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ويَوْمَ القِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهيداً﴾[1].

وقال تعالى:

﴿ولَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذا قَوْمُكَ منهُ يَصِدُّونَ . وقالوا ءَأٰلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ

(١) النساء: ١٥٥ - ١٥٩.

هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمونَ . إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وجَعَلْناهُ مَثَلًا لِبَني إِسْرائيلَ . ولَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً في الأَرْضِ يَخْلُفونَ . وإِنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بها واتَّبِعونَ هٰذا صِراطٌ مُستَقيمٌ﴾[1].

وتدل هٰذه الآيات على ما يلي :

١ ـ أن عيسى عليه السلام ـ على الراجح من أقوال العلماء ـ حيٌّ في السماء، وأنه سينزل في آخر الزمان كما تواترت بذٰلك الأحاديث.

٢ ـ أن أهل الكتاب سيؤمنون به عند نزوله وقبل موته، وهٰذا هو الراجح من أقوال العلماء.

قال ابن كثير:

«وهٰذا القول هو الحق كما سنبينه بالدليل القاطع إن شاء الله، وبه الثقة، وعليه التكلان»[2].

وقال أيضاً:

«قال ابن جرير: وأولى هٰذه الأقوال بالصحة القول الأول، وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام».

قال ابن كثير:

«ولا شك أن هٰذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادَّعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من

---

(١) الزخرف: ٥٧ ـ ٦١.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١ / ٥٧٦).

سلَّم لهم من النصارى الجهلة ذٰلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذٰلك، وإنما شُبِّه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبيَّنون ذٰلك، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باق حيٌّ، وإنه سينزل قبل يوم القيامة؛ كما دلَّت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء الله قريباً، فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية؛ يعني: لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هٰذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلَّف عن التصديق به واحد منهم، ولهٰذا قال: ﴿وإنْ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ إلَّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾؛ أي: قبل موت عيسى عليه السلام الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب»(١).

وروى أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«والذي نفسي بيده؛ ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسِر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وإنْ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ إلَّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ويَوْمَ القِيامَةِ يَكونُ عَلَيْهِمْ شَهيداً﴾(٢).

قال الحافظ في «الفتح»:

«وقوله في الآية ﴿وإنْ﴾؛ بمعنى: (ما)؛ أي: لا يبقى أحد من أهل الكتاب ـ وهم اليهود والنصارى ـ إذا نزل عيسى؛ إلا آمن به، وهٰذا مصير من

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١ / ٥٧٧).

(٢) «فتح الباري» (أحاديث الأنبياء، ٦ / ٣٤٤٨).

أبي هريرة إلى أن الضمير في قوله: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾، وكذٰلك: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾؛ يعـود على عيسى؛ أي: إلا ليؤمن بعيسى قبل موت عيسى، وبهٰذا جزم ابن عباس فيما رواه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عنه بإسناد صحيح صحيح»[1].

٣ ـ أن نزول عيسى عليه السلام دلالة وعلامة على قرب الساعة[2].

ثانياً: أمور تتعلَّق بعيسى عليه السلام:

وقد وردت أحاديث كثيرة بأسانيد صحيحة تبيِّن أموراً كثيرة تتعلَّق بعيسى عليه السلام، ومنها:

١ ـ هو قاتل الدجَّال، ولن يسلَّط على الدَّجَّال أحدٌ أبداً حتى يكون عيسى عليه السلام هو الذي يقتله:

روى الترمذي عن مجمّع بن جارية الأنصاري؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقتلُ ابن مريم الدجَّال بباب[3] لدٍّ»[4].

وفي رواية أحمد عن مجمع بن جارية: «ليقتلنَّ ابن مريم الدجَّال بباب لدّ»[5].

وجاء في حديث ابن صياد من رواية مسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وفيه:

---

(١) «فتح الباري» (٦ / ٤٩٢).

(٢) وهٰذا في القراءة الأخرى: ﴿وإنه لَعَلَمٌ للساعة﴾، وهي قراءة شاذة للأعمش.

(٣) قرية قريبة من بيت المقدس.

(٤) «صحيح الجامع» (رقم ٧٩٨٢).

(٥) «صحيح الجامع» (٥٣٣٨).

. . . فقال عمر بن الخطاب: ذرْني يا رسول الله أضربْ عُنُقَه. فقال له رسول الله ﷺ: «إنْ يَكُنْهُ؛ فلن تسلَّط عليه، وإن لم يكنْه؛ فلا خير لك في قتله»[1].

٢ ـ من كان مع عيسى عليه السلام؛ فهو في حرز من النار:

روى أحمد والنسائي والضياء عن ثوبان:

«عصابتان من أمتي أحرزهما[2] الله من النار: عصابة[3] تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم»[4].

وفي حديث النواس بن سمعان عند أحمد ومسلم والترمذي، وفيه:

«. . . ثم يأتي عيسى قومٌ قد عصمهم الله منه[5]، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة»[6].

٣ ـ رخاء العيش وطيبه بعد نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال:

روى الديلمي والضياء في «المنتقى من مسموعاته بمرو» عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ؛ قال:

«طوبى[7] لعيش بعد المسيح، طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء

(١) جزء من حديث، وهو في «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٤٤)، وفي «صحيح الجامع» (رقم ١٤٥٧).

(٢) صانهما وحفظهما.

(٣) جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين، ويُقال: عُصبة. «لسان العرب».

(٤) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٣٩٠٧).

(٥) أي: من الدجَّال، وسيأتي الحديث بتمامه.

(٦) جزء من حديث، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٤٠٤٢).

(٧) كلمة تعني هنا الخير والهناء.

في القطر[1]، ويؤذن للأرض في النبات، فلو بذرت حبّك على الصفا؛ لنبت، ولا تشاحَّ، ولا تحاسد، ولا تباغض، حتى يمرّ الرجل على الأسد ولا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره، ولا تشاحَّ[2]، ولا تحاسد، ولا تباغض»[3].

قال المناوي في «فيض القدير»:

«مقصود الحديث أن النقص في الأموال والثمرات ووقوع التحاسد والتباغض إنما هو من شؤم الذنوب، فإذا طهرت الأرض؛ أخرجت بركتها، وعادت كما كانت، حتى إن العصابة ليأكلون الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويكون العنقود من العنب وِقْر بعير، فالأرض إذا طهرت؛ ظهرت فيها آثار البركة التي محقتها الذنوب، ذكره ابن القيم، وبالعدل يحصل الأمان ويزول التعدِّي والعدوان»[4].

٤ ـ مكان نزوله:

روى أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم عن النواس بن سمعان، والطبراني عن أوس بن أوس: أن رسول الله ﷺ قال:

«ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق»[5].

قال ابن كثير:

«هٰذا هو الأشهر في موضع نزوله، وقد جدِّد بناء المنارة في زماننا في سنة

---

(١) المطر.

(٢) لا معاداة.

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (٣٨١٤).

(٤) «فيض القدير» (٤ / ٢٧٥).

(٥) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٨٠٢٥).

إحدى وأربعين وسبع مئة من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرَّقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعلَّ هٰذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة، حيث قيض الله بناء هٰذه المنارة البيضاء من أموال النصارى حتى ينزل عيسى بن مريم عليها فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ولا يقبل منهم جزية، ولكن من أسلم قُبِل إسلامه، وإلا قُتِل، وكذٰلك حكم سائر كفار الأرض يومئذ، وهٰذا من باب الإخبار عن المسيح بذٰلك، والتشريع له بذٰلك؛ فإنه إنما يحكم بمقتضى هٰذه الشريعة المطهرة»[1].

٥ ـ وصية رسول الله ﷺ لمن يُدرك عيسى ابن مريم من أمته:

روى الحاكم عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«من أدرك منكم عيسى بن مريم؛ فليقرئْهُ مني السلام»[2].

فمن أدركه؛ فلينفذ وصية رسول الله ﷺ.

٦ ـ عند نزوله يحكم بشريعة الإسلام:

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم فأمَّكم؟!»[3].

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: رسول الله ﷺ قال:

«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟!»[4].

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) «نهاية البداية والنهاية لابن كثير» (١ / ١٧٦).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٥٨٧٧).

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٤٤٦٦).

(٤) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٤٤٦٧).

«كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم، فأمَّكم منكم؟».

فقلت[1] لابن أبي ذئب: إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة: «وإمامكم منكم». قال ابن أبي ذئب: أتدري ما «أمَّكم منكم»؟ قلت: تخبرني. قال: فأمَّكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم[2].

ويستفاد من هٰذه الأحاديث:

أ ـ أن عيسى عليه السلام يحكم بالكتاب والسنة، وفي هٰذا رد على النصارى الذين يقولون: إنه سيحكم بالإنجيل، وردٌّ على بعض متعصِّبة المذاهب الذين زعموا أنه يحكم بمذهبهم.

ب ـ قال الحافظ في «الفتح»:

«قال ابن التين: معنى قوله: «وإمامكم منكم»: أن الشريعة المحمَّدية متصلة إلى يوم القيامة، وأن في كل قرن طائفة من أهل العلم»[3].

٧ ـ لباسه وهيئته عند نزوله عليه السلام وكيف ينزل؟

روى الطبراني عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«ينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، عليه ممصَّرتان[4]، كأن رأسه يقطر منه الجمان»[5].

---

(١) القائل هو الوليد بن مسلم، وشيخه في هٰذا الحديث هو ابن أبي ذئب.

(٢) وهو في «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٦٠).

(٣) «فتح الباري» (٦ / ٤٩٤ ـ أحاديث الأنبياء).

(٤) الممصَّرة من الثياب: هي التي فيها صفرة خفيفة.

(٥) «فضائل الشام ودمشق» بتحقيق شيخنا (رقم ٢٦).

وروى أحمد ومسلم والترمذي والحاكم عن النواس بن سمعان، وفيه:

«فبينما هو كذلك[1]؛ إذ بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين[2]، واضعاً كفَّيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ»[3].

٨ ـ من معجزاته عليه السلام عند نزوله:

أ ـ موت كل كافر يجد ريح نفسه أو يشمّه؛ ففي حديث النواس:

«. . . فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات»[3].

ب ـ نفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه؛ ففي حديث النواس أيضاً:

«. . . ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه»[3].

٩ ـ صفاته الخَلْقِيَّة عليه السلام:

كان مربوعاً، إلى الحمرة والبياض، سبط الشعر، وجاءت روايات صحيحة أنه آدم (أسمر) أدْمَةً جميلة للغاية جعد الشعر.

وروى الشيخان والنسائي عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ليلة أسري بي رأيت موسى، وإذا هو رجل ضرب[4]، كأنه من رجال

الجمان: هو صغار اللؤلؤ، ويُطلق على حبات من الفضة صغار تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد: يتحدَّر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فسماء الماء جماناً لشبهه به في الصفاء.

(١) أي: الدجال.

(٢) أي: ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران.

(٣) سبق ذكره، وسيأتي.

(٤) هو الرجل بين كثرة اللحم وقلّته.

شنـوءة[1]. ورأيت عيسى، فإذا هو رجـل ربعـة[2]، أحمـر، كأنمـا خرج من ديماس[3]. ورأيت إبراهيم، وأنا أشبه ولده به، ثم أتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر، فقيل لي: اشرب أيّهما شئت، فأخذت اللبن، فشربته، فقيل لي: أصبت الفطرة[4]، أما إنك لو أخذت الخمر؛ غوت[5] أمتك»[6].

روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال:

«رأيت ليلة أسـري بي موسى رجـلاً آدم طُوالاً جعـداً[7] كأنه من رجال شنـوءة، ورأيت عيسى رجـلاً مربـوع[8] الخلق إلى الحمـرة والبياض سبط[9] الرأس، ورأيت مالكاً خازن النار والدجّال» في آيات أراهن الله إياه، ﴿فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ﴾[10و11].

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«رأيت عيسى ومـوسى وإبـراهيم، فأمـا عيسى؛ فأحمـر جعـدٌ عريض

(١) قبيلة من اليمن معروفون بالطول.

(٢) ليس بالطويل ولا بالقصير، وبين النحيل والسمين.

(٣) حمام.

(٤) الإسلام.

(٥) ضلّت.

(٦) وهو في «صحيح الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٣٥٤٤).

(٧) ما كان خشناً وفيه التواء وتقبُّض.

(٨) بين الطول والقصر.

(٩) مسترسل الشعر.

(١٠) السجدة: ٢٢.

(١١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٣٤٧١).

الصدر، وأما موسى؛ فآدم جسيم[١] سبط كأنه من رجال الزُّط[٢]، وأما إبراهيم؛ فانظروا إلى صاحبكم(يعني: نفسه)»[٣].

وروى مسلم والترمذي عن جابر؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«عُرِضَ عليَّ الأنبياء، فإذا موسى ضَرْبٌ من الرجال كأنَّه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مريم، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم (يعني: نفسه ﷺ)، ورأيت جبريل، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً دحية»[٤].

وروى مالك وأحمد والشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أراني الليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما أنت راءٍ من أُدْم الرجال، له لِمَّةٌ كأحسن ما أنت راءٍ من اللِّمم، قد رجَّلها[٥]، فهي تقطر ماءً، متكئاً على رجلين، يطوف بالبيت، فسألت: من هٰذا؟ فقيل لي: المسيح ابن مريم، ثم إذا أنا برجل جعد[٦]، قطِطٍ، أعور العين اليمنى، كأنها عنبةٌ طافيةٌ[٧]، فسألت: من هٰذا؟ فقيل لي: المسيح الدجَّال».

---

(١) ضخم.

(٢) جنس من السودان والهنود.

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٣٤٦٥).

(٤) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٣٨٩٩).

(٥) مشَّطها.

(٦) قصير الشعر خَشِنه.

(٧) بارزة وجاحظة، ويُقال ذٰلك لحبة العنب التي خرجت عن حدِّ نبتة أخواتها، فظهرت من بينها وارتفعت.

وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«بينما أنا نائم، رأيتني أطوف بالكعبة، فإذا رجلٌ آدم سبط الشعر بين رجلين ينطف[1] رأسه ماء، فقلتُ: من هٰذا؟ قالوا: هٰذا ابن مريم. ثم ذهبت ألتفت، فإذا رجل أحمر، جسيم، جعد الرأس، أعور العين، كأن عينه عنبةٌ طافية، قلت: من هٰذا؟ قالوا: الدَّجّال، أقرب الناس شبهاً به ابن قطن[2]»[3].

والمتتبع لهٰذه الأحاديث يجد أن هناك تبايناً وتعارضاً في أوصاف موسى وعيسى عليهما السلام، ولا تعارض إن شاء الله:

أ ـ وُصِف موسى عليه السلام بأنه: «ضرب»، وهو الوسط بين النحيف والسمين، وفي رواية: «جسيم»، وهو الضخم، ويُجمع بينهما بأن المراد بالجسيم هنا الطويل.

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال عياض: وقع في الرواية الأخرى: «جسيم»، وهو ضد الضرْب؛ إلا أن يُراد بالجسيم الزيادة في الطول»

قال الحافظ:

«والذي يتعيَّن المصير إليه ما جوَّزه عياض: أن المراد بـ «الجسيم» في صفة موسى الزيادة في الطول، ويؤيده قوله في رواية: «كأنه من رجال الزط»، وهم طوال غير غلاظ»[4].

---

(١) يقطر.

(٢) رجل من خزاعة هلك في الجاهلية، وقيل غير ذٰلك، وسيأتي.

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٨٦٥).

(٤) «فتح الباري» (٦ / ٤٨٤).

ب - ووصف موسى أيضاً بأنه كان جعداً طوالاً:

قال الحافظ في «الفتح»:

«استنكر الداودي ذٰلك، فقال: لا أراه محفوظاً؛ لأن الطويل لا يوصف بالجعد، وتُعُقِّبَ بأنهما لا يتنافيان.

وقال النووي: الجعودة في صفة موسى جعودة الجسم، وهو اكتنازه واجتماعه، لا جعودة الشعر؛ لأنه جاء أنه كان رَجِل الشعر»[1].

ج - ووصف عيسى عليه السلام بأنه: «سبط الشعر»، وجاء في حديث آخر أنه: «جعد».

قال الحافظ في «الفتح»:

«ويمكن أن يُجْمَعَ بينهما بأنه سبط الشعر، ووصفه لجعودةٍ في جسمه لا شعره، والمراد بذٰلك اجتماعه واكتنازه»[2].

د - ووصف عيسى عليه السلام بأنه: «آدم»، وفي حديث آخر أنه: «أحمر»، وهناك أقوال مختلفة للتوفيق والجمع بين الأحاديث:

ـ الأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة، والآدم الأسمر، ويمكن الجمع بين الأمرين بأنَّه أحمرَّ لونه بسبب التعب، وهو في الأصل أسمر. قاله الحافظ في «الفتح»[2].

ـ الأحمر هو الأشقر، وآدم يعني أسمر، وهٰذا تناقض، فلعلَّه ليس المراد حقيقة الأدمة والحمرة، بل ما قاربهما. قاله شيخنا[3].

---

(١) «فتح الباري» (٦ / ٤٨٤).

(٢) «فتح الباري» (١ / ٤٨٦).

(٣) «مختصر صحيح مسلم» تعليقاً على الحديث (رقم ٧٨).

ـ جاء في «لسان العرب» ما نصه:

«قال أبو حنيفة: الأُدْمةُ: البياض».

فإن عرف هٰذا عند العرب؛ فلا إشكال، والحمد لله، حيث إن قوله ﷺ: «آدم» في وصف عيسى؛ أي: أبيض، فيرتفع الإشكال والحمد لله.

فإن قال قائل: لست مطمئناً لأي طريقة من طرق الجمع هٰذه، فما العمل؟

أقول وبالله التوفيق: إذا تبيَّن لنا أن طرق الجمع هٰذه غير صحيحة؛ نلجأ للترجيح، فقد رأى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء عيسى يقظة، ورآه يطوف بالكعبة مناماً، وفي هٰذه الحالة؛ فإن وصف رسول الله ﷺ لعيسى عليه السلام يقظة مقدَّم على وصفه له مناماً.

١٠ ـ ما يحدث في زمانه:

روى أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«والذي نفسي بيده؛ ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً وإماماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»[1].

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«والله لينـزلنَّ ابن مريم حكماً عادلاً، فليكسرنَّ الصليب، وليقتلنَّ

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٦٩٥٤).

الخنـزير، وليضعنَّ الجزية[1]، ولتُتْرَكَنَّ القلاص[2] فلا يُسعى عليها، ولتذهبنَّ الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعونَّ إلى المال فلا يقبله أحد»[3].

وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ليس بيني وبين عيسى نبيٌّ، وإنـه نازلٌ، فإذا رأيتموه؛ فاعرفوه: رجل مربـوع، إلى الحمرة والبياض، ينزل بين ممصَّرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بللٌ، فيُقاتل الناس على الإسلام، فيدقُّ الصليب، ويقتل الخنزير، ويضعُ الجـزية، ويُهلك الله في زمـانـه الملل كلهـا إلا الإسـلام، ويهلك المسيح الدجَّال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفَّى، فيصلِّي عليه المسلمون»[4].

وفي حديث الدجال الطويل الذي رواه ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء عن أبي أمامة، وفيه:

«... فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً؛ يدق الصليب، ويذبح[5] الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وتُرفع الشحناء والتباغض، وتنزع حُمَة كل ذات حمة، حتى يُدخل

---

(١) أي: لا يقبلها، ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام أو القتل، ومعنى هٰذا أن «الحديث يشعر بنسخ أخذ الجزية من الكفَّار في عهد عيسى عليه السلام، فالناسخ هو الحديث، وليس عيسى عليه السلام؛ فإنه يحكم بشريعتنا كما أفاد ذٰلك قوله: حَكَماً». قاله شيخنا في «مختصر مسلم» تعليقاً على الحديث (٢٠٥٩).

(٢) فتيات النوق.

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٦٩٧٦).

(٤) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٥٢٦٥).

(٥) كذا في هٰذا الحديث، والصحيح: «يقتل»؛ كما في الأحاديث الأخرى. قاله شيخنا

الوليد يده في الحية فلا تضره، وتضرُّ الوليدة الأسد فلا يضرُّها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتُملأ الأرض من السلم كما يُملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يُعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتُسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور الفضة، تنبت نباتها بعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدريهمات. . . »[1].

تبين هٰذه الأحـاديث طيب العيش وهناءه بعد أن يقتُل عيسى بن مريم الدجَّال، فهو قد نزل لتخليص هٰذه الأمة من الشر بأمر الله عز وجل.

ومما يكون في زمنه مما ورد في هٰذه الأحاديث:

أ ـ يكون عيسى عليه السلام حكماً عدْلاً بين الناس، وهٰذا ردٌّ على من زعم أن عيسى يحكم بالإنجيل، وهي دعوى النصارى، أو بمذهب معيَّن من المـذاهب الإسـلامية، وهي دعوى بعض متعصِّبة المذاهب، وإنما بالكتاب والسنة، وهو ردٌّ على من يزعم أنه يأتي بشرع من عنده، حيث يحكم بشريعة الإسلام.

ب ـ يقوم عليه السلام بكسر الصليب، وهو كسر حقيقي؛ ليرى النصارى واليهود الذين يؤمنون به وقتها أنهم كانوا على ضلال في دعواهم صلب المسيح وعدم اتباع ملَّة محمد ﷺ.

ج ـ يضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام، وهو لا يضعها من تلقاء نفسه، بل تنفيذاً لأمر إلهي جاء على لسان رسول الله ﷺ كما في الحديث.

د ـ يفيض المـال في أيدي النـاس، فيعـرض عليه السلام المال على

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٧٥٢)، وسيأتي تفصيله إن شاء الله.

الناس، فلا يقبله أحد، ولعلَّ زيادة المال من أسباب وضع الجزية.

هـ - يترك الناس السعي وراء الإبل للحصول عليها فخراً وخيلاء، أو لأي سبب آخر.

و - تختفي الشرور التي كان يؤدي إليها التنافس على المال؛ كالشحناء، والتباغض، والتحاسد.

ز - يَقْتل عليه السلام الخنزير؛ إمعاناً في بيان تحريمه، وتمنع تربيته مطلقاً، ويُباد.

ح - إقبال الناس على ربهم، وإيمانهم الشديد، وتركهم الدنيا ورا ظهورهم، حتى إن السجدة لأحدهم خير من الدنيا وما فيها

ط - هلاك كل الملل عدا الإسلام؛ لأن عيسى يُقاتل على الإسلام، فإما الإسلام أو القتل.

ي - هلاك المسيح الدجال، وقد مضى، وسيأتي مفصلاً إن شاء الله.

ك - يترك عليه السلام أخذ الصدقات؛ لعدم الحاجة إليها؛ لكثرة المال، فلا يسعى في طلب شاة أو بعير من أموال الصدقة.

ل - يزيل الله السمَّ من الحيوانات، وكذلك الوحشية، وشهوة القتل، ومن صور ذلك:

ـ يُدخِلُ الوليد يده في فم الحية فلا تضره وهي ذات السم الزعاف.

ـ تضر الوليدة الأسد ولا يضرها، وهو صاحب التاج بين الحيوانات.

ـ الذئب الذي اشتهر بعدائه للغنم وحبه للحمها يصبح بمنزلة الكلب لها فلا يضرها.

م ـ انتشار السلم في المعمورة، وانتهاء الحروب، ومن مظاهر ذٰلك أن الخيل التي هي أداة الجهاد الرئيسية والمعقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة تصبح بالدريهمات.

ن ـ توحيد الكلمة، حيث ترتفع راية التوحيد خفَّاقة، فلا يعبد إلا الله، وطوبى لقوم يحيون هٰذه الحياة.

ق ـ تُسلب قريش ملكها، والأئمة منهم بالنصّ المتواتر، وهٰذا دليل على انتهاء خلافة النبوة بموت المهدي رضي الله عنه.

ر ـ تكون الأرض بيضاء نقية كخوان الفضة، وتؤمر بإعطاء بركتها في كل شيء، فتنبت نباتها بعهد آدم، حيث يستخدم قشر الرمانة للاستظلال بعد أكلها وذٰلك لضخامتها.

١١ ـ يصلي عليه السلام خلف المهدي تكرمة الله لهٰذه الأمة:

روى أبو نعيم في «كتاب المهدي» عن أبي سعيد؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«منَّا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه»[1].

وروى مسلم عن جابر بن عبدالله؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى بن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم[2]: تعال صلِّ لنا. فيقول:

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٥٧٩٦).

(٢) «هو المهدي محمد بن عبدالله عليه السلام كما تظاهرت بذٰلك الأحاديث بأسانيد بعضها صحيح وبعضها حسن، وقد خرجت شيئاً منها في «الأحاديث الضعيفة»». قاله شيخنا تعليقاً على الحديث (٢٠٦١) في «مختصر مسلم».

لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هٰذه الأمة»[1].

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال ابن الجوزي: لو تقدَّم عيسى إماماً؛ لوقع في النفس إشكال، ولقيل: أتُراه تقدَّم نائباً أو مبتدئاً شرعاً، فصلى مأموماً؛ لئلا يتدنَّس بغبار الشبهة وجه قول نبينا ﷺ: لا نبي بعدي».

قال الحافظ:

«وفي صلاة عيسى عليه السلام خلف رجل من هٰذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال: أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة، والله أعلم»[2].

١٢ ـ يؤدي عيسى عليه السلام فريضة الحج:

روى أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال:

«والذي نفسي بيده؛ ليهلَّنَّ ابن مريم بفجِّ الروحاء[3] حاجّاً أو معتمراً أو ليثنينَّهما».

١٣ ـ بقاؤه ومكثه في الأرض عليه السلام:

جاءت الروايات الصحيحة أنه يمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى،

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧١٧٠).

(٢) «فتح الباري» (٦ / ٤٩٤).

(٣) «هو بين مكة والمدينة، وهو مكان طريقه ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع.

وقوله: «أو»: إما شك من الراوي، وإما إبهام من النبي ﷺ، ولعلَّ الأول أولى». قاله شيخنا تعليقاً على الحديث (٦٦٣) في «مختصر مسلم».

ويصلي عليه المسلمون، ويشكل على هٰذا أن رواية عند مسلم كما يقول العلماء أنه يمكث في الأرض سبع سنين، وقد حاول العلماء الجمع بين هٰذه الروايات، وأنا أسوق أقوالهم:

جاء في كتاب «لوامع الأنوار» للشيخ السفاريني:

«أما مدَّته ووفاته؛ فقد ورد في حديث أبي هريرة عند الإمام أحمد وأبي داود وابن جرير وابن حبان عنه أنه يمكث أربعين سنة، ثمَّ يتوفَّى، ويصلَّى عليه.

وأخرج الإمام أحمد وابن أبي شيبة وابن عساكر وأبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم، فيقتل الدجَّال، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة، إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً».

وورد في رواية أنه إنما يمكث سبع سنين.

وجمع بعضهم أن سيدنا عيسى حين رفع كان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة وينزل سبعاً، فهٰذه أربعون سنة».

ثم قال:

«وهٰذا والله أعلم ليس بشيء؛ لما مرَّ من حديث عائشة عند الإمام أحمد وغيره: (فيقتل الدجال، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة)».

ثم نقل قولاً للحافظ السيوطي:

«وقد قال الحافظ جلال الدين السيوطي: كنت أفتيت بأن ابن مريم يمكث في الأرض بعد نزوله سبع سنين، قال: واستمريت على ذٰلك مدة من الزمان، حتى رأيت الإمام الحافظ البيهقي اعتمد أن مكثه في الأرض أربعين سنة؛ معتمداً ما أفاده الإمام أحمد في روايته، ثم يمكث ابن مريم في الأرض

بعد قتل الدجَّال أربعين سنة، وهٰذا هو المرجع؛ لأن زيادة الثقة يحتجّ بها، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر، ويقدمونها على رواية الأقل؛ لما معها من زيادة العلم، ولأنه مثبت، والمثبت مقدَّم» انتهى[1].

والراجح عندي والله أعلم هي رواية الأربعين؛ لملاحظات بدت لي من خلال تتبُّع الروايات، وهٰذه الملاحظات هي:

أ ـ الرواية التي عند مسلم ليست صريحة في أن عيسى يمكث في الأرض سبع سنين، حيث إن نصّ الرواية: «ثم يمكث الناس سبع سنين»، ولم أجد فيما وقفت عليه من ألفاظ الحديث أن الذي يمكث هو عيسى.

ب ـ لو ثبت النص صريحاً أنه يمكث سبع سنين؛ فهو مقيَّد بأن المقصود إنما هو سنوات الخير؛ بقوله ﷺ: «ليس بين اثنين عداوة».

ج ـ يؤيد هٰذا قوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن ماجه والترمذي وعند مسلم نحوه عن النواس بن سمعان؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «سيوقد المسلمون من قِسِيِّ يأجوج ومأجوج ونُشَّابهم وأترستهم سبع سنين»[2].

فهٰذا صريح في أن السنوات السبع ـ وهي سنوات الخير ـ إنما تكون بعد يأجوج ومأجوج.

د ـ وعلى هٰذا؛ فيكون زمن عيسى على الأرض مقسوماً إلى قسمين:

قسم يكون المسلمون فيه في كرْب وشدة، وذلك قبيل قتل الدجال، وعند خروج يأجوج ومأجوج.

---

(١) «لوامع الأنوار» (٢ / ٩٨).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٣٥٦٧).

وقسم يكون المسلمون فيه في خير وسعادة وهناءة عيش، وهٰذا مقداره سبع سنين.

هٰذه الملاحظات التي تنبهت إليها تؤيد الروايات الصحيحة أن مدة بقاء عيسى على الأرض أربعين سنة.

وقد أفرغت جهدي، فإن أصبت؛ فمن الله وحده، لا شريك له، وإن أخطأت؛ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان مما أقول

وبهٰذا ينتهي الكلام عن الأشراط السماوية، والحمد لله رب العالمين.

* * * * *



الباب الثاني

الأشراط الأرضية

الفصل الأول
الأشراط الصغرى

وأنتقل بفضل الله وعونه للحديث عن الأشراط الأرضية، فأقول:

الأشراط الأرضية إما صغرى وإما كبرى، وسواء كانت هٰذه أو تلك؛ فهي إما معتادة أو غير معتادة.

والكبرى هي التي يعقبها تغيُّر أحوال العالم الأرضي؛ إيذاناً بقيام الساعة، وما عداها؛ فهي صغرى، وإن كانت غير معتادة.

والأشراط الصغرى تنقسم إلى عدة أقسام، نوردها بحول الله فيما يأتي

* * * * *

المبحث الأول

أشراط تتعلَّق برسالة الإسلام

أولاً: بعث النبي ﷺ:

وقد مرَّت بنا طائفة من الأحاديث الدالَّة على ذٰلك، مع التعليق عليها، وأذكرها هنا دون تعليق:

ـ حديث سهل بن سعد:

«بعثت أنا والساعة كهاتين»[1].

ـ حديث أبي جبيرة:

«بعثت في نسم الساعة»[1].

ـ حديث ابن عمر:

«بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذل والصغار على مَن خالف أمري، ومَن تشبَّه بقوم؛ فهو منهم»[1].

ـ حديث جابر بن عبدالله:

كان رسـول الله ﷺ إذا خطب؛ احمرَّت[2] عيناه، وعلا صوته، واشتدَّ

---

(١) سبق ذكره، ويراجع لذٰلك باب (حقائق بين يدي الموضوع).

(٢) يفعل عليه الصلاة والسلام ذٰلك حال الخطبة؛ إزالة للغفلة من قلوب الناس؛ ليتمكَّن فيها كلامه ﷺ كل التمكُّن، أو ليتوجه فكره إلى الموعظة؛ لتظهر عليها آثار الهيبة الإلٰهية.

وقوله: «صبَّحكم ومسَّاكم»؛ أي: نزل بكم العدو صباحاً؛ أي: سينزل.

وقوله: «محدثاتها»: ما لا أصل له في الدين مما أُحدث بعده ﷺ.

غضبه، كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم. ويقول: «بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين، (ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى)». ويقول: «أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة». ثم يقول: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليَّ وعليَّ»[1].

ثانياً: موت النبي ﷺ:

وهي أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون، إذ كان موته ﷺ فاتحة الفتن التي لن تنتهي إلا بقيام الساعة.

ـ روى الإمام أحمد ومسلم عن أبي بردة عن أبيه؛ قال:

صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء. قال: فجلسنا، فخرج علينا، فقال: «ما زلتم ها هنا؟». قلنا: يا رسول الله! صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء. قال: «أحسنتم ـ أو أصبتم ـ». قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم؛ أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أنا؛ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي؛ أتى أمتي ما يوعدون»[2].

قال المناوي:

= وقوله: «ضياعاً»؛ أي: العيال.

قاله شيخنا تعليقاً على الحديث (٤٨) في «صحيح الترغيب».

(١) سبق ذكره، ولذلك يراجع باب (حقائق بين يدي الموضوع)

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٦٦٧٦).

«(فإذا ذهبت؛ أتى أصحابي ما يوعدون): من الفتن والحروب واختلاف القلوب، وقد وقع.

(فإذا ذهب أصحابي؛ أتى أمتي ما يوعدون): من ظهور البدع، وغلبة الأهواء، واختلاف العقائد، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم، وانتهاك الحرمين، وكل هذه معجزات وقعت.

قال ابن الأثير: فالإشارة في الجملة إلى مجيء الشر عند ذهاب أهل الخير؛ فإنه عليه السلام؛ لما كان بين أظهرهم؛ كان يبين لهم ما يختلفون فيه، وبموته جالت الآراء واختلفت الأهواء وقلّت الأنوار وقويت الظلم، وكذا حال السماء عند ذهاب النجوم»[1].

ولذلك كانت وفاة رسول الله ﷺ عزاء لنا من كل مصيبة، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نتعزّى بالمصيبة به عن المصيبة التي تصيبنا مهما عظمت.

روى ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت:

فتح رسول الله ﷺ باباً بينه وبين الناس، أو كشف ستراً، فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر، فحمد الله على ما رأى من حسن حالهم، ورجاء أن يخلفه الله فيهم بالذي رآهم، فقال: «يا أيها الناس! أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة؛ فليتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري؛ فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي»[2].

قال المناوي:

«مقصود الحديث أن تذكُّر المصاب وقوع المصيبة العظمى العامة بفقد

---

(١) «فيض القدير» (٦ / ٢٩٧).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٧٥٦).

المصطفى ﷺ يهوِّن عليه ويسليه»[1].

وهٰذا أنس رضي الله عنه يوضح ما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بعد دفنه؛ كمؤشر على بدء الفتن.

فقد روى ابن ماجه عن أنس؛ قال:

«لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة؛ أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه؛ أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا»[2].

وقد بيَّن رسول الله ﷺ في أحاديث صحيحة أن موته من أشراط الساعة وعلاماتها.

ـ فقد روى البخاري عن عوف بن مالك؛ قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبَّةٍ من أدم، فقال:

«اعدد ستّاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان[3] يأخذ فيكم كقعاص[4] الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مئة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية[5]، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»[6].

---

(١) فيض القدير، مجلد (١) ص ٢٨٦ تعليقاً على الحديث إذا أصاب أحدكم مصيبة

(٢) وهي في «صحيح ابن ماجة» (رقم «١٣٢٢»).

(٣) المـوت.

(٤) هو داء يأخذ الدواب فيسيل منها شيء فتموت فجأة.

(٥) رايـة.

(٦) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ١٠٥٦).

ـ ورواه أحمد وابن عساكر عن عوف بن مالك؛ قال

أتيت النبي ﷺ وهو في بناء له، فسلمت عليه، فقال: «عوف؟». قلت: نعم يا رسول الله! قال: «ادخل». فقلت: كلِّي أم بعضي. قال: «بل كلك». قال: فقال لي: «اعدد عوف ستّاً بين يدي الساعة، أولهنَّ موتي». قال: فاستبكيت حتى جعل رسول الله ﷺ يسكِّتني. قال: «قل: إحدى. والثانية: فتح بيت المقدس. قل: اثنتين. والثالثة فتنة تكون في أمتي (وعظَّمها)، والرابعة مُوتان يقع في أمتي يأخذهم كقعاص الغنم، والخامسة يفيض المال فيكم فيضاً حتى إن الرجل ليعطى المئة دينار فيظل يسخطها، قل: خمساً. والسادسة هدنةٌ تكون بينكم وبين بني الأصفر، يسيرون إليكم على ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً، فُسطاط[1] المسلمين يومئذ في أرض يُقال لها: الغوطة، فيها مدينة، ويقال لها: دمشق»[2].

ـ ورواه ابن ماجه والحاكم عن عوف بن مالك الأشجعي؛ قال:

أتيت رسول الله ﷺ وهو في غزوة تبوك، وهو في خباء من أدم، فجلست بفناء[3] الخباء، فقال رسول الله ﷺ: «ادخل يا عوف». فقلت: بكلِّي[4] يا رسول الله؟ قال: «بكلِّك»، ثم قال: «يا عوف! احفظ خلالاً ستّاً بين يدي الساعة: إحداهن موتي». قال: فوجمت[5] عندها وجمة شديدة، فقال: «قل:

---

(١) بالضم والكسر: المدينة التي فيها مجتمع الناس، وهو أيضاً الخيمة الكبيرة.

(٢) وهو في فضائل الشام (رقم ٣٠).

(٣) الساحة أم البيت.

(٤) بكلِّي: يريد أن الخباء كان صغيراً بحيث كان في محل تردد أيسع جسده كله أم لا؟.

(٥) الواجم: هو مَن أسكته الهمُّ وغلبته الكآبة.

إحدى. ثم فتح بيت المقدس، ثم داءٌ[1] يظهر فيكم يستشهد الله به ذراريِّكم وأنفسكم ويزكِّي به أعمالكم، ثم تكون الأموال فيكم حتى يُعطى الرجل مئة دينار فيظلُّ ساخطاً، وفتنةٌ تكون بينكم، لا يبقى بيت مسلم إلا دخلته، ثم تكون بينكم وبين بني الأصفر[2] هدنة، فيغدرون بكم، فيسيرون إليكم في ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»[3].

*****

(١) الطاعون.

(٢) الروم.

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٨٣٣)

المبحث الثاني

أشراط تتعلق بالعلم

أولاً: أشراط تتعلَّق بطلبه:

١ ـ التماسه عند الأصاغر، وهم أهل البدع، ومَن ليسوا له بأهل:

روى الطبراني عن أبي أميَّة الجمحي أن رسول الله ﷺ قال:

«إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر»[١].

والناس لا يلتمسون العلم عند الأصاغر إلا إذا كانوا في مركز المسؤولية والفتوى، وهم لا يكونون في هٰذه المراكز إلا بذهاب العلماء وقبضهم.

روى أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن ابن عمرو؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله لا يقبض العلم انتـزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً؛ اتَّخذ الناس رؤوساً جهَّالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[٢].

وفي رواية عند البخاري:

«إن الله لا ينـزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال، يُستفتون فيفتون برأيهم، فيُضِلُّون ويَضِلُّون»[٣].

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٢٠٣).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ١٨٥٠).

(٣) وهو في «فتح الباري» (١٣ / رقم ٧٣٠٧).

قال الحافظ في «الفتح»:

«وفي هٰذا الحديث الحث على حفظ العلم، والتحذير من ترئيس الجهلة، وفيه أن الفتوى هي الرياسة الحقيقية، وذم من يُقدم عليها بغير علم»[1].

ولذٰلك كان من واجب العلماء القيام بنشر العلم وعدم إبقائه سرّاً حتى لا يهلك.

روى البخاري معلقاً في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم:

«وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه؛ فإني خفت دروس[2] العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ، ولِتُفْشوا العلم، ولتجلسوا حتى يُعَلَّم مَن لا يَعْلَمُ؛ فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً»[3].

وهناك من يقدِّم آراء الرجال وأقيستهم على حديث رسول الله ﷺ، وما يفعل ذٰلك عالم أبداً دون أن تظهر له حجَّةٌ قويَّة تمنعه من العمل بالحديث.

روى البخاري عن سهل بن حنيف؛ قال:

«يا أيها الناس! اتَّهموا رأيكم على دينكم؛ لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أردَّ أمر رسول الله ﷺ لرددته، وما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر يفظعنا إلا أسهَلْن بنا إلى أمر نعرفه غير هٰذا الأمر». قال: وقال أبو وائل:

---

(١) «فتح الباري» (١ / ١٩٥).

(٢) انقراضه وانتهاؤه.

(٣) «فتح الباري» (١ / ١٩٤).

«شهدت صفين، وبئست صفين»[1].

قال الحافظ في «الفتح»:

«وقوله: (اتهموا رأيكم على دينكم)؛ أي: لا تعملوا في أمر الدين بالرأي المجرَّد الذي لا يستند إلى أصل من الدين، وهو كنحو قول علي فيما أخرجه أبو داود بسند حسن: «لو كان الدين بالرأي؛ لكان مسح أسفل الخف أولى من أعلاه.

(إلا أسهَلْن)، والمعنى: أنزلتنا في السهل من الأرض؛ أي: أفضين بنا، وهو كناية عن التحوُّل من الشدَّة إلى الفرج»[2].

قال الحافظ في «الفتح»:

«ومراد سهل أنهم كانوا إذا وقعوا في شدَّة يحتاجون فيها إلى القتال في المغازي والثبوت والفتوح العمرية؛ عمدوا إلى سيوفهم، فوضعوها على عواتقهم، وهو كناية عن الجدِّ في الحرب، فإذا فعلوا ذٰلك؛ انتصروا، وهو المراد بالنزول في السهل، ثم استثنى الحرب التي وقعت بصفين؛ لما وقع فيها من إبطاء النصر وشدة المعارضة من حجج الفريقين»[3].

٢ ـ عدم العمل به:

روى الترمذي والحاكم عن أبي الدرداء؛ قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال:

«هٰذا أوانُ يُخْتَلَسُ العلمُ من الناس حتى لا يقدِروا منه على شيءٍ».

(١) «فتح الباري» (١٣ / رقم ٧٣٠٨).

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

(٣) «فتح الباري» (١٣ / ٢٨٨).

فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يُختلس منا وقد قرأنا القرآن؟! فوالله لنقرأنَّه ولنقرئنَّه نساءنا وأبناءنا؟ قال: ثكلتك أمّك يا زياد! إن كنت لأعدُّك من فقهاء أهل المدينة، هٰذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغني عنهم؟! قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت، فقلت: ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء. قال: صدق أبو الدرداء، إن شئت لأحدِّثنَّك بأول علم يُرفع من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل المسجد الجامع، فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً»[1].

ورواه أحمد وابن ماجه والحاكم عن زياد بن لبيد؛ قال:

ذكر النبي ﷺ شيئاً، فقال: «ذاك عند أوان ذهاب العلم». قلت: يا رسول الله! وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرؤه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: «ثكلتك أمك زياد، إن كنتُ لأراك من أفقه رجلٍ بالمدينة، أوليس هٰذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء مما فيهما؟!»[2].

جاء في التعليق[3] على الحديث في «صحيح سنن ابن ماجه»:

«(ثكلتك أمك)؛ أي: فقدتك، وهو دعاء عليه بالموت ظاهراً، والمقصود التعجُّب من الغفلة عن مثل هٰذا الأمر.

(لا يعملون بشيء مما فيهما)؛ أي: ومن لا يعمل بعلمه هو والجاهل سواء».

---

(١) «صحيح سنن الترمذي» لشيخنا الألباني (رقم ٢١٧٣).

(٢) وهو في «صحيح سنن ابن ماجه» (رقم ٣٢٧٢).

(٣) «صحيح سنن ابن ماجه» (٢ / ٣٧٧).

وروى عبدالرزاق في «المصنف» عن علي رضي الله عنه:

أنه ذكر فتناً تكون في آخر الزمان، فقال له عمر: «متى ذٰلك يا علي؟». قال: «إذا تُفقه لغير الدين، وتُعُلِّم العلم لغير العمل، والتمست الدنيا بعمل الآخرة»[1].

ثانياً: أشراط تترتَّب على ذهابه:

١ ـ توسيد الأمر إلى غير أهله:

روى البخاري عن أبي هريرة؛ قال:

بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم؛ جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه؛ قال: «أين ـ أراه ـ السائل عن الساعة؟». قال: ها أنا يا رسول الله! قال: «فإذا ضُيِّعت الأمانة؛ فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِّد ـ وفي رواية: إذا أُسنِد ـ الأمر إلى غير أهله؛ فانتظر الساعة»[2].

قال الحافظ في «الفتح» تعليقاً على الحديث ـ وقد أخرجه البخاري في كتاب العلم ـ:

«ومناسبة هٰذا المتن لكتاب العلم: أن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وذٰلك من جملة الأشراط، ومقتضاه أن العلم ما دام قائماً؛ ففي الأمر فسحة»[3].

---

(١) «المصنف» (١١ / ٣٦٠)، و«المستدرك» (٤ / ٤٥١).

(٢) «فتح الباري» (١ / ١٤٣).

(٣)

قال المناوي:

«(إذا أسند الأمر)؛ أي: إذا فُوِّض الحكم المتعلق بالدين؛ كالخلافة ومتعلقاتها من إمارة وقضاء وإفتاء وتدريس وغير ذٰلك.

(إلى غير أهله)؛ أي: من ليس له بأهل».

ثم قال:

«وإنما دلَّ على دنوِّ الساعة؛ لإفضائه إلى: اختلال الأمر والنهي، ووهن الدين، وضعف الإسلام، وغلبة الجهل، ورفع العلم، وعجز أهل الحق عن القيام به ونصرته، وللساعة أشراط كثيرة صغار وكبار»[1].

٢ - الهرج (القتل):

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج». قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «القتل، القتل»[2].

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«والذي نفسي بيده؛ لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قُتل». فقيل: كيف يكون ذٰلك؟ قال: «الهرج، القاتل والمقتول في النار»[3].

وفي لفظ له:

---

(١) «فيض القدير» (١ / ٤٥١).

(٢) «مختصر مسلم» بتحقيق شيخنا (رقم ٢٠٠٩).

(٣) «مختصر مسلم» بتحقيق شيخنا (رقم ٢٠١٠).

«والذي نفسي بيده؛ ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول في أي شيء قتل»[1].

فهل يحتاج حديث رسول الله ﷺ إلى تعليق في هٰذا الزمن؟ وهل يقتل المسلم أخاه لو كانوا يعقلون؟ ولكن نزعت عقولهم فلا يعتبرون!

روى أحمد وابن ماجه عن أبي موسى: حدثنا رسول الله ﷺ:

«إن بين يدي الساعة لهرجاً». قال: قلت: يا رسول الله! وما الهرج؟ قال: «القتل». فقال بعض المسلمين: يا رسول الله! إنا نقتل الآن في العام الواحد من المشركين كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: «ليس بقتل المشركين، ولكن يقتل بعضكم بعضاً، حتى يقتل الرجل جاره وابن عمِّه وذا قرابته». فقال بعض القوم: يا رسول الله! ومعنا عقولنا ذٰلك اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا؛ تنزع عقول أكثر ذٰلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس لا عقول لهم». ثم قال الأشعري: وآيم الله إني لأظنها مدركتي وإياكم، وآيم الله ما لي ولكم منها مخرج إن أدركتنا فيما عهد نبينا ﷺ إلا أن نخرج كما دخلنا فيها[2].

وفي لفظ لأحمد:

«إن بين يدي الساعة الهرج: القتل، ما هو قتل الكفار، ولكن قتل الأمة بعضها بعضاً، حتى إن الرجل يلقاه أخوه فيقتله، يُنْتَزَع عقول أهل ذٰلك الزمان، ويخلف لها هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء»[3].

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٦٩٥٣).

(٢) وهو في «صحيح سنن ابن ماجه» (رقم ٣١٩٨).

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٠٤٣).

وقد جمع رسول الله ﷺ بين قبض العلم وظهور الجهل والهرج في أحاديث شتى.

روى أحمد والشيخان عن ابن مسعود وأبي موسى:

«إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج، والهرج القتل»[1].

ولفظ ابن ماجه:

«تكون بين يدي الساعة أيام يُرفَع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج، والهرج القتل»[2].

وفي رواية للترمذي وابن ماجه:

«إن من ورائكم أياماً: ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج: القتل»[3].

فقبض العلم مرتبط بنزول الجهل، فلا يعرف الناس عندها شرعاً، فيكثر القتل.

وعلى هٰذا؛ فمن الأشراط المترتبة على ذهاب العلم: نزول الجهل، وكثرة القتل.

وجمع رسول الله ﷺ في حديث عظيم بين رفع العلم ونزول الجهل وفشو الزنا وشرب الخمر وذهاب الرجال وبقاء النساء.

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٠٤٧).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٩٨٩).

(٣) هو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٢٢٩).

فقد روى أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس؛ قال: لأحدثنكم حديثاً لا يحدِّثكم أحدٌ بعدي، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من أشراط الساعة أن: يقلَّ العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقلَّ الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيِّم الواحد»[1]، هٰذا لفظ البخاري.

قال الحافظ في «الفتح»:

«قوله: (وتكثر النساء)؛ قيل: سببه أن الفتن تكثر، فيكثر القتل في الرجال؛ لأنهم أهل الحرب دون النساء، وقال أبو عبدالملك: هو إشارة إلى كثرة الفتوح، فتكثر السبايا، فيتَّخذ الرجل الواحد عدة موطوءات».

قال الحافظ:

«قلت: وفيه نظر؛ لأنه صرَّح بالقلة في حديث أبي موسى عند المصنف، فقال: «من قلة الرجال وكثرة النساء»، والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر، بل يقدِّر الله في آخر الزمان أن يقلَّ من يولد من الذكور، ويكثر من يولد من النساء، وكون كثرة النساء من العلامات مناسبة لظهور الجهل ورفع العلم».

فائدة:

قال الحافظ في «الفتح»:

كأن هٰذه الأمور الخمسة خصت بالذكر لكونها مشعرة باختلال الأمور التي يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد، وهي: الدين؛ لأن رفع العلم يخلُّ به، والعقل؛ لأن شرب الخمر يخلُّ به، والنسب؛ لأن الزنا يخلُّ به، والنفس

---

(١) «فتح الباري» (١ / ٨١).

والمال؛ لأن كثرة الفتن تخلُّ بها.

قال الكرماني: وإنما كان اختلال هٰذه الأمور مؤذناً بخراب العالم؛ لأن الخلق لا يتركون هملاً، ولا نبي بعد نبينا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»[1].

قال الحافظ:

«وقال القرطبي في «المفهم»: في هٰذا الحديث علمٌ من أعلام النبوة، إذ أخبر عن أمور ستقع، فوقعت، خصوصاً في هٰذه الأزمان».

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال القرطبي في «التذكرة»: يُحتمل أن يُراد بالقيِّم من يقوم عليهنَّ، سواء كن موطوءات أم لا، ويحتمل أن يكون ذٰلك يقع في الزمان الذي لا يبقى فيه من يقول: الله الله، فيتزوج الواحد بغير عدد؛ جهلاً بالحكم الشرعي».

قال الحافظ:

«وقد وُجِد ذٰلك من بعض أمراء التركمان وغيرهم من أهل هٰذا الزمان، مع دعواه الإسلام، والله المستعان»[1].

عبرة:

قال المناوي في «الفيض» تعليقاً على قول القرطبي في «المفهم» المذكور آنفاً:

«وإذا كان كذٰلك في زمن القرطبي؛ فما بالك الآن؟!»[2]؟

---

(١) «فتح الباري» (١ / ١٧٩).

(٢) «فيض القدير» (٢ / ٥٣٢).

وأنـا أقـول: فكيف بهم لو كانـوا في زمـاننا هٰذا؟! لكانوا عاشوا ليلهم ونهارهم وهم مشفقون من وقوع علامات الساعة الكبرى، ونحن نزعم أن هٰذا الفساد هو التقـدم، فنسمي الزنا متعة، ونسمي الخمر مشروباً روحيّاً، ونسمي الربا فائدة، وكأننا لم نسمع تحذير رسول الله ﷺ.

روى الطبراني والحاكم عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا ظهر الزنا والربا في قرية؛ فقد أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله»[1].

ومن المعلوم بداهة أن الجهل بأمور الشرع هو الذي يقود لكل منكر ويبعد عن كل خير؛ فإن الشيطان يزيِّن للجاهل كلَّ منكر وشرٍّ بغلاف الخير، ويزداد الأمر سوءاً عندما يعطي الله العبد الجاهل مالاً، فتراه ينفقه في المعاصي، والله يعطيه، فإذا أنكر عليه؛ قال: إن الله يحبُّني، ولذٰلك فهو يعطيني، وما علم أن ذٰلك استدراج من الله تبارك وتعالى.

روى أحمد والطبراني والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا رأيت الله تعـالى يعـطي العبـد من الدنيا ما يحب وهو مقيمٌ على معاصيه؛ فإنما ذٰلك منه استدراج»[2].

وقد بيَّن رسول الله ﷺ في حديث جامع ما يؤدي له العلم النافع والمال والنية الصالحة وما يؤدي له الجهل والمال والنية السيئة.

روى أحمد والترمذي عن أبي كبشة الأنماري؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٦٩٢).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٥٧٥).

«ثلاثٌ أقسم عليهن: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلم عبد مظلمة صبر عليها؛ إلا زاده الله عز وجل عزّاً، ولا فتح عبد باب مسألة؛ إلا فتح الله عليه باب فقر، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً؛ فهو يتّقي فيه ربَّه، ويصل فيه رحمه، ويعمل لله في حقّاً؛ فهٰذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله تعالى علماً ولم يرزقه مالاً؛ فهو صادق النية؛ يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان؛ فهو بنيَّته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً؛ يخبط في ماله بغير علم، لا يتّقي فيه ربَّه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعمل لله فيه حقّاً؛ فهٰذا بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً؛ فهو يقول: لو أن لي مالاً؛ لعملت فيه بعمل فلان؛ فهو بنيَّته، فوزرهما سواء»[1].

٣ ـ استحلال الحرام (كاستحلال الخمر والزنا والمعازف):

روى البخاري وأبو داود عن أبي عامر وأبي مالك الأشعري: أن النبي ﷺ؛ قال:

«ليكوننَّ من أمَّتي أقوام يستحلُّون الحِرَ[2] والحرير والخمر والمعازف[3]، ولينـزلنَّ أقوام إلى جنب علم[4]، يروح[5] عليهم بسارحة[6] لهم، يأتيهم[7]

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٣٠٢١).

(٢) الفرج، والمراد: الزنا.

(٣) جمع معزفة، وهي آلات الملاهي.

(٤) الجبل العالي.

(٥) أي: راعي ماشيتهم.

(٦) هي الماشية التي تسرح بالغداة إلى رعيها، وترجع بالعشي إلى مألفها.

(٧) فقير أو طالب حاجة.

لحاجة، فيقولوا: ارجع إلينا غداً، فيبيِّتهم[1] الله، ويضع[2] العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»[3].

فائدة: قال الحافظ في «الفتح» في صدد كلامه على المسخ المذكور في الحديث:

«قال ابن العربي: يحتمل الحقيقة كما وقع للأمم السالفة، ويحتمل أن يكون كناية عن تبدل أخلاقهم».

قلت (أي: الحافظ):

«والأول أليق بالسياق»[4].

قال شيخنا:

«إن الله عز وجل قد يعاقب بعض الفساق عقوبة دنيوية مادية، فيمسخهم، فيقلب صورهم - وبالتالي عقولهم - إلى بهيمة»[5].

قال الحافظ في «الفتح»:

«وفي هذا الحديث وعيد شديد على مَن يتحيَّل في تحليل ما يحرم بتغيير اسمه، وأن الحكم يدور مع العلَّة، والعلَّة في تحريم الخمر الإسكار، فمهما

---

(١) يهلكهم ليلاً.

(٢) يوقعه عليهم.

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٥٣٤٢).

(٤) «فتح الباري» (١٠ / ٥٦).

(٥) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١ / ١٤٦).

(تنبيه): لشيخنا حفظه الله بحث قيم في فقه الحديث، يدل على علم وفقه، أودعه في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» تعليقاً على الحديث (رقم ٩١)؛ فليراجع.

وُجد الإسكار؛ وُجِد التحريم، ولو لم يستمر الاسم»[1].

قلت: وهٰؤلاء الذين يتحيَّلون؛ إنما يفعلون ذٰلك لقلَّة علمهم وجهلهم بالشرع وعدم معرفتهم الحقَّة بربهم وأنه شديد العقاب.

روى أحمد والضياء وابن ماجه عن عبادة بن الصامت؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لتستحِلَّنَّ طائفة من أمتي الخمر باسم يسمُّونها إياه»[2].

قال المناوي:

«يقولون: هٰذا نبيذ مع أنه مسكر، وكل مسكر خمر؛ لأنه يخامر العقل، وهذا وعيد للقائلين بحل النبيذ المسكر»[3].

وهناك أحاديث كثيرة سنوردها إن شاء الله في باب الخسف والمسخ

٤ ـ الشرك بالله (عبادة غير الله):

وهو من الأشراط المترتبة على ذهاب العلم

روى أحمد والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال:

«لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة[4]»[5].

---

(١) «فتح الباري» (١٠ / ٥٦).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٤٩٤٥).

(٣) «فيض القدير» (٥ / ٢٦٢).

(٤) طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية

(٥) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٢٨٧).

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال ابن التين: فيه الإخبار بأن نساء دوس يركبن الدواب من البلدان إلى الصنم المذكور؛ فهو المراد باضطراب ألياتهن».

قلت (أي: الحافظ):

«ويحتمل أن يكون المراد أنهن يتزاحمن بحيث تضرب عجيزة بعضهنّ الأخرى عند الطواف حول الصنم المذكور»[1].

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزَّى». فقلت: يا رسول الله! إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسولَهُ بالهُدى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ ولَوْ كَرِهَ المُشْرِكونَ﴾؛ أن ذلك تام. قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة، فتوفَّى كل من في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم»[2].

قال شيخنا تعليقاً على الحديث في كتابه القيِّم «تحذير الساجد» ما نصه:

«في هذا الحديث بيان أن الظهور المذكور في الآية لم يتحقق بتمامه، وإنما يتحقق في المستقبل، ومما لا شك فيه أن دائرة الظهور اتَّسعت بعد وفاته ﷺ في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، ولا يكون التمام إلا بسيطرة الإسلام على جميع الكرة الأرضية، وسيتحقَّق هذا قطعاً؛ لإخبار رسول الله ﷺ بذلك.

---

(١) «فتح الباري» (١٣ / ٧٦).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٥٦٠).

فقد روى أحمد والطبراني في «الكبير» والحاكم عن تميم الداري رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ليبلغنَّ هٰذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هٰذا الدين بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليل، عزّاً يعز الله به الإسلام، وذلّاً يذلُّ الله به الكفر».

ثم قال شيخنا:

«فهٰذا الحديث مفسِّر للآية الكريمة، فعلى ضوئه وبمعناه الواسع الشامل يجب أن تفسَّر الآية المذكورة، ومن جزئيات الآية والحديث ما صحَّ عنه ﷺ أن المسلمين سيفتحون مدينة روما عاصمة البابا بعد فتحهم القسطنطينية، وقد تحقَّق الفتح الأول؛ فلا بد أن يتحقَّق الفتح الثاني[1]، ﴿ولتَعلَمنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حينٍ﴾، فعلى المسلمين أن يعدُّوا أنفسهم لذٰلك؛ برجوعهم إلى ربهم، وتطبيقهم لكتابه، واتباعهم لسنة نبيه، واجتنابهم لحرماته، واتحادهم على ما يرضيه سبحانه وتعالى، وفي الأفق ما قد يبشر بأن المسلمين قد استأنفوا السير نحو ذٰلك، حقق الله تعالى الآمال»[2].

وروى الترمذي والحاكم عن ثوبان: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تُعْبَدَ الأوثان، وإنه سيكون في أمَّتي ثلاثون كذَّاباً، كلهم يزعم أنه نبيٌّ، وأنا خاتم النبيِّين، لا نبيَّ بعدي»[3].

---

(١) تراجع «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ٤).

(٢) «تحذير الساجد» لشيخنا الألباني (ص ١١٨ و١١٩).

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٢٩٥).

وروى أحمد ومسلم والترمذي عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى لا يُقال في الأرض: الله الله (وفي رواية: لا إلٰه إلا الله)»[1].

قال شيخنا في «تحذير الساجد»:

«ففي هٰذه الأحاديث دلالة قاطعة على أن الشرك واقع في هٰذه الأمة، فإذ الأمر كذٰلك؛ فيجب على المسلمين أن يبتعدوا عن كل الوسائل والأسباب التي قد تؤدي بأحدهم إلى الشرك، مثل ما نحن فيه من بناء المساجد على القبور، ونحو ذٰلك ممَّا حرَّمه رسول الله ﷺ، وحذَّر أمته منه.

ولا يغتر أحدٌ بالثقافة العصرية؛ فإنها لا تهدي ضلالاً، ولا تزيد المؤمن هدىً؛ إلا ما شاء الله، وإنما الهدى والنور فيما جاء به الرسول ﷺ، وصدق الله العظيم إذ يقول[2]: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وكِتابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ويُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلى النُّورِ بِإِذْنِهِ ويَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُستقيمٍ﴾[3].

٥ ـ الفتن:

ومن الأشراط المترتبة على ذهاب العلم: الفتن، فعندما لا يحكَّم كتاب الله وسنة رسوله؛ تثور الفتن، وما ذٰلك إلا بسبب اتباع الهوى، الذي فرَّق هٰذه الأمة شيعاً وأحزاباً، أعاذنا الله وإياكم من الفتن والهوى.

---

(١) سبق ذكره.

(٢) «تحذير الساجد» (ص ١٢٠)، ويراجع الفصل الخامس فإنه هام.

(٣) المائدة: ١٥ ـ ١٦.

أ ـ معنى الفتنة:

الفتنة هي الاختبار، وقد أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه؛ كالكفر، والإثم، والتحريق، والفضيحة[1].

ويمكن أن يُقال: هي سلوك كل سبيل يمكن أن يؤدي سلوكه إلى الكفر أو الاقتراب منه، إن لم يجتز العبد ذلك السبيل كما يحبُّ ربنا ويرضى.

والفتنة من الله على وجه الحكمة، ومن الإنسان بغير أمر الله؛ فهي مذمومة، وهو الأمر الذي دلَّت عليه آيات الكتاب[1].

قال تعالى:

﴿ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنيا لِنَفْتِنَهُمْ فيهِ ورِزْقُ رِبِّكَ خَيْرٌ وأَبْقى﴾[2].

قال ابن كثير:

«يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لا تنظر إلى ما هٰؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم فيه من النعيم؛ فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة؛ لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور»[3].

وقال تعالى:

﴿وقاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ويَكونَ الدِّينُ للهِ فإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إلَّا عَلى الظَّالِمينَ﴾[4].

---

(١) «فتح الباري» (١٣ / ٣).

(٢) طٰه: ١٣١.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣ / ١٧٠).

(٤) البقرة: ١٩٣.

وسيأتي تفسيرها قريباً إن شاء الله.

وقال تعالى:

﴿وأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ ولا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ واحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِليكَ فإِنْ تَوَلَّوْا فاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنوبِهِمْ وإِنَّ كَثيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقونَ﴾[1].

قال ابن كثير:

«﴿واحْذَرْهُم أَنْ يَفْتِنوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللهُ إِليكَ﴾؛ أي: واحذر أعداءك اليهود أن يدلِّسوا عليك الحق فيما يُنْهونه إليك من الأمور، فلا تغترَّ بهم؛ فإنهم كذبة كفرة خونة»[2].

قال تعالى:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنونَ ولَقَدْ فَتَنَّا الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذينَ صَدَقوا ولَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبينَ﴾[3].

قال ابن كثير:

«﴿أَحَسِبَ النَّاسُ...﴾ إلخ: استفهام إنكار، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى لا بدَّ أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان.

﴿ولَقَدْ فَتَنَّا الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذينَ صَدَقوا ولَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبينَ﴾؛ أي: الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممَّن هو كاذب في قوله

(١) المائدة: ٤٩.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢ / ٦٧).

(٣) العنكبوت: ٢ - ٣.

ودعواه، والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهٰذا مجمع عليه عند أئمة أهل السنة والجماعة»[1].

وقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[2].

قال ابن كثير:

«﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾؛ أي: حرّقوهم. قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن أبزى.

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾؛ أي: لم يقلعوا عما فعلوا، ويندموا على ما أسلفوا.

﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾، وذٰلك أن الجزاء من جنس العمل.

قال الحسن البصري: انظروا إلى هٰذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه، وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة»[3].

وغير هٰذا من الآيات في كتاب الله كثير:

ب ـ إخبار رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى يوم القيامة، ومنها الفتن:

روى الشيخان عن حذيفة رضي الله عنه؛ قال:

«قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذٰلك إلى قيام

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣ / ٤٠٤).

(٢) البروج: ١٠.

(٣) «تفسير ابن كثير».

الساعة إلا حدَّث به؛ حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمهُ أصحابي هٰؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته، فأراه، فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثمَّ إذا رآه عرفه»[1].

وروى البخاري عن عمر بن الخطاب؛ قال:

«قام فينا النبي ﷺ مقاماً، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذٰلك من حفظه، ونسيه من نسيه»[2].

قال الحافظ في «الفتح»:

«قـولـه: (حتى دخل أهل الجنة...) هي غاية قوله: (أخبرنا)؛ أي: أخبرنا عن مبتدإ الخلق شيئاً بعد شيء، إلى أن انتهى الإخبار عن حال الاستقرار في الجنة والنار».

ثم قال:

«ودلَّ ذٰلك على أنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات منذ ابتدأت إلى أن تفنى إلى أن تبعث، فشمل ذٰلك الإخبار عن المبدإ والمعاش والمعاد وفي تيسير إيراد ذٰلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة أمر عظيم، ويقرِّب ذٰلك مع كون معجزاته لا مرية في كثرتها أنه ﷺ أعطي جوامع الكلم»[3].

وروى أحمد ومسلم عن أبي زيد عمرو بن أخطب؛ قال:

«صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل، فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل

---

(١) وهو في «مختصر مسلم» للمنذري بتحقيق شيخنا (رقم ١٩٩٣).

(٢) «فتح الباري» (٦ / حديث رقم ٣١٩٢).

(٣) «فتح الباري» (٦ / ٢٩٠ - ٢٩١).

فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا»[1].

قال الحافظ في «الفتح»:

«أفاد حديث أبي زيد بيان المقام المذكور زماناً ومكاناً في حديث عمر رضي الله عنه، وأنه كان على المنبر من أول النهار إلى أن غابت الشمس، والله أعلم»[2].

وروى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه؛ قال:

«أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا قد سألته، إلا أني لم أسأله ما يُخرِجُ أهل المدينة من المدينة»[3].

ج - الفتن وأثرها على القلوب:

روى أحمد ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير[4] عوداً عوداً، فأي قلب أُشرِبها[5]؛ نُكِتَتْ فيه نكتةٌ[6] سوداء، وأي قلب أنكرها؛ نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا[7]، لا تضرُّه فتنة ما دامت السماوات والأرض،

(١) وهو في «مختصر مسلم» (رقم ١٩٩٥).

(٢) «فتح الباري» (٦ / ٢٩١).

(٣) وهو في «مختصر مسلم» (رقم ١٩٩٤).

(٤) تؤثر في القلب وتعلق به كما يؤثر الحصير في جنب النائم.

(٥) خالطته وتمكنت فيه.

(٦) نقطة.

(٧) هو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء.

والآخر أسود مُربدّاً[1] كالكوز مَجخيّاً[2]، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً؛ إلا ما أشرب من هواه»[3].

وروى أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي في «شعب الإيمان»: أن رسول الله ﷺ قال:

«إن العبد إذا أخطأ؛ نُكتت في قلبه نكتةٌ سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب؛ صُقِلَ قلبه، وإن عاد؛ زيد فيها، حتى تعلُوَ على قلبه، وهو الران الذي ذكر الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبونَ﴾[4]»[5].

قال المناوي رحمه الله:

«قال القاضي: من أذنب ذنباً؛ أثَّر ذٰلك في نفسه، وأورث لها كدورة، فإن تحقَّق قبحه وتاب عنه؛ زال الأثر، وصارت النفس صقيلة صافية، وإن انهمك وأصرَّ؛ زاد الأثر، وفشى في النفس، فاستعلى عليها، فصار طبعاً، وهو الران».

ثم قال:

«قال المظهري: وهٰذه الآية نازلة في حق الكفار، لكن ذكرها في الحديث تخويفاً للمؤمنين؛ ليحترزوا عن كثرة الذنوب؛ لأن المؤمن لا يكفر بكثرتها، لكن يسودّ قلبه بكثرتها، فيشبه الكفار في اسوداده فقط».

ثم قال:

---

(١) بياض شديد قد خالطه سواد.

(٢) منكوساً مقلوباً.

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٩٥٧).

(٤) المطففين: ١٤.

(٥) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ١٦٦٦).

«وقـال الحكيم: الجـوارح مع القلب كالسواقي تصب في بركة، وهي توصل إلى القلب ما يجري فيها، فإن أُجْرِي فيها ماء الطاعة؛ وصل إلى القلب فصفـا، أو ماء المعصية؛ كدِرَ واسـودَّ، فلا يسلم القلب إلا بكفِّ الجـوارح ـ وأعظمها غض البصر ـ عما حُرِّم».

ثم قال:

«قال الغزالي: القلب كالمرآة، والذنوب كدخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب، فلا يزال يتراكم عليه مرَّة بعد أخرى، حتى يسودَّ ويظلم ويصير محجوباً عن الله تعالى، وهو الطبع والرين، وكلما تراكمت الذنوب؛ طبع على القلب، وعند ذٰلك يعمى عن إدراك الحق وصلاح الدين، ويستهين بالآخرة، ويستعظم أمر الدنيا، ويهتمُّ بها، وإذا قرع سمعه أمر الآخرة وأخطارها؛ دخل من أذن، وخرج من أخرى، ولم يستقر في القلب، ولم يحركه إلى التوبة، ﴿قـد يَئِسُـوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أَصحابِ القُبورِ﴾[1]»[2].

ومَن هٰذا الذي يحب الفتن ويُشْرَبها قلبُه؟! لا شك أنه الجاهل بدينه، المتبع لهواه، فهو معه حيث دار، أما من كان عالماً بدينه؛ فهو يخشى ربه سرّاً وعلانية، يدور مع الحق حيث دار، قال تعالى:

﴿إنَّما يَخْشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلماءُ﴾[3].

قال ابن كثير:

«قال ابن عباس: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير.

---

(١) الممتحنة: (١٣).

(٢) «فيض القدير» (٢ / ٣٧١ ـ ٣٧٢).

(٣) فاطر: ٢٨.

وقال سعيد بن جبير: الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل.

وقـال الحسن البصري: العالم من خشي الرحمٰن بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما سخط الله فيه»[1].

وقال رحمه الله:

«أي: إنمـا يخشـاه حق خشيتـه العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعـرفـة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل؛ كانت الخشية له أعظم وأكثر»[2].

د ـ رفع الأمانة يؤدي لوقوع الفتن:

روى الشيخان عن حذيفة؛ قال:

حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا أن الأمـانـة نزلت في جذر[3] قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة. وحدثنا عن رفعها، فقال: «ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت[4]، ثم ينام الرجل النومة، فتقبض، فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجل[5] كجمر دحرجته على رجلك فنفط[6] فتراه منبتراً[7] وليس فيه

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣ / ٥٥٣ ـ ٥٥٤).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣ / ٥٥٣).

(٣) أصل.

(٤) السواد، وهو الأثر في الشيء كالنقطة من غير لون.

(٥) أثر العمل في اليد، وهو الماء يكون بين الجلد واللحم.

(٦) ورم وامتلأ ماء. (٧) مرتفعاً.

شيء، ويصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً! ويقال للرجل: ما أعقله! وما أظرفه! وما أجلده[1]! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان»، ولقد أتى عليَّ زمان ولا أبالي أيكم بايعت؛ لئن كان مسلماً؛ ردَّه عليَّ الإسلام، وإن كان نصرانياً ردَّه عليَّ ساعيه[2]، وأما اليوم؛ فما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً»[3].

قال الحافظ في «الفتح»:

«حاصل الخبر أنه أنذر برفع الأمانة، وأن الموصوف بالأمانة يسلبها حتى يصير خائناً بعد أن كان أميناً، وهٰذا إنما يقع على ما هو شاهد لمن خالط أهل الخيانة؛ فإنه يصير خائناً؛ لأن القرين يقتدي بقرينه»[4].

ثم قال:

«قال ابن التين: الأمانة كل ما يخفى ولا يعلمه إلا الله من المكلف. وعن ابن عباس: هي الفرائض التي أمروا بها ونهوا عنها. وقيل: هي الطاعة. وقيل: التكاليف. وقيل: العهد الذي أخذه الله على العباد.

وهٰذا الاختلاف وقع في تفسير الأمانة المذكورة في الآية ﴿إِنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ﴾.

وقال صاحب «التحرير»: الأمانة المذكورة في الحديث هي الأمانة المذكورة في الآية، وهي عين الإيمان، فإذا استمكنت في القلب؛ قام بأداء ما

---

(١) ما أقواه وأصبره.

(٢) المسؤول عنه والحاكم عليه.

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ١٥٨٠).

(٤) «فتح الباري» (١٣ / ٣٩ - ٤٠).

أمر به، واجتنب ما نهي عنه.

وقال ابن العربي: المراد بالأمانة في حديث حذيفة: الإيمان، وتحقيق ذٰلك فيما ذكر من رفعها أن الأعمال السيئة لا تزال تضعف الإيمان، حتى إذا تناهى الضعف؛ لم يبق إلا أثر الإيمان، وهو التلفظ باللسان، والاعتقاد الضعيف في ظاهر القلب»[1].

«أما قول حذيفة: (ولقد أتى على زمان. . .) إلى آخر الحديث؛ قال ابن العربي: قال حذيفة هٰذا القول لما تغيرت الأحوال التي كان يعرفها على عهد النبوة والخليفتين، فأشار إلى ذٰلك بالمبايعة، وكنى عن الإيمان بالأمانة، وعما يخالف أحكامه بالخيانة، والله أعلم»[1].

تنبيهات:

ـ جاء تفسير الأمانة في حديث حسن في «الترغيب والترهيب» بأنها: الغسل من الجنابة.

روى الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«خمس من جاء بهنَّ مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهنَّ وسجودهن ومواقيتهن، وصام رمضان، وحجَّ البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وآتى الزكاة طيبة بها نفسه، وأدى الأمانة». قيل: يا رسول الله! وما أداء الأمانة؟ قال: «الغسل من الجنابة، إن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها»[2].

ولست أرى تعارضاً بين تفسير الأمانة بأنها الإيمان وأنها الغسل من

(1) «فتح الباري» (١٣ / ٣٩ ـ ٤٠).

(2) وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» لشيخنا الألباني (رقم ٣٦٥).

الجنابة، ذلك أن قبول الأعمال مرهون بالغسل من الجنابة، فلا تقبل الصلاة أبداً إلا إذا كان العبد طاهراً من الجنابة متوضئاً، وقبول الأعمال مرتبط بقبول الصلاة، وعلى هٰذا؛ فمن أدَّى الصلاة دون غسل من الجنابة ولا عذر له؛ فهو رجل لا إيمان له، والحمد لله رب العالمين.

ـ ترجم البخاري رحمه الله لهٰذا الحديث بقوله: «باب: إذا بقي في حثالة من الناس»؛ مشيراً بذٰلك إلى الارتباط الوثيق بين حديث الأمانة والحديث الآخر المشهور الذي رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال:

«كيف بكم بزمان يوشك أن يأتي يغربل الناس فيه غربلة ويبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا وكانوا هٰكذا (وشبَّك بين أصابعه)؟ تأخذون بما تعرفون، وتدعون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصَّتكم، وتذرون أمر عامَّتكم»[1].

قال الحافظ في «الفتح»:

«يجتمع الحديثان في قلة الأمانة وعدم الوفاء بالعهد وشدة الاختلاف، وفي كل منهما زيادة ليست في الآخر»[2].

هـ ـ الاعتزال إن لم تكن جماعة:

روى الشيخان عن حذيفة؛ قال:

كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهٰذا

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٤٤٧٠).

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ٣٩).

الخير، فهل بعد هٰذا الخير من شر؟ قال: «نعم». قلت: وهل بعد ذٰلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخَن»[1]. قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله! صفهم لنا. قال: «هم من جلدتنا، ويتكلَّمون بألستنا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذٰلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذٰلك»[2].

وفي رواية لمسلم؛ قال: «يكـون بعدي أئمة؛ لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس». قال حذيفة: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذٰلك؟ قال: «تسمع وتطيع الأمير، وإن ضُرب ظهرك وأخذ مالك؛ فاسمع وأطع»[2].

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال عياض: المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت بعد عثمان، والمراد بالخير الذي بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبدالعزيز، والمراد بالذين تعرف منهم وتنكر الأمراء بعده، فكان فيهم من يتمسَّك بالسنة والعدل، وفيهم من يدعو إلى البدعة ويعمل بالجور».

قال الحافظ:

---

(١) الحقد، وقيل: الدغل، وقيل: فساد في القلب، ومعنى الثلاثة متقارب. «فتح» (١٣/ ٣٦).

(٢) «مشكاة المصابيح» (٥٣٨٢).

«والـذي يظهر: أن المراد بالشر الأول: ما أشار إليه من الفتن الأولى، وبالخير: ما وقع من الاجتماع مع علي ومعاوية، وبالدخن: ما كان في زمنهما من بعض الأمـراء؛ كزياد بالعـراق، وخـلاف من خالف عليه من الخـوارج، وبـالدعاة على أبواب جهنم: من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم، وإلى ذٰلك الإشارة بقوله: «الزم جماعة المسلمين وإمامهم»؛ يعني: ولو جار»[1].

قال الحافظ:

«وقوله: (وأنت على ذٰلك)؛ هو كناية عن لزوم جماعة المسلمين وطاعة سلاطينهم ولو عصوا.

قال البيضاوي: المعنى: إذا لَم يكن في الأرض خليفة؛ فعليك بالعزلة والصبر على تحمُّل شدة الزمان.

قال ابن بطال: فيه حجَّـة لجمـاعـة الفقهـاء في وجـوب لزوم جمـاعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور.

قال الـطبري: اختلف في الجماعة، فقال قوم: السواد الأعظم، وقال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون مَن بعدهم، وقال بعضهم: المراد بهم أهل العلم؛ لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين.

قال الطبري: والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته؛ خرج عن الجماعة.

قال: وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام، فافترق الناس أحزاباً، فلا يتبع أحداً في الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع ذٰلك؛ خشية من الوقوع

---

(1) «فتح الباري» (١٣ / ٣٦).

في الشر»[1].

و ـ السعيد في وقت الفتن:

روى أبو داود عن المقداد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال:

«إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواهاً»[2].

قال المناوي:

«(إن السعيد لمن جُنِّب الفتن)؛ يعني: بَعُـدَ عنها، ووفِّق للزوم بيته، وكرره ثلاثاً؛ مبالغة في تأكد المباعدة عنها.

(فصبر)؛ أي: صبر على ما وقع من الفتن، وصبر على ظلم الناس له، وتحمَّل أذاهم، ولم يدفع عن نفسه.

(فواهاً)؛ أي: طوبى له لما حصل فواهاً له ما أطيبه»[3].

ز ـ خير الناس وأنجاهم في الفتن:

روى مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال:

«خير معايش الناس لهم: رجل ممسكٌ بعنان فرسه في سبيل الله ويطير على متنه[4]، كلما سمع هيعة[5] أو فزعةً؛ طار عليه إليها يبتغي الموت أو القتل

(١) «فتح الباري» (١٣ / ٣٦ ـ ٣٧).
(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ١٦٣٣).
(٣) «فيض القدير» (٢ / ٣٤٥).
(٤) ظهره.
(٥) ما أفزع من صوت ونحوه.

مظانه[1]، ورجل في غنيمة[2] في رأس شَعَفة[3] من هٰذه الشعف أو بطن[4] واد من هٰذه الأودية؛ يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين[5]، ليس من الناس إلا في خير»[6].

وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«أظلَّتكم[7] فتنٌ كقطع الليل المظلم، أنجى الناس منها: صاحب شاهقة[8] يأكل من رِسْل غنمه[9]، أو رجل من وراء الدروب[10] آخذ بعنان[11] فرسه يأكل من ظلِّ سيفه»[12].

وروى الحاكم عن ابن عباس والطبراني عن أم مالك البهزيَّة: أن رسول الله ﷺ قال:

«خير الناس في الفتن: رجلٌ آخذٌ بعنان فرسه خلف أعداء الله يخيفهم ويخيفونه، أو رجلٌ معتزل في بادية يؤدي حق الله الذي عليه»[13].

---

(1) المواضع التي يتوقعه فيها.

(2) القليل من الغنم.

(3) أعلى الجبل.

(4) وسط الوادي.

(5) الموت.

(6) وهو في «صحيح سنن ابن ماجه» (رقم ٣٢١٢)، وفي «صحيح الجامع» (٥٧٩١)

(7) نزلت بكم وأحاطتكم.

(8) جبل.

(9) من لبنها.

(10) المضائق من الجبال.

(11) أي: لجامها.

(12) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ١٠٤٦).

(13) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٣٢٨٧).

ح ـ وصايا رسول الله ﷺ لنا إذا وقعت الفتن بين المسلمين:

ـ اتخاذ سيف من خشب:

روى أحمد والترمذي وابن ماجه عن أهبان؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا كانت الفتنة بين المسلمين؛ فاتخذ سيفاً من خشب»[1].

وقد وضحت رواية ابن ماجه مناسبة هٰذا الحديث؛ فعن عديسة بنت أهبان قالت:

«لما جاء علي بن أبي طالب ها هنا البصرة؛ دخل على أبي، فقال: يا أبا مسلم! ألا تعينني على هٰؤلاء القوم؟ قال: بلى. قال: فدعا جارية له، فقال: يا جارية! أخرجي سيفي. قال: فأخرجته. فسلَّ منه قدر شبر، فإذا هو خشب، فقال: إن خليلي وابن عمك ﷺ عهد إليَّ إذا كانت الفتنة بين المسلمين فأتخذ سيفاً من خشب، فإن شئت خرجت معك. قال: لا حاجة لي فيك ولا في سيفك»[2].

قال المناوي رحمه الله في «الفيض»:

«قال الطبري: هٰذا في فتنة نهينا عن القتال فيها وأمرنا بكفِّ الأيدي والهرب منها، إذ لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين طائفتين مسلمتين الهرب منه وكسر السيوف؛ لما أقيم حدٌّ، ولا أبطل باطل، ووجد أهل الشقاق والنفاق سبيلاً إلى استحلال ما حرِّم من أموال المسلمين وسفك دمائهم بأن يتحزَّبوا عليهم، ونكفّ أيدينا عنهم، ونقول: هٰذه فتنة، فما نقاتل فيها، وذٰلك

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٧٢).

(٢) وهو في «صحيح سنن ابن ماجه» (رقم ٣١٩٩).

مخالف لخبر: «خذوا على أيدي سفهائكم»[1]، فتعيَّن أن محل الأمر بالكف إذا كان القتال على الدنيا أو لاتباع الهوى أو عصبية»[2].

ـ كسر القسيّ وتقطيع الأوتار ولزوم البيت وضرب السيوف بالحجارة:

روى الترمذي والبيهقي في «شعب الإيمان» وابن عساكر؛ عن أبي موسى عن النبي ﷺ؛ قال:

«اكسروا فيها قسيَّكم[3] (يعني: في الفتنة)، واقطعوا فيها أوتاركم[4]، والزموا فيها أجواف بيوتكم، وكونوا فيها كالخيِّر[5] من ابني آدم»[6].

قال شيخنا في «السلسلة الصحيحة» تعليقاً على الحديث:

«وفي الحديث إشارة قويَّة إلى أن الأمر بلزوم البيت إنما هو في وقت الفتن والهرج والمرْج، فعليه يحمل بعض الأحاديث الآمرة بلزوم البيت مطلقاً»[7].

ويؤيد ما ذهب إليه شيخنا صراحة الحديث الذي رواه الديلمي في «المسلسلات» وغيره عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«سلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته»[8].

---

(1) حديث ضعيف، وهو في «ضعيف الجامع» لشيخنا الألباني (رقم ٢٩١٨).

(2) «فيض القدير» (١ / ٤٢٩).

(3) مفردها: قوس، وهو ما ترمى به السهم.

(4) مفردها: وتر، وهو القوس.

(5) المقتول من ابني آدم.

(6) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ١٢٣٢).

(7) «السلسلة الصحيحة» (٤ / حديث رقم ١٥٢٤).

(8) «صحيح الجامع» (رقم ٣٥٤٣).

قال الخطابي في كتابه «العزلة» (باب ما جاء في العزلة):

«والعزلة عند الفتنة سنَّة الأنبياء وعصمة الأولياء وسيرة الحكماء والأولياء، فلا أعلم لمن عابها عذراً، لا سيما في هٰذا الزمن القليل خيره، وبالله نستعيذ من شره وريبه»[1].

وروى ابن ماجـه عن أبي بردة؛ قال: دخلت على محمد بن مسلمة، فقال: إن رسول الله ﷺ قال:

«إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف، فإذا كان كذٰلك؛ فائت بسيفك أحداً، فاضربه حتى ينقطع، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يدٌ خاطئة[2] أو منيَّةٌ قاضية».

فقد وقعت وفعلت ما قال رسول الله ﷺ[3].

ـ اللحاق بإبله أو غنمه أو أرضه:

روى أحمد ومسلم وأبو داود عن أبي بكرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتن، القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت؛ فمن كان له إبل؛ فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم؛ فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض؛ فليلحق بأرضه». قال: فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت إن لم تكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «يعمد إلى سيفه، فيدق على حدِّه بحجر، ثم لينج إن استطاع

(١) كتاب «العزلة» للخطابي (ص ١٣).

(٢) هي التي تقتل المؤمن ظلماً.

(٣) «صحيح سنن ابن ماجه» (رقم ٣٢٠١).

النجاء، اللهم هل بلَّغت؟ اللهم هل بلَّغت؟ اللهم هل بلَّغت؟». قال: فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت إن أكرهت حتى يُنْطَلَق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: «يبوء بإثمه وإثمك، فيكون من أصحاب النار...»[1].

وروى أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع به شَعَف الجبال ومواقع القطر، يفرُّ بدينه من الفتن»[2].

قال الحافظ في «الفتح»:

«ذكر الخطابي في كتاب «العزلة» أن العزلة والاختلاط يختلف باختلاف متعلقاتهما، فتُحمل الأدلة الواردة في الحض على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة وأمور الدين، وعكسها في عكسه، وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان؛ فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ومحافظة دينه؛ فالأولى له الانكفاف عن مخالطة الناس، بشرط أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد وحقوق المسلمين من العيادة وشهود الجنازة ونحو ذلك، والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة؛ لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمَّات، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغداء والعشاء، فيقتصر منه على ما لا بدَّ له منه، والله أعلم»[3].

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٤٢٦)

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٨٠٣٩)

(٣) «فتح الباري» (١١ / ٣٣٢ - ٣٣٣).

قال الحافظ:

«قال القشيري في «الرسالة»: طريق من آثر العزلة أن يعتقد سلامة الناس من شرِّه لا العكس؛ فإن الأول ينتجه استصغاره نفسه، وهو صفة المتواضع، والثاني شهوده مزية له على غيره، وهٰذه صفة المتكبر»[1].

ـ العبادة والانقطاع لله تعالى:

روى أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن معقل بن يسار؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«العبادة في الهرج كهجرة إليَّ»[2].

وجاء الحديث من رواية الطبراني عن معقل بن يسار:

«عبادة في الهرج والفتنة كهجرة إليَّ»[3].

قال المناوي:

«(العبادة في الهرج)؛ أي: وقت الفتن واختلاط الأمور؛ (كهجرة إليَّ) في كثرة الثواب، أو يُقال: المهاجر في الأول قليل لعدم تمكُّن الناس من ذٰلك، وكذٰلك العابد في الهرج قليل.

قال ابن العربي: وجه تمثيله بالهجرة: أن الزمن الأول كان الناس يفرون فيه من دار الكفر وأهله إلى دار الإيمان وأهله، فإذا وقعت الفتن؛ تعيَّن على المرء أن يفرَّ بدينه من الفتنة إلى العبادة، ويهجر أولٰئك القوم وتلك الحالة، وهو

---

(١) «فتح الباري» (١١ / ٣٣٣).

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٣٩٩٨).

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٣٨٦٩).

أحد أقسام الهجرة»[1].

ـ إذا ابتُلِي بالفتنة؛ فليكن كخير ابنَي آدم:

روى أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن أبي موسى الأشعري؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسِّروا قسيَّكم، وقطِّعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دُخِل على أحد منكم بيتُه؛ فليكن كخير ابني آدم»[2].

وروى أحمد والحاكم عن خالد بن عرفطة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ستكون أحداثٌ وفتنةٌ وفرقةٌ واختلاف، فإن استطعت أن تكون المقتول لا القاتل؛ فافعل»[3].

قال المناوي:

«يعني: كفَّ يدك عن القتال واستسلم، والظاهر أن هٰذا في فتنٍ تكون بين المسلمين، أما الكفار؛ فلا يجوز الاستسلام لهم»[4].

وروى أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن بسر بن سعيد: أن سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان بن عفان: أشهد أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) «فيض القدير» (٤ / ٣٧٣).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٠٤٥).

(٣) هو في «صحيح الجامع» (رقم ٣٦١٠).

(٤) «فيض القدير» (٤ / ١٠١).

«إنها ستكون فتنة؛ القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي». قال: أفرأيت إن دخل عليَّ بيتي وبسط يده إليَّ ليقتلني؟ قال: «كن كابن آدم»[1]. هٰذا لفظ الترمذي.

وروى الحاكم عن حذيفة رضي الله عنه فيما يرويه عنه ربعي بن حراش؛ قال:

قيل: يا أبا عبدالله! ما تأمرنا إذا اقتتل المصلُّون؟ قال: «آمرك أن تنظر أقصى بيت من دارك، فتلجْ فيه، فإن دُخِلَ عليك؛ فتقول: ها بؤ بإثمي وإثمك، فتكون كابن آدم»[2].

ـ حفظ اللسان:

روى الطبراني عن الحارث بن هشام؛ قال: يا رسول الله! حدِّثني بأمر أعتصم به؛ قال:

«املك عليك لسانك»[3].

قال المناوي:

«يا من سألت النجاة! لا تحرك لسانك في معصية، بل ولا فيما لا يعنيك؛ فإن أعظم ما تطلب استقامة بهٰذا القلب اللسان؛ فإنه الترجمان، وإذا تعوَّد اللسان؛ صعب عليه الصبر عنها، فبعد عليه النجاة منها، ولهٰذا تجد الرجل: يقوم الليل، ويصوم النهار، ويتورَّع عن استناده إلى وسادة حرير أو قعوده عليه في نحو وليمة لحظة واحدة، ولسانه يفرى في الأعراض غيبة ونميمة وتنقيصاً

---

(١) «صحيح سنن الترمذي» (١٧٨٥).

(٢) «المستدرك» للحاكم (٤ / ٤٤٤ ـ ٤٤٥)، وفي «الإرواء» (٨ / ١٠٢).

(٣) صحيح لغيره، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ١٣٨٧).

وإزراء، ويرمي الأفاضل بالجهل، ويتفكّه بأعراضهم، ويقول على ما لا يعلم، وكثيراً ممَّن نجده يتورع عن دقائق الحرام كقطرة خمر ورأس إبرة من نجاسة ولا يبالي بمعاشرة المرد والخلوة بهم»[1].

وروى أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عمرو؛ قال: كنا جلوساً حول رسول الله ﷺ، إذ ذكر الفتنة، فقال:

«إذا رأيت الناس قد مرجت[2] عهودهم، وخفَّت أماناتهم[3]، وكانوا هٰكذا (وشبك بين أنامله)[4]؛ فالزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة أمر نفسك، ودع[5] عنك أمر العامَّة»[6].

وقد أمرنا رسول الله ﷺ أمراً عامّاً بأن نملك ألسنتنا؛ سواء في الفتنة أو غيرها، وذٰلك أنه سبب النجاة، وأنه هو الذي يكب الناس في النار على مناخرهم.

روى الترمذي عن عقبة بن عامر: أن رسول الله ﷺ قال له:

«املك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[7].

وروى الطبراني والبخاري في «التاريخ» عن أسود بن أصرم المحاربي:

---

(١) «فيض القدير» (٢ / ١٩٦).

(٢) اختلفت ولم يفوا بها.

(٣) قلَّت وفسدت.

(٤) أطراف أصابعه.

(٥) اترك.

(٦) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٥٧٧).

(٧) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ١٣٨٨).

أنه قدم بإبل له سمان إلى المدينة في زمن محل[1] وجدوب من الأرض، فلما رآها أهل المدينة؛ عجبوا من سمنها، فذكرت ذٰلك لرسول الله ﷺ، فأرسل إليهـا رسول الله ﷺ، فأتي بها، فخرج إليها، فنظر إليها، فقال: «لم جلبْت إبلك هٰذه؟». قال: أردت بها خادماً؟ فقال رسول الله ﷺ: «من عنده خادم؟». فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: عندي يا رسول الله. قال: «فأت بها». فجاء بها عثمان، فلما رآها أسود؛ قال: مثلها أريد. فقال: «عندك؛ فخذها». فأخذها أسود، وقبض رسول الله ﷺ إبله، فقال أسود: يا رسول الله! أوصني. قال: «هـل تملك لسـانك؟». قال: فما أملك إذا لم أملكه؟ قال: «أفتملك يدك؟». قال: فما أملك إذا لم أملك يدي؟ قال: «فلا تقل بلسانك إلا معروفاً، ولا تبسط يدك إلا إلى خير»[2].

وروى أحمد والترمذي عن ابن عمرو؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من صمت نجا»[3].

قال المناوي:

«من صمت عن النطق بالشر نجا من العقاب والعتاب يوم المآب.

قال الغـزالي: هٰذا من فصـل الخـطاب، وجـوامع كلمه ﷺ، وجواهر حِكَمه، وذٰلك أن خطر اللسان عظيم، وآفاته كثيرة؛ من نحو كذب وغيبة ونميمة ورياء ونفاق وفحش ومراء وتزكية نفس وخوض في باطل، ومع ذٰلك؛ فإن النفس تميل إليها؛ لأنها سباقة إلى اللسان، ولها حلاوة في القلب، وعليها بواعث من

---

(١) يقال: قحلت الأرض: يبست وأجدبت. «المعجم الوسيط».

(٢) «السلسلة الصحيحة» (٤ / حديث رقم ١٥٦٠).

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٦٢٣٤).

الطبع والشيطان، فالخائض فيها قلَّما يقدِر على أن يُلْزم لسانه فيطلقه فيما يحب ويكفه عما لا يحب، ففي الخوض خطر، وفي الصمت سلامة، مع ما فيه من جمع الهمّ ودوام الوقار وفراغ الفكر للعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة»[1].

تنبيه:

قال المناوي:

«قال ابن حجر: الأحاديث الواردة في الصمت وفضله ـ كحديث «من صمت نجا» وغيره ـ لا تعارض حديث ابن عباس من النهي عن صمت يوم إلى الليل؛ لاختلاف المقاصد في ذٰلك، فالصمت المرغَّب فيه ترك الكلام الباطل، وكذا المباح إن جرَّ إليه، والصمت المنهي عنه ترك الكلام في الحق لمن يستطيعه، وكذا المباح المستوي الطرفين»[2].

ويؤيد ما قاله ابن حجر ما جاء من زيادة في حديث معاذ عند الطبراني والبيهقي في «شعب الإيمان»:

«إنك لن تزال سالماً ما سكت، فإذا تكلَّمت؛ كتب لك أو عليك»[3].

فما تتكلم به: إما أن يكون خيراً؛ ففي ميزان حسناتك، أو شرّاً؛ فلا تلومنَّ إلا نفسك.

ط ـ ظهور الفتن بقبض العلم:

روى أحمد والشيخان وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي

---

(١) «فيض القدير» (٦ / ١٧١).

(٢) «فيض القدير» (٦ / ١٧١).

(٣) «صحيح الجامع» (رقم ٥٠١٢).

ﷺ؛ قال:

«يتقارب الزمان، ويُقبضُ العلم، ويُلقى الشحُّ، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج». قيل: وما الهرج؟ قال: «القتل»[1].

وفي رواية للبخاري: «وينقص العمل»؛ بدل: «ويقبض العلم»، وفي رواية: «وينقص العلم»؛ بدل: «يقبض».

قال الحافظ في «الفتح»:

«المراد بقوله: (يتقارب الزمان)؛ نزع البركة من كل شيء، حتى من الزمان»[2].

ثم قال:

«قال النووي تبعاً لعياض وغيره: المراد بقصره عدم البركة فيه، وأن اليوم مثلاً يصير الانتفاع به بقدر الانتفاع بالساعة الواحدة»[3].

ثم قال:

«قال ابن أبي جمرة: يحتمل أن يكون المراد بتقارب الزمن قصره على ما وقع في حديث: «لا تقوم الساعة حتى تكون السنة[4] كالشهر»، وعلى هٰذا؛ فالقصر يُحتمل أن يكون حسيّاً ويُحتمل أن يكون معنويّاً، أما الحسي؛ فلم يظهر

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٧٨٧٦).

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ١٦).

(٣) «فتح الباري» (١٣ / ١٧).

(٤) يشير بذٰلك للحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة بالنار».

بعد، ولعله من الأمور التي تكون قرب قيام الساعة، وأما المعنوي؛ فله مدة منذ ظهر يعرف ذٰلك أهل العلم الديني ومن له فطنة من أهل السبب الدنيوي؛ فإنهم يجدون أنفسهم لا يقدِرُ أحدهم أن يبلغ من العمل قدر ما كانوا يعملونه قبل ذٰلك، ويشكون ذٰلك، ولا يدرون العلَّة فيه، ولعلَّ ذٰلك بسبب ما وقع من ضعف الإيمان؛ لظهور الأمور المخالفة للشرع من عدة أوجه، وأشد ذٰلك الأقوات؛ ففيها من الحرام المحض ومن الشبه ما لا يخفى، حتى إن كثيراً من الناس لا يتوقف في شيء، ومهما قدر على تحصيل شيء؛ هجم عليه، ولا يُبالي، والواقع أن البركة في الزمان وفي الرزق وفي النبت، إنما يكون من طريق قوة الإيمان واتباع الأمر واجتناب النهي والشاهد لذٰلك قوله تعالى: ﴿ولَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّماءِ والأرضِ﴾[1]»[2].

ثم قال الحافظ:

«وقوله: (ينقص العلم)؛ قيل: المراد نقص علم كل عالم، بأن يطرأ عليه النسيان مثلاً، وقيل: نقص العلم بموت أهله، فكلما مات عالم في بلد ولم يخلفه غيره؛ نقص العلم من تلك البلد.

وأما نقص العمل؛ فيحتمل أن يكون بالنسبة لكل فرد فرد، فإن العامل إذا دهمته الخطوب؛ ألهته عن أوراده وعبادته، ويحتمل أن يُراد به ظهور الخيانة في الأمانات والصناعات».

ثم قال الحافظ:

«قال ابن أبي جمرة: نقص العمل الحسي ينشأ عن نقص الدين ضرورة،

---

(١) الأعراف: ٩٦.

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ١٧).

وأما المعنوي؛ فبحسب ما يدخل من الخلل بسبب سوء المطعم وقلّة المساعد على العمل والنفس ميّالة إلى الراحة ولكثرة شياطين الإنس الذين هم أضرّ من شياطين الجن.

وقوله: (ويلقى الشح)؛ فالمراد إلقاؤه في قلوب الناس على اختلاف أحوالهم، حتى يبخل العالم بعلمه فيترك التعليم والفتوى، ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم غيره، ويبخل الغنيّ بماله حتى يهلك الفقير، وليس المراد وجود أصل الشح؛ لأنه لم يزل موجوداً.

قال ابن أبي جمرة: يُحتمل أن يكون إلقاء الشحّ عامّاً في الأشخاص، والمحذور من ذلك ما يترتب عليه مفسدة، والشحيح شرعاً هو من يمنع ما وجب عليه، وإمساك ذلك؛ فمحقٌّ للمال مذهب لبركته، ويؤيده: «ما نقص مال من صدقة»[1]؛ فإن أهل المعرفة فهموا منه أن المال الذي يخرج منه الحق الشرعي لا يلحقه آفة ولا عاهة، بل يحصل له النماء، ومن ثم سُميت الزكاة؛ لأن المال ينمو بها، ويحصل فيه البركة.

وقوله: (وتظهر الفتن)؛ فالمراد كثرتها، واشتهارها، وعدم التكاتم بها، والمراد بها أيضاً ما يؤثر في أمر الدين، والله المستعان»[2].

وروى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ؛ قال: «يُقبَض العلم، ويظهر الجهل والفتن، ويكثر الهرج»[3].

وروى أحمد والبخاري وابن ماجه عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ؛

---

(١) وهو جزء من حديث في «صحيح الجامع» (رقم ٣٠٢٢) ومضى مطولاً.

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ١٧).

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٩٨٠).

قال: «لا تقوم الساعة حتى يُقبَض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل»[1].

ي ـ مواقع الفتن وكثرتها:

روى أحمد والشيخان عن أسامة؛ قال:

«أشرف النبي ﷺ على أُطُم من آطام المدينة، فقال: هل ترون ما أرى؟ قالوا: لا. قال: فإني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع المطر»[2].

قال الحافظ:

«شبَّه سقوط الفتن وكثرتها بالمدينة بسقوط المطر في الكثرة والعموم، وهٰذا من علامات النبوة؛ لإخباره بما سيكون، وقد ظهر مصداق ذٰلك من قتل عثمان... وهلمَّ جرّاً، ولا سيما يوم الحرة.

والرؤية المذكورة يحتمل أن تكون بمعنى العلم أو رؤية العين، بأن تكون الفتن مُثِّلت له حتى رآها، كما مُثِّلت له الجنَّة والنار في القبلة حتى رآهما وهو يصلي»[3].

وروى الشيخان والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق؛ يقول:

«ألا إن الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان»[4].

وفي رواية عن ابن عمر عن النبي ﷺ: أنه قام إلى جنب المنبر، فقال:

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٣٠٥).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٦٩٠٧).

(٣) «فتح الباري» (٤ / ٩٥).

(٤) «صحيح الجامع» (٢٦٢٩).

«الفتنة ها هنا، الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان». قال: «قرن الشمس»[1].

وروى الشيخان عن أبي مسعود رضي الله عنه؛ قال:

أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن، فقال: «الإيمان يمان ها هنا، إلا أن القسوة وغلظ القلوب في الفدَّادين عند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر»[2].

وروى الشيخان ومالك عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال:

«رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل والفدَّادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم»[3].

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ذكر النبي ﷺ:

«اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا». قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا. قال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا». قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا. فأظنُّه قال في الثالثة: «هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان»[4].

ومن هٰذه الأحاديث تبدو ملاحظات لا بدَّ من ذكرها:

ـ ذكر رسول الله ﷺ أنه رأى مواقع الفتن في المدينة، وفي هٰذه

---

(١) «فتح الباري» (١٣ / رقم ٧٠٩٢).

(٢) «صحيح الجامع» (٢٨٠١).

(٣) «صحيح الجامع» (٣٤٤٦).

(٤) وهو في «مشكاة المصابيح» (رقم ٦٢٦٢).

الأحاديث أن الكفر من قبل المشرق، والجمع بينهما كما قال الحافظ في «الفتح»:

«اختصَّت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها، ثم انتشرت الفتن بعد ذلك، فالقتال بالجمل وصفين كان بسبب قتل عثمان رضي الله عنه، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولَّد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولَّد عنه، ثم إن قتل عثمان كان أشدّ أسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم، وأول ما نشأ ذلك من العراق، وهي من جهة المشرق، فلا منافاة بين الأحاديث»[1].

وقد يكون المراد أن منشأ الفتن ابتداء جهة المشرق، أما منشأ الفتن في المدينة؛ فهو ممَّن قدم من خارجها، وليس من أهلها ابتداء، والله أعلم.

ـ أخبر رسول الله ﷺ بوقوع الفتن خلال البيوت؛ ليتأهَّبوا لها، فلا يخوضوا فيها، ويسألوا الله الصبر والنجاة من شرها[2].

ـ ذكر رسول الله ﷺ نجداً بأنها أرض الزلازل والفتن، وليس المقصود بها نجد التي في جزيرة العرب، وإنما العراق، ويؤيد ذلك ما أخرجه أبو نعيم في «الحلية» وابن عساكر عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قال:

«اللهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مكتنا، وبارك لنا في شامنا، وبارك لنا في يمننا، وبارك لنا في صاعنا ومدِّنا». فقال رجل: يا رسول الله! وفي عراقنا. فأعرض عنه، فقال: «فيها الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان»[3].

---

(١) «فتح الباري» (١٣ / ١٣).

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ١٣).

(٣) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم (٦ / ١٣٣).

قال شيخنا:

«يستفاد من مجموع طرق الحديث أن المراد من (نجد) في رواية البخاري ليس هو الإقليم المعروف اليوم بهٰذا الاسم، وإنما هو العراق، وبذٰلك فسَّره الإمام الخطابي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، وتجد كلامهما[1] في ذٰلك في شرح كتاب الفتن من «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر».

ثم قال شيخنا:

«وقد تحقَّق ما أنبأ به عليه السلام؛ فإن كثيراً من الفتن الكبرى كان مصدرها العراق؛ كالقتال بين سيدنا علي ومعاوية، وبين عليٍّ والخوارج، وبين عليٍّ وعائشة، وغيرها مما هو مذكور في كتب التاريخ، فالحديث من معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم وأعلام نبوَّته.

ومن ذٰلك تعلم أن الأستاذ صلاح الدين المنجِّد أخطأ أيضاً في حشر هٰذا الحديث في الأحاديث الموضوعة في مقدِّمته لـ (الفضائل)»[2].

ـ ترك رسول الله ﷺ الدعاء لأهل المشرق ليضعفوا عن الشر الذي هو موضوع في جهتهم لاستيلاء الشيطان بالفتن. قاله المهلَّب[3].

ـ مفهوم قرن الشيطان وقرن الشمس:

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال الداوودي: للشمس قرن حقيقة، ويحتمل أن يريد بالقرن قوة

(1) «فتح الباري» (13 / 47). .

(2) «تخريج أحاديث فضائل الشام وأهله» (ص 27 ـ 28).

(3) «فتح الباري» (13 / 46).

الشيطان وما يستعين به على الإضلال، وهٰذا أوجه. وقيل: إن الشيطان يقرن رأسه بالشمس عند طلوعها؛ ليقع سجود عبدتها[1] له. قيل: ويحتمل أن يكون للشمس شيطان تطلع الشمس بين قرنيه»[2].

ك - بيع الدين بعرض من الدنيا قليل:

روى أحمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا قليل»[1].

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا»[3].

---

(1) يشير بذٰلك إلى الحديث الذي رواه مسلم عن عمرو بن عنبسة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس؛ حتى ترتفع؛ فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقلَّ[أ] الظلُّ بالرمح ثم أقصر عن الصلاة؛ فإن حينئذ تسجَر[ب] جهنَّم، فإذا أقبل الفيء[ج]؛ فصلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى تصلي العصر ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار»[د]. .

(2) «صحيح الجامع» (رقم ٢٨١١).

(3) «صحيح الجامع» (رقم ٢٩٩٠).

(أ) يرتفع.

(ب) توقد.

(ج) الظل.

(د) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٣٦٦٩).

ورواه الحاكم عن ابن عمر بلفظ:

«ليغشينَّ أمَّتي من بعدي فتنٌ كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرضٍ من الدنيا قليل»[1].

قال المناوي:

«المـراد من هٰذه الأحاديث الحث على المسارعة بالعمل الصالح قبل تعذُّره أو تعسُّره بالشغل عما يحدث من الفتن المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل، ثم وصف نوعاً من شدائد الفتن، بقوله: «يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافـراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً»، وهٰذا لعظم الفتن، يتقلب الإنسان في اليوم الواحد هٰذه الانقلابات، فيبيع أحدهم دينه بقليل من حطام الدنيا».

ثم قال المناوي:

«قال في «المطامح»: هٰذا وما أشبهه من أحاديث الفتن من جملة معجزاته الاستقبالية التي أخبر أنها ستكون بعده، وكانت وستكون، وقد أفردها جمعٌ بالتأليف»[2].

وروى الترمذي عن الحسن: أنه كان يقول في هٰذا الحديث:

«يصبح الرجل مؤ ويمسي كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً»

قال: «يصبح محرِّماً لدم أخيه وعرضه وماله، ويُمسي مستحلاًّ له، ويمسي محرِّماً لدم أخيه وعرضه وماله، ويصبح مستحلاًّ له»[3].

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٥٣٣٦).

(٢) «فيض القدير» (٣ / ١٩٤).

(٣) «صحيح سنن الترمذي» (٢ / ٢٤٠ / حديث ١٧٨٩).

ل ـ فهم الصحابة والتابعين للاعتزال في الفتنة وكف اللسان:

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما:

أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير، فقالا: إن الناس قد ضُيِّعوا، وأنت ابن عمر، وصاحب النبي ﷺ، فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: «يمنعني أن الله حرَّم دم أخي». فقالا: ألم يقل الله: ﴿وقاتِلوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَـةٌ﴾؟ فقال: «قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله»[1].

وفي رواية عن نافع:

أن رجلاً أتى ابن عمر، فقال: يا أبا عبدالرحمٰن! ما حملك على أن تحجَّ عاماً وتعتمر عاماً وتترك الجهاد في سبيل الله عزَّ وجل، وقد علمتَ ما رغَّب الله فيه؟! قال: «يا ابن أخي! بني الإسـلام على خمس: إيمـانٌ بالله ورسـوله، والصلوات الخمس، وصيام رمضان، وأداء الزكاة، وحج البيت». قال: يا أبا عبدالرحمٰن! ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿وإِنْ طَائِفتانِ مِنَ المُؤمِنينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحوا بينَهُما فإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلى الأُخْرى فقاتِلوا الَّتي تَبْغي حَتَّى تَفيءَ إِلى أَمْرِ اللـهِ﴾، ﴿وقاتِلوهُمْ حَتَّى لا تَكونَ فِتْنَةٌ﴾؟ قال: «فعلنا على عهد رسول الله ﷺ، وكـان الإسـلام قليلاً، فكان الرجل يفتن في دينه: إما قتلوه، وإما يعذبونه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة». قال: فما قولك في عليٍّ وعثمان؟ قال: «أما عثمان؛ فكان الله عفا عنه، وأما أنتم؛ فكرهتم أن يعفو عنه، وأما عليٌّ؛ فابن عـم رسول الله ﷺ وختَنه[2]، (وأشار بيده فقال:) هٰذا بيته حيث

---

(1) «فتح الباري» (٨ / حديث ٤٥١٣).

(2) صهره.

ترون»[1].

وروى البخاري عن سعيد بن جُبير؛ قال:

خرج علينا عبدالله بن عمر، فرجَوْنا أن يحدِّثنا حديثاً حسناً. قال: فبادَرَدنا إليه رجلٌ، فقال: يا أبا عبدالرحمٰن! حدِّثنا عن القتال في الفتنة، والله يقول: ﴿قاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكونَ فِتْنَةٌ﴾. قال: «هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمُّك؟ إنما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالهم على الملك»[2].

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما:

أن رجلاً جاءه، فقال: يا أبا عبدالرحمٰن! ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿وإِنْ طَائِفتانِ مِنَ المُؤمِنينَ اقْتَتَلوا...﴾ إلى آخر الآية، فما يمنعك ألا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: «يا ابن أخي! أُعَيَّرُ بهٰذه الآية ولا أقاتل أحبُّ إليَّ من أن أُعيَّر بهٰذه الآية التي يقول الله تعالى: ﴿ومَنْ يَقْتُلْ مُؤمناً مُتَعَمِّداً....﴾ إلى آخرها». قال: فإن الله يقول: ﴿وقاتِلوهُمْ حَتَّى لَا تَكونَ فِتْنَةٌ﴾. قال ابن عمر: «قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلاً، فكان الرجل يُفتن في دينه، إما يقتلوه، وإما يوثقوه، حتى كثر الإسلام، فلم تكن فتنة». فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد؛ قال: فما قولك في عليٍّ وعثمان؟ قال ابن عمر: «ما قولي في عليٍّ وعثمان؟! أما عثمان فكان الله قد عفا عنه؛ فكرهتم أن يعفوَ عنه، وأما عليٌّ فابن عم رسول الله ﷺ وختَنه، وأشار بيده، وهٰذه ابنته أو بيته حيث ترون»[3].

---

(1) «فتح الباري» (٨ / رقم ٤٥١٤ و٤٥١٥).

(2) «فتح الباري» (١٣ / رقم ٧٠٩٥).

(3) «فتح الباري» (٨ / رقم ٤٦٥٠).

من هٰذه الأحاديث يتبيَّن :

ـ تعظيم ابن عمر رضي الله عنهما لحرمة دم المؤمن حتى لو أدَّى ذٰلك لتعييره بالتقاعس عن الإصلاح بين المسلمين عند اقتتالهم .

ـ السائل كان يرى قتال من خالف الإمام الذي يعتقد طاعته ، وكان ابن عمر يرى ترك القتال فيما يتعلَّق بالملك[1].

ـ يرى ابن عمر ترك القتال في الفتنة ولو ظهر أن إحدى الطائفتين محقَّة والأخرى مبطلة ، وقيل : الفتنة مختصَّة بما إذا وقع القتال بسبب التغالب في طلب الملك ، أما إذا علمت الباغية ؛ فلا تسمَّى فتنة ، وتجب مقاتلتها حتى ترجع إلى الطاعة ، وهو قول الجمهور[2].

ـ يبدو أن السائل لابن عمر فيما سبق من الخوارج لأنه قال له : فما قولك في علي وعثمان ؛ فإن الخوارج كانوا يتولَّون الشيخين ، ويحطُّون عثمان وعلياً ، فردَّ عليه ابن عمر بذكر مناقبهما ومنزلتهما من النبيِّ ﷺ والاعتذار عما عابوا به عثمان من الفرار[1] يوم أحد ؛ فإنه تعالى صرَّح في القرآن بأنه عفا

(١) «فتح الباري» (٨ / ٣١٠).

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ٤٧).

(٣) يشير بذٰلك إلى ما أخرجه البخاري عن عثمان بن مَوْهَب ؛ قال : «جاء رجل من أهل مصر وحجَّ البيت ، فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هٰؤلاء القوم؟ فقالوا : هٰؤلاء قريش . قال : فمن الشيخ فيهم؟ قالوا : عبدالله بن عمر . قال : يا ابن عمر! إني سائلك عن شيء فحدِّثني عنه : هل تعلمُ أن عثمان فرَّ يوم أحد؟ قال : نعم . فقال : تعلم أنه تغيَّب عن بدر ولم يشهد؟ قال : نعم . قال : هل تعلم أنه تغيَّب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال : نعم . قال : الله أكبر . قال ابن عمر : تعالَ أبيِّن لك : أما فراره يوم أحد ؛ فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له . وأما تغيُّبه عن بدر ؛ فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة ، فقال له رسول الله ﷺ : «إن لك أجر رجلٍ ممَّن شهد بدراً وسهمه» . وأما تغيُّبه عن بيعة الرضوان ؛ فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان ؛ لبعثه مكانه ، فبعث

. . . .

= رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ عليه بيده اليمنى: «هٰذه يد عثمان»، فضرب بها على يده، فقال: «هٰذه لعثمان». فقال ابن عمر: اذهب بها الآن معك»[أ].

تنبيهات لا بدَّ منها:

١ - يبدو أن السائل هنا كان رافضيّاً، فهو لم يتعرَّض لذكر عليٍّ رضي الله عنه.

٢ - الخوارج والروافض من الفرق الضالة التي ابتلي بها المسلمون، وكان الخروج والرفض مغلَّفين بغلاف الإسلام.

٣ - جعل كلٌّ من الفريقين أصحاب رسول الله ﷺ غرضاً لأهوائهم، فكفَّر الخوارج عليّاً وعثمان ومَن قال بقولهم، وكفَّر الروافض أصحاب محمد ﷺ إلا عليّاً وثلاثة.

٤ - كبَّر السائل مستحسناً مما يدلُّ على أنه كان ممَّن يتعصَّب على عثمان، فأراد بالمسائل الثلاث أن يقرِّر معتقده فيه[ب].

وهٰذا الصنف من الناس يسوؤه أن يأتي الجواب على غير ما يهوى؛ فقد روى البخاوي عن سعد بن عبيدة؛ قال: «جاء رجلٌ إلى ابن عمر، فسأله عن عثمان؟ فذكر عن محاسن عمله؛ قال: لعلَّ ذٰلك يسوؤك؟ قال: نعم. قال: فأرغم الله بأنفك. ثم سأله عن علي؟ فذكر محاسن عمله؛ قال: هو ذاك، بيته أوسط بيوت النبي ﷺ، ثم قال: لعلَّ ذٰلك يسوؤك؟ قال: أجل. قال: فأرغم الله بأنفك، انطلق فاجْهد عليَّ[ج] جَهْدَكَ»[د].

٥ - ولا يدور بخلد أحد أن الخوارج قد انتهوا، فهم لا يزالون موجودين، ومنهم فرقة الأباضية، وهي منتشرة بكثرة في بعض دول الخليج وشمال إفريقية، والرافضة قامت لهم دولتهم وأنا أدعو المسلمين إلى معرفة عقائدهم من كتبهم، وأن لا يستمعوا لأقوالهم، وخاصة الرافضة، فدينهم يقوم على التقيَّة، وكان الأولى أن يسموها الكذب. =

(أ) «فتح الباري» (٧ / ٥٩).

(ب) «فتح الباري» (٧ / ٥٩).

(ج) ابلغ غايتك في حقي؛ فإن الذي قلته لك الحق، وقائل الحق لا يبالي بما قيل في حقِّه من الباطل.

(د) «فتح الباري» (٧ / رقم ٣٧٠٤).

عنهم[1].

وقد أجاب عمران بن الحصين رضي الله عنه نافع بن الأزرق وأصحابه بمثل جواب ابن عمر للسائل حين زعموا له أنه هالك.

فقد روى ابن ماجه عن عمران بن الحصين؛ قال:

أتى نافع بن الأزرق وأصحابه، فقالوا: هلكت يا عمران! قال: ما هلكت؟! قالوا: بلى. قال: ما الذي أهلكني؟ قالوا: قال الله: ﴿وقاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكونَ فِتْنَةٌ ويكونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ﴾. قال: قد قاتلناهم حتى نفيناهم، فكان الدين كلُّه لله، إن شئتم حدثتكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ. قالوا: وأنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم؛ شهدت رسول الله ﷺ وقد بعث جيشاً من المسلمين إلى المشركين، فلما لقوهم؛ قاتلوهم قتالاً شديداً، فمنحوهم[2] أكتافهم، فحمل رجلٌ من لحمتي[3] على رجل من المشركين بالرمح، فلما

= ٦ ـ وأخيراً أوجِّه نصيحة لنفسي ولكل مسلم عدم الخوض فيما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وخاصة مقتل عثمان؛ فإن رسول الله ﷺ بيَّن لنا طريق النجاة لكل مسلم؛ فعلينا أن نتَّبع طريق النجاة.

روى أحمد والحاكم عن ابن حوالة الأزدي: أن رسول الله ﷺ قال: «مَن نجا من ثلاث فقد نجا، مَن نجا من ثلاث فقد نجا، مَن نجا من ثلاث فقد نجا: موتي، والدَّجَّال، وقتل خليفة مصطبر بالحق يعطيه»[هـ].

(١) «فتح الباري» (٨ / ٣١٠).

(٢) أي: أعطوهم أكتافهم، كأنه كناية عن التولي والإدبار؛ أي: مكنوهم من أكتافهم حتى يضربوا أكتافهم.

(٣) قرابتي.

(هـ) وهو في كتاب «السنة» لابن أبي عاصم بتحقيق شيخنا (رقم ١١٧٧) في باب ذكر خلافة عثمان، وقد ذكَّرني بهذا الحديث الأخ عبدالمنعم الغزاوي جزاه الله خيراً.

غشيه؛ قال: أشهد أن لا إله إلا الله، إني مسلم. فطعنه، فقتله، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! هلكت. قال: «وما الذي صنعت (مرة أو مرتين)؟». فأخبره بالذي صنع، فقال له رسول الله ﷺ: «فهلاَّ شققتَ عن بطنِه فعلمتَ ما في قلبه؟». قال: يا رسول الله! لو شققت بطنه لكنت أعلم ما في قلبه؟ قال: «فلا أنت قبلت ما تكلَّم به، ولا أنت تعلم ما في قلبه». قال: فسكت عنه رسول الله ﷺ، فلم يلبث إلا يسيراً، حتى مات، فدفنّاه، فأصبح على ظهر الأرض، فقالوا: لعلَّ عدوّاً نبشه، فدفنَّاه، ثم أمرنا غلماننا يحرسونه، فأصبح على ظهر الأرض، فقلنا: لعلَّ الغلمان نعسوا، فدفنَّاه، ثم حرسناه بأنفسنا، فأصبح على ظهر الأرض، فألقيناه في بعض الشعاب (وزاد في رواية: فنبذته الأرض)، فأخبر النبي ﷺ، وقال: «إن الأرض لتقبل من هو شرٌّ منه، ولكن الله أحبَّ أن يريكم تعظيم حرمة لا إله إلا الله»[1].

وهكذا كان التابعون رحمهم الله جميعاً ينهلون من الصحابة ما يعلمون ويعملون ليعملوا هم بدورهم.

روى ابن ماجه عن علقمة بن وقَّاص؛ قال:

مرَّ به رجل له شرفٌ، فقال له علقمة: إن لك رحِماً، وإن لك حقّاً، وإني رأيتك تدخُل على هؤلاء الأمراء، وتتكلَّم عندهم بما شاء الله أن تتكلَّم به، وإني سمعتُ بلال بن الحارث المُزَنيّ صاحب رسول الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم ليتكلَّم بالكلمة من رضوان الله، ما يظنُّ أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عزَّ وجلَّ له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن أحدكم ليتكلَّم بالكلمة من سخط الله، ما يظنُّ أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عزَّ وجلَّ عليه بها سُخطه

(١) وهو في «صحيح سنن ابن ماجه» (رقم ٣١٧٥)

إلى يوم يلقاه». قال علقمة: فانظر ـ ويحك ـ ماذا تقول؟ وماذا تكلّم به؟ فرب كلام قد منعني أن أتكلم به ما سمعت من بلال بن الحارث[1].

م ـ أنواع الفتن:

الفتن أنواع كثيرة لا حصر لها، ويمكن القول بأنها نوعان: كبير وصغير، وليس من حدٍّ فاصل بينهما يميز بينهما تماماً، ولكن الفتن الكبار المهلكة كما بيَّن لنا رسول الله ﷺ هي ثلاث، وإن كانت الأخرى التي تبدو صغيرة يترك بعضها آثاراً عظاماً لا حصر لها.

روى مسلم في «صحيحه» عن أبي إدريس الخولاني: كان يقول: قال حذيفة بن اليمان:

والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسرَّ لي في ذٰلك شيئاً لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله ﷺ وهو يعدُّ الفتن: «منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً، ومنهنَّ فتنٌ كرياح الصيف، منها صغار، ومنها كبار»، فذهب أولٰئك الرهط كلهم غيري[2].

ولعل الفتن الثلاث الكبار التي لا تذر شيئاً هي المذكورة في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الذي رواه عنه أبو داود وأحمد والحاكم؛ قال:

كنا قعوداً عند النبي ﷺ، فذكر الفتن، فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: وما فتنة الأحلاس[3]؟ قال: هي «هرب وحرْب، ثم فتنة

---

(١) وهو في «صحيح سنن الترمذي» (رقم ٣٢٠٥).

(٢) وهو في «مختصر مسلم» (رقم ١٩٩٢).

(٣) ما يفرش في البيت من متاع ونحوه، والمراد التي تدوم ويطول لبثها.

السراء، دخنها[1] من تحت قدميَّ، رجل من أهل بيتي يزعم أنه منِّي وليس منِّي، وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورْك[2] على ضِلَع، ثم فتنة الدهيماء[3] لا تدع[4] أحداً من هٰذه الأمَّة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل: انقضت[5]؛ تمـادت[6]، يصبـح الـرجـل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم؛ فانتظروا الدجَّال من يومه أو غده»[7].

ومن الفتن الأخرى:

ــ فتنة المال والأهل والولد:

قال تعالى:

﴿واعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظيمٌ﴾[8].

قال ابن كثير:

«قـولـه تعـالى: ﴿واعْلَمُـوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: اختبار وامتحان منه لكم إذ أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها أو تشتغلون بهـا عنـه وتعتـاضـون بها منه، بينما ثوابه وعطاؤه وجناته خير لكم من الأموال

---

(1) بدء فسادها.

(2) مثل، ومعناه: يصطلح الناس على رجل لا نظام له ولا استقامة لأمره.

(3) السوداء المظلمة والتصغير للتعظيم.

(4) لا تترك.

(5) انتهت.

(6) زادت وعظمت.

(7) وهو «المشكاة» (رقم ٥٤٠٣)، و «صحيح الجامع» (رقم (٤٠٧٠).

(8) الأنفال: ٢٨.

والأولاد؛ فإنه قد يوجد منهم عدوٌ، وأكثرهم لا يغني عنك شيئاً، والله سبحانه هو المتصرِّف المالك للدنيا والآخرة، ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة»[1].

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَموالُكُمْ ولا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ومَنْ يَفْعَلْ ذٰلك فأُولٰئكَ هُمُ الخَاسِرونَ﴾[2].

قال ابن كثير:

«يقول تعالى آمراً لعباده المؤمنين بكثرة ذكره، وناهياً لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذٰلك، ومخبراً لهم بأنه مَن التهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خُلق له من طاعة ربه وذكره؛ فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة»[3].

وقال تعالى:

﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وأَوْلادِكُمْ عَدوّاً لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ وأَنْ تَعْفُوا وتَصْفَحُوا وتَغْفِروا فإِنَّ اللهَ غَفورٌ رَحيمٌ﴾[4].

قال ابن كثير:

«يقول تعالى مخبراً عن الأزواج والأولاد أن منهم عدوٌّ للزوج؛ بمعنى أنه يلتهي بهم عن العمل الصالح، ولهٰذا قال: ﴿فاحْذَرُوهُمْ﴾؛ أي: على دينكم.

قال مجاهد: يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه، فلا يستطيع

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢ / ٣٠١).

(٢) المنافقون: ٩.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤ / ٣٧٣).

(٤) التغابن: ١٤.

الرجل مع حبه إلا أن يطيعه»[1].

والآيات في ذٰلك كثيرة، فليراجعها من شاء.

ومن الأحاديث:.

روى الترمذي والحاكم عن كعب بن عياض؛ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«إن لكل أمَّةٍ فتنة، وإن فتنة أمتي المال»[2].

قال المناوي في «الفيض»:

«(إن لكل أمَّةٍ فتنة)؛ أي: امتحاناً واختباراً.

(وفتنة أمتي المال)؛ أي: الالتهاء به؛ لأنه يُشغل البال عن القيام بالطاعة، ويُنسي الآخرة، وفيه أن المال فتنة، وقد تمسك به من فضَّل الفقر على الغنى؛ قالوا: فلو لم يكن الغنى بالمال إلا أنه فتنة، فقلَّ من سلم من إصابتها له، وتأثيرها في دينه؛ لكفى»[3].

وروى أحمد والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ؛ قال:

«يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمِنَ الحلال أم من الحرام»[4].

وفي رواية: «ليأتينَّ على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمِنْ

---

(1) «تفسير ابن كثير» (٤ / ٣٧٦).

(2) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢١٤٤).

(3) «فيض القدير» (٢ / ٥٠٧).

(4) «فتح الباري» (٤ / حديث ٢٠٥٩).

حلال أم من حرام»[1].

قال الحافظ في «الفتح»:

«قـال ابن التين: أخبر النبيُّ ﷺ بهٰذا تحذيراً من فتنة المال، وهو من بعض دلائل نبوَّته؛ لإخباره بالأمور التي لم تكن في زمنه، ووجه الذمِّ من جهته التسوية بين الأمرين، وإلا؛ فأخذ المال من الحلال ليس مذموماً من حيث هو، والله أعلم»[2].

وروى مسلم والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ.

«تقيء[3] الأرض أفـلاذ كبـدها[4] أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هٰذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هٰذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هٰذا قُطعت يدي، ثم يدعونه[5] فلا يأخذون منه شيئاً»[6].

وإنما أوردت هٰذا الحديث هنا لما فيه من اعتراف طوائف من الناس بأن حبَّ المـال الـذي يؤدي لمخالفة أوامر الله وشرعه إنما هو بلاء واختبار لهٰذه الأمة، وقلَّ من ينجح في اجتياز هٰذا الاختبار.

وعندما يكتشفون الحقيقة التي قادهم لها حبهم للمال، وهي مخالفة أوامر

---

(1) «صحيح الجامع» (٥٢٢٠).

(2) «فتح الباري» (٤ / ٢٩٦ ـ ٢٩٧).

(3) وفي رواية: «تُلقي»، والمعنى واحد.

(4) أي: تخرج كنوزها وتطرحها على ظهرها، والفِلْذَة: القطعة من اللحم والكبد.

(5) يتركونه.

(6) وهو في «مختصر صحيح مسلم» (رقم ٥٢٧).

الله وشـرعـه، وما ستكون عاقبتهم عند ربهم؛ تسقط قيمته من أعينهم، فلا يأخذون منه شيئاً.

وقد أنعم الله علينا، فجعل لنا باب التوبة مفتوحاً، وبيَّن لنا رسول الله ﷺ أن الفتنة بالمال والأهل والولد لها مكفِّرات مما نستطيع القيام به.

فقد روى الشيخان والترمذي وابن ماجه عن حذيفة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«فتنـة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفِّرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[1].

قال الحافظ في «الفتح»:

«قـال الـزين بن المنيِّر: الفتنـة بالأهل تقع بالميل إليهنَّ أو عليهنَّ في القسمة والإيثار حتى في أولادهن ومن جهة التفريط في الحقوق الواجبة لهن، وبالمال يقع الاشتغال به عن العبادة أو بحبسه من إخراج حق الله فيه، والفتنة بالأولاد تقع بالميل الطبيعي إلى الولد وإيثاره على كل أحد، والفتنة بالجار تقع بالحسد والمفاخرة والمزاحمة في الحقوق وإهمال التعاهد. ثم قال: وأسباب الفتنة بمن ذُكر غير منحصرة فيما ذكرت من الأمثلة.

وأما تخصيص الصلاة وما ذكر معها بالتكفير دون سائر العبادات؛ ففيه إشارة إلى تعظيم قدْرها، لا نفي أن غيرها من الحسنات ليس فيها صلاحية التكفير»[2].

«وقال ابن أبي جمرة: خصَّ الرجل بالذكر لأنه في الغالب صاحب الحكم

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٤٠٧١).

(٢) «فتح الباري» (٦ / ٦٠٥).

في داره وأهله، وإلا؛ فالنساء شقائق[1] الرجال في الحكم. ثم أشار إلى أن التكفير لا يختص بالأربع المذكورات، بل نبَّه بها على ما عداها، والضابط أن كل ما يُشغل صاحبه عن الله؛ فهو فتنة له، وكذلك المكفرات لا تختص بما ذكر، بل نبَّه به على ما عداها، فذكر من عبادة الأفعال: الصلاة والصيام، ومن عبادة المال: الصدقة، ومن عبادة الأقوال: الأمر بالمعروف»[2].

ـ فتنة الإحداث في الدين كالارتداد وغيره:

روى أحمد والشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال:

«أنا فرطكم على الحوض، وليرفعنَّ[3] رجال منكم، ثم ليختلجنَّ[4] دوني فأقول: يا رب! أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا[5] بعدك»[6]

وفي رواية مسلم:

«أنا فرطكم[7] على الحوض، ولأنازعنَّ[8] أقواماً، ثم لأغلَبَنَّ عليهم، فأقول: يا رب! أصحابي! أصحابي! فيُقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[9].

---

(١) أمثال الرجال، وهو مأخوذ من الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة: «إنما النساء شقائق الرجال»، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٣٢٩).

(٢) «فتح الباري» (٦ / ٦٠٥ ـ ٦٠٧).

(٣) أي: ليظهرنَّ لي.

(٤) أي: يُجتذبون ويُقطعون مني.

(٥) من الردَّة عن الإسلام أو المعاصي.

(٦) وهو في «اللؤلؤ والمرجان» (رقم ١٤٨١).

(٧) سابقكم إلى الحوض كالمهيء له لأجلكم.

(٨) أجادل عنهم.

(٩) «صحيح الجامع» (١٤٨٤).

وروى أحمد والشيخان عن سهل بن سعد وأبي سعيد رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال:

«إني فرطكم على الحوض، من مرَّ بي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، وليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم».

هٰذه رواية سهل، وزاد أبو سعيد:

«فأقول: إنهم مني. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سُحقاً سُحقاً[1] لمَن بدَّل بعدي»[2].

وروى الشيخان عن أسماء بنت أبي بكر؛ قالت: قال النبي ﷺ:

«إني على الحوض، حتى أنظر من يردُ عليَّ منكم، وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب! منِّي ومن أمَّتي. فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا[3] يرجعون على أعقابهم»[4].

فكان ابن أبي مليكة راوي هٰذا الحديث عن أسماء يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن في ديننا[5].

هٰذه الأحاديث تبيِّن مآل المرتدين على أعقابهم بعد رسول الله ﷺ.

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال الخطابي: لم يرتدَّ أحد من الصحابة، وإنما ارتدَّ قوم من جفاة

---

(١) بعداً.

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٤٦٤).

(٣) ما زالوا.

(٤) أي: يمشون إلى الخلف بظهورهم، والمعنى: مرتدين.

(٥) «مختصر مسلم» (١٥٤٩)، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٤٦٣).

الأعراب ممَّن لا نصرة له في الدين، وذٰلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين»[1].

ويؤيد ما ذهب إليه الخطابي ما رواه الشيخان وأحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه؛ قال:

صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثماني سنين كالمودِّع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر، فقال: «إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هٰذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكنِّي أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها»[2].

قال الحافظ في «الفتح»:

«قوله: (ولست أخشى عليكم أن تشركوا)؛ أي: على مجموعكم؛ لأن ذٰلك وقع من البعض، أعاذنا الله من ذٰلك»[3].

ـ الفتن المشغلة عن العمل غير الفتن الكبرى:

روى أحمد والطبراني عن عابس الغفاري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«بادروا بالأعمال ستّاً: إمارة السفهاء، وكثرة الشرط، وبيع الحكم، واستخفافاً بالدم، وقطيعة الرحم، ونشواً يتَّخذون القرآن مزامير يقدِّمون أحدهم ليغنِّيهم، وإن كان أقلّهم فقهاً»[4].

---

(1) «فتح الباري» (11 / 385).

(2) «صحيح الجامع» (رقم 2452).

(3) «فتح الباري» (3 / 211).

(4) «صحيح الجامع» (2809).

حذر رسول الله ﷺ من أمور ستة هي من أشراط الساعة، وأمرنا بالمبادرة إلى الأعمال قبل أن نشغل بهٰذه الفتن:

ومن هٰذه الأمور: إمارة السفهاء؛ قال المناوي:

«أي: ولايتهم على الرقاب؛ لما يحدث منهم من العنف والطيش والخفة والسفيه هو ناقص العقل».

وجاء في حديث صحيح رواه أحمد والبخاري عن أبي هريرة أن هلاك الأمة على يد غلمة من قريش؛ قال ﷺ:

«هلاك أمتي على يد غِلْمة من قريش»[1].

قال المناوي:

«والمراد الموجودين إذ ذاك أو من قاربهم لا كل الأمة إلى يوم القيامة»[2].

وكذٰلك: كثرة الشرط؛ قال المناوي:

«هم أعوان الولاة، والمراد كثرتهم بأبواب الأمراء والولاة، وبكثرتهم يكثر الظلم»[3].

روى أحمد والحاكم والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله»[4].

---

(١) «صحيح الجامع» (٦٩١٥).

(٢) «فيض القدير» (٦ / ٣٥٤).

(٣) «فيض القدير» (٣ / ١٩٤).

(٤) «صحيح الجامع» (٣٥٦٠).

قال المناوي:

«هم نخبة أصحاب السلطان الذين يقدِّمهم على سائر الجند، سمُّوا بذلك لأن لهم علامة يعرفون بها، وهم يغدون بكرة النهار، ويروحون آخره، وهم في غضب الله وسخطه»(1).

وروى أحمد والحاكم ومسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذناب البقر، يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله»(2).

وروى أحمد ومسلم عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»(3).

قال المناوي رحمه الله:

«(لم أرهما): لم يوجدا في عصري؛ لطهارة ذلك العصر، بل حدثا بعد ذلك العصر، (يضربون بها الناس): ممن اتُّهم بنحو سرقة ليصدق في إخباره بما سرق ويتضمن، ذلك أن ذينك الصنفين سيوجدان، وكذلك كان؛ فإنه خلف بعد الصدر الأول قوم يلازمون السياط التي لا يجوز الضرب بها في الحدود؛ قصداً لتعذيب الناس، وهم أعوان للولاة، فإذا أُمِروا بالضرب؛ تعدَّوا المشروع

---

(1) «فيض القدير» (٤ / ١٢٨).

(2) «صحيح الجامع» (٨٠٣٦).

(3) «صحيح الجامع» (٣٦٩٣).

في الصفة والمقدار، وربما أفضى بهم الهوى وما جُبِلوا عليه من المظالم إلى إهلاك المضروب أو تعظيم عذابه، وقد ضاهى أعوان الوالي جماعة من الناس، سيما في شأن الأرقاء، وربما فعل ذلك في عصرنا بعض من ينسب إلى العلم»[1].

وكذلك بيع الحكم، وهو القضاء، وذلك بأخذ الرشوة عليه.

واستخفافاً بالدم؛ قال المناوي:

«أي: بحقِّه بأن لا يقتص من قاتله، (وقطيعة الرحم)؛ أي: القرابة؛ بإيذائه أو عدم إحسان أو هجر وإبعاد»[2].

وقد حذرنا رسول الله ﷺ تحذيراً شديداً من قطع الأرحام.

فقد روى مسلم عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال:

«الرحم معلَّقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله»[3].

قال المناوي:

«قال القرطبي: الرحم التي توصل عامَّة وخاصة، فالعامة رحم الدين، ويجب مواصلتها بالود والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحق الواجب والمندوب، والخاصة تكون بالنفقة على القريب وتفقد حاله والتغافل عن زلَّته ويقدم الأقرب فالأقرب.

---

(١) «فيض القدير» (٤ / ٢٠٨ - ٢٠٩).

(٢) «فيض القدير» (٣ / ٨٤).

(٣) «صحيح الجامع» (٣٥٤٣).

وقـال ابن أبي جمـرة: صلة الرحم بالمال وبالعون على الحوائج ورفع الضرر وطلاقة الوجه والدعاء، والمعنى الجامع لذٰلك إيصاله ما أمكن من خير ودفع ما أمكن من شر بقدر الطاقة.

وهٰذا كله إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفاراً أو فجاراً؛ فمقـاطعتهم في الله صلتهم؛ بشـرط بذل الجهـد في وعظهم وإعلامهم بأن إصرارهم سبب مقاطعتهم، وحينئذ تكون صلتهم الدعاء لهم بظهر الغيب بالاستقامة»[1].

وأخيراً نشوأ يتَّخذون القرآن مزامير؛ قال المناوي:

«يتَغَنَّون به، ويتمشدقون، ويأتون به بنغمات مطربة، وقد كثر ذٰلك في هٰذا الزمان، وانتهى الأمر إلى التباهي بإخراج ألفاظ القرآن عن وضعها، ويقدّم الناس الذين هم أهل ذٰلك الزمان، أحدهم ليغنِّيهم بالقرآن، بحيث يخرجون الحـروف عن أوضـاعهـا، ويزيدون وينقصـون لأجـل موافـاة الألحـان وتـوفر النغمات، وإن كان هٰذا المقدَّم للصلاة أقلهم فقهاً، إذ ليس غرضهم إلا الالتذاذ والإسماع بتلك الألحان والأوضاع.

قال العارف ابن عطاء الله: أمره بالمبادرة بالعمل في هٰذه الأخبار يقتضي أنها من الهمم إلى معاملة الله والحثّ على المبادرة إلى طاعته ومسابقة العوارض والقواطع قبل ورودها»[2].

فانـظر أخي رحمني الله وإياك قبـل أن تتـولَّى أي عمل ـ وخاصة تلك الأعمال التي فيها إعانة للوالي على ظلمه ـ: إن كنت تستطيع أن تؤدي العمل

---

(١) «فيض القدير» (٤ / ٥٣).

(٢) «فيض القدير» (٣ / ١٩٤ ـ ١٩٥).

كما يحب الله ويرضى؛ فاعمل، وإلا فابتعد؛ فإن رسول الله ﷺ قد حذَّر بأنه سيكون في هٰذه الأمة أمراء يقرِّبون شرار الناس، فمَن كان يريد النجاة يوم يلقى الله؛ فلا يلي من أعمالهم شيئاً.

روى ابن حبـان في «صحيحه» عن أبي سعيد وأبي هريرة؛ قالا: قال رسول الله ﷺ:

«ليأتينَّ عليكم أمـراء[1]: يقـرِّبـون شرار الناس، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمَن أدرك ذٰلك منكم؛ فلا يكونن عريفاً[2] ولا شرطيّاً[3] ولا جابياً[4] ولا خازناً[5]»[6].

ـ فتن قلْب الحقائق وشدة الزمان:

روى أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«سيأتي على الناس سنواتٌ[7] خدَّاعات، يصدَّق فيها الكاذب، ويكذَّب

---

(١) حكاماً ورؤساء أعمال.

(٢) هو من يلي أمر الناس بسياستهم وحفظ شأنهم وتعرُّف أمورهم ليعرفها من فوقه وقت الحاجة.

(٣) رجل الحفظ وحارس الأمن.

(٤) جامع الخراج والعامل على تحصيل الأموال.

(٥) حافظه في مخزنه وخزائنه وأمين صندوقه.

ومعنى الحديث أن تتنبه فلا تلي عملاً فتحيد فيه عن الجادة، فتُسأل يوم القيامة عن كل صغيرة وكبيرة، وفيه الحث على العدل والأمانة والصدق وخوف الله دائماً والتنحِّي عن رياسة العمل وأداء الصلاة في وقتها. «الترغيب والترهيب» (١ / ٥٧) تحقيق مصطفى محمد عمارة.

(٦) «السلسلة الصحيحة» (٣٦٠)، «صحيح الترغيب» (٧٨٥).

(٧) قال في «النهـاية»: «سنـون خداعـة؛ أي: تكثـر فيها الأمطار، ويقلُّ الرَّيْع؛ فذٰلك خداعها؛ لأنها تطمعهم في الخصب بالمطر، ثم تخلف.

فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرُّويبضة. قيل: وما الرويبضة[1]؟ قال: الرجل التافه يتكلَّم في أمر العامَّة»[2].

وروى الطبراني في «الأوسط» والبزار عن أنس وكذٰلك أحمد والبزار عن ابن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال:

«من أشراط الساعة: الفحش، والتفحُّش، وقطيعة الرحم، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن»[3].

وروى مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«والذي نفسي بيده؛ لا تذهب الدنيا حتى يمرَّ الرجل على القبر، فيتمرَّغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هٰذا القبر، وليس به الدِّين[4]؛ إلا البلاء»[5].

وروى البخاري في «التاريخ» والحاكم والطبراني عن رويفع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«تذهبون الخيِّر فالخيِّر، حتى لا يبقى منكم إلا مثل هٰذا (وأشار إلى نواة)، وما لا خير فيه»[6]

قال المناوي رحمه الله:

---

(١) هو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور وقعد عن طلبها

(٢) «صحيح الجامع» (٣٥٤٤).

(٣) «صحيح الجامع» (٥٧٧٠).

(٤) أي: ليس الداعي له إلى هٰذا الفعل الدين، وإنما البلاء

(٥) «صحيح الجامع» (٦٩٥٩).

(٦) «صحيح الجامع» (٢٩٣٢).

«(تذهبون الأفضل فالأفضل، حتى لا يبقى منكم إلا مثل هٰذه وأشار إلى حشف التمر)؛ أي: لا يبقى إلا نخالة الناس وأشرارهم وأراذلهم، ولا يزال الأمر في قهقرى حتى لا يُقال في الأرض: الله»[1].

وروى أحمد والبخاري وابن ماجه عن أنس؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يأتي عليكم عام ولا يوم إلا والذي بعده شرٌّ منه، حتى تلقوا ربكم»[2].

ولفظه عند البخاري: «عن الزبير بن عدي؛ قال: أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما يلقوْن من الحجاج، فقال: اصبروا؛ فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشرّ منه، حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ»[3].

وفي هٰذا الحديث أمور لا بدَّ من معرفتها:

١) هٰذا الخبر من أعلام النبوة؛ لإخباره ﷺ بفساد الأحوال، وذٰلك من الغيب الذي لا يُعلم بالرأي، وإنما يعلم بالوحي. قاله ابن بطال كما أفاد الحافظ في «الفتح»[4].

٢) المراد بالتفضيل تفضيل مجموع العصر على مجموع العصر، فمثلاً كان في عصر الحجاج كثير من الصحابة الأحياء، وفي عصر عمر بن عبدالعزيز انقرضوا، والزمان الذي فيه الصحابة خير من الزمان الذي بعده؛ لقوله ﷺ:

«خير القرون[5] قرني»، وهو في الصحيحين. قاله الحافظ في «الفتح»

---

(١) «فيض القدير» (٣ / ٢٣٩).

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٤٧٥٢).

(٣) «فتح الباري» (١٣ / رقم ٧٠٦٨).

(٤) «فتح الباري» (١٣ / ٢١).

(٥) ليس في «الصحيحين» ولا في غيرها لفظ القرون فيما وقفت عليه من روايات الحديث، =

عن بعضهم[1].

٣) هٰذا الحديث ليس على عمومه؛ للأحاديث الواردة في المهدي، وأنه يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً، وبه استدل ابن حبان في «صحيحه» كما قال الحافظ في «الفتح»[1].

ووافقه شيخنا، فقال في «السلسلة الصحيحة»:

«هٰذا الحديث ينبغي أن يُفهم على ضوء أحاديث المهدي ونزول عيسى عليه السلام؛ فإنها تدلُّ على أن هٰذا الحديث ليس على عمومه، بل هو من العامِّ المخصوص، فلا يجوز إفهام الناس أنه على عمومه، فيقعوا في اليأس الذي لا يصحُّ أن يتَّصف به المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الكَافِرونَ﴾[2]، أسأل الله أن يجعلنا مؤمنين به حقّاً»[3].

وروى الترمذي عن أنس؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»[4].

قال المناوي رحمه الله:

«شبه رسول الله ﷺ المعقول بالمحسوس؛ أي: أن الصابر على أحكام الكتاب والسنة يقاسي بما يناله من الشدة والمشقة من أهل البدع والضلال مثل

= ولكن لفظ «الصحيحين»: «خير الناس»، ولفظ آخر: «خيركم قرني»، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٣٢٩٠).

(١) «فتح الباري» (١٣ / ٢١).

(٢) يوسف: ٨٧.

(٣) «السلسلة الصحيحة» (١ / ١٠).

(٤) «صحيح الجامع» (٧٨٧٩).

ما يقاسيه من يأخذ النار بيده ويقبض عليها، بل ربَّما كان أشد، وهٰذا من معجزاته؛ فإنه إخبار عن غيب، وقد وقع»[1].

روى الدارمي والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه قال:

«كيف بكم إذا لبستكم فتنة[2]: يربو[3] فيها الصغير، ويهرم[4] فيها الكبير، وتُتَّخذُ سنّة[5]، فإن غُيِّرت يوماً؛ قيل: هٰذا منكر[6]». قيل: ومتى ذٰلك؟ قال: «إذا قلَّت أمناؤكم وكثرت أمراؤكم، وقلَّت فقهاؤكم وكثرت قرَّاؤكم، وتُفُقِّهَ لغير الدين[7]، والتمست الدنيا بعمل الآخرة[8]»[9].

---

(١) «فيض القدير» (٦ / ٤٥٦).

(٢) أمور تخالف شرع الله ودينه.

(٣) ينمو.

(٤) تكبر سنه.

(٥) طريقة ينهج عليها الجمهور ويتَّبعها المسلمون، وهي تخالف الشرع.

(٦) إن وضح الحق وقيَّض الله لها مَن يُزيلها؛ أجاب الناس: إن هٰذا منكر! مع أنهم في ضلال وباطل، والعدل تغييرها؛ ليرضى الله ورسوله.

ثم أرشد رسول الله ﷺ إلى زمن وجود هٰذه الفتن والمحن: إذا قلَّ أمناء العلم العاملون، وعمَّت الخيانة والجهالة، وقلَّ الفقهاء الذين يفهمون أسرار دين الله، وينطقون بالحق، ولا يخشون غير الله، ويزيلون المنكر، ويغضبون للحق، وكثُر حاملو القرآن غير العاملين بأوامره، الذين لا ينتفعون به ويقرؤونه في مواطن الشبهات وأماكن الفسق ومجالس اللهو واللعب.

(٧) أصبح تعليم الفقه لغير الدين ولغير العمل به، بل يُتَّخذ سخريَّة وجدالاً، ويُطلبُ للوظائف، ويكون المتَّصفون بالعلم أسبق الناس إلى هدم مبادئه، وأسرع الناس إلى المعاصي، وهناك تزول الثقة بين العالم ومَن يُريد أن يتعلَّم، وتتَّصف القيادة بالضعف والخمول والشك.

(٨) يتزيَّى طالبو الدنيا بالصلاح والتقوى، ويُنادون بالإرشاد إلى العمل الصالح؛ رجاء كسب المال من وجوه الخداع والمكر والغش. «الترغيب والترهيب» (١ / ١١٧ - ١١٨).

(٩) «صحيح الترغيب والترهيب» لشيخنا الألباني (رقم ١٠٦)، وهو موقوف على ابن مسعود، وأظنه في حكم المرفوع؛ فهو لا يُقال من قبيل الرأي، والله أعلم.

قال المعلِّق على «الترغيب والترهيب» مصطفى محمد عمارة رحمه الله:

«يريد النبي ﷺ أن يرهِّب العلماء حتى تتجه سفينة التعليم لوجه الله، فلا جدال يضيع حقّاً، ولا شره، ولا جشع في الكدِّ في الدنيا فالمال زائل، ولا رياء في تعليمه، رجاء حُسْن الثواب، ولأجل أن يسلم العالم من العذاب يتَّقي الله في إرشاده، ويعمل بقوله، وينصح الأمراء والحكام، ويدعوهم إلى العمل الصالح، ولا يميل إلى هداياهم، ولا يتقرَّب إليهم إلا بمقدار العظة والاعتبار.

فالعـالم لا يقف على أبـواب السـلاطين، بل الملوك تلجأ إلى أبواب العلماء، ويرشد النبي ﷺ المسلمين إلى اتباع الكتاب والسنة؛ خشية أن يسود الجهل، وتعمَّ الفوضى، فيأتي زمان يعد الناس القبيح حسناً، والباطل حقّاً، ولا يجد أهل الحق نصيراً، والله أعلم»(1).

ـ الفتن التي لم يبق بانتهائها أحد من الصحابة:

روى البخاري عن سعيد بن المسيب؛ قال:

«**وقعت الفتنة الأولى** ـ يعني: مقتل عثمان ـ، **فلم تُبْقِ من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية** ـ يعني: الحرة ـ، **فلم تبق من أصحاب الحديبية أحداً، ثم وقعت الثالثة، فلم ترتفع وللناس طباخ**»(2).

قال الحافظ في «الفتح»:

«قـولـه: «وقعت الفتنـة الأولى ـ يعني: مقتـل عثمـان ـ، فلم تبق من أصحاب بدر أحداً»؛ أي: أنهم ماتوا منذ قامت الفتنة بمقتل عثمان إلى أن قامت الفتنـة الأخـرى بوقعـة الحرَّة، وكان آخر من مات من البدريِّين سعد بن أبي

---

(1) «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري (ص ١١٨).

(2) «فتح الباري» (٧ / رقم ٤٠٢٤).

وقاص، ومات قبل وقعة الحرَّة ببضع سنين.

أما فتنة الحرَّة[1] ـ وهي الفتنة الثانية ـ؛ فكانت في آخر زمن يزيد بن معاوية».

والثالثة؛ قال الحافظ في «الفتح»:

«ذكر ابن التين أن مالكاً روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري؛ قال: فلم تُترك الصلاة في مسجد النبيِّ ﷺ إلا يوم قتلِ عثمان ويوم الحرَّة ونسيت الثالثة. قال ابن عبدالحكم: هو يوم خروج أبي حمزة الخارجي. قلت: كان ذٰلك في خلافة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم سنة ثلاثين ومئة»[2].

---

(١) هي أرض بظاهر المدينة، بها حجار سودٌ كثيرة، كانت فيها الوقعة المشهورة أيام يزيد بن معاوية، وقد أشار إليها رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أبي ذر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنت يا أبا ذر وموتاً يصيب الناس حتى يقوم البيت بالوصيف (يعني: القبر)؟!». قلت: ما خار الله لي ورسوله (أو قال: الله ورسوله أعلم). قال: «تصبَّرْ». قال: «كيف أنت وجوعاً يصيب الناس حتى تأتيَ مسجدك فلا تستطيع أن ترجع إلى فراشك ولا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك؟». قال: قلت: الله أعلم (أو: ما خار الله لي ورسوله). قال: «عليك بالعفَّة». ثم قال: «كيف أنت وقتلاً يصيب الناس حتى تُغْرَقَ حجازة الزيت بالدم؟!». قلت: ما خار الله لي ورسوله. قال: «الحق بمَن أنت منه». قال: قلت: يا رسول الله! أفلا آخذ بسيفي فأضرب به مَن فعل ذٰلك؟ قال: «شاركت القوم إذاً، ولٰكن ادخل بيتك». قلت: يا رسول الله! فإن دُخِلَ بيتي؟ قال: «إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف؛ فألق طرف ردائك على وجهك، فيبوء بإثمه وإثمك، فيكون من أصحاب النار».

«صحيح سنن ابن ماجه» (٣١٩٧)، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٦٩٦).

تنبيه: مَن شاء المزيد عن وقعة الحرَّة؛ فعليه بـ «تاريخ الأمم والملوك» لابن جرير الطبري، (٦ / ٤١٥ ـ فما بعد).

(٢) «فتح الباري» (٧ / ٣٢٥).

ن ـ قِفْلُ الفتنة (الباب بين الناس والفتنة):

إنـه باب من البشر، كانت حياته ووجوده بين المسلمين مانعاً للفتنة أن تهيج بينهم، كان الشيطان يفرَقُ[1] منه، كان محدَّثاً[2]، كان عادلاً، حتى امتدت إليه يد الغـدر والخيانة يد ذٰلك المجوسي الرافضي القذر فيروز أبو لؤلؤة لعنه الله، فقال قولته المشهورة: «الحمد لله الذي لم يجعل[3] ميتتي بيد رجل يدَّعي الإسلام»، أتدري من هو؟ إنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

روى الشيخان عن حذيفة رضي الله عنه؛ قال:

كنا جلوساً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: أيكم يحفظ قول رسـول الله ﷺ في الفتنـة؟ قلت: أنا كما قاله. قال: إنك عليه ـ أو عليها ـ لجريء. قلت: «فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفِّرها الصلاة والصوم

---

(١) لما رواه أحمد والترمذي وابن حبان عن بريدة: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان ليفرق منك يا عمر».

وهـو في «صحيح الجـامـع» (رقم ١٦٥٠)، وفي «السلسلة الصحيحـة» (رقم ١٦٠٩)، وللحديث مناسبة؛ فلتراجع.

(٢) لما رواه أحمد والبخاري عن أبي هريرة، وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم أناس محدَّثون، فإن يكُ في أمَّتي أحدٌ منهم؛ فهو عمر بن الخطاب».

وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٤٢٥٣).

(٣) «فتح الباري» (باب قصة البيعة، ٧ / رقم ٣٧٠٠).

كل هٰذه الفضـائل وغيرها مما رُوي بالأسانيد الصحيحة رمى به الرافضة وراء ظهورهم، وكفَّروا أصحاب محمد ﷺ، فلعنة الله على الكاذبين.

تنبيه: سيأتي مزيد من أنواع الفتن التي تتعلَّق بالقتال بين المسلمين في باب القتال والملاحم.

والصدقة والأمر والنهي» . قال: ليس هٰذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر. قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين! إن بينك وبينها باباً مغلقاً. قال: أيُكْسَرُ أم يُفْتَح؟ قال: يُكْسَر. قال: إذاً؛ لا يغلق أبداً. قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما أن دون الغد الليلة، إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط[1]. فهبنا أن نسأل حذيفة، فأمَرْنا مسروقاً فسأله؟ فقال: الباب عمر[2].

قال الحافظ في «الفتح»:

«قوله: (إن بينك وبينها باباً مغلقاً)؛ أي: لا يخرج شيء من الفتن في حياتك.

قال ابن المنيِّر: آثر حذيفة الحرص على حفظ السر، ولم يصرح لعمر بما سأل عنه، وإنما كنَّى كناية».

قال الحافظ:

«كأنه مثل الفتن بدار، ومثَّل حياة عمر باب لها مغلق، ومثَّل موته بفتح ذٰلك الباب، فما دامت حياة عمر موجودة؛ فهي الباب المغلق، لا يخرج مما هو داخل تلك الدار شيء، فإذا مات؛ فقد انفتح ذٰلك الباب، فخرج ما في تلك الدار»[3].

ق ـ أصل الفتن:

بعد هٰذا الذي رأيناه من أنواع الفتن يحقُّ لنا أن نتساءل: ما الذي يؤدي

---

(١) جمع أغلوطة، وهو ما يُغالط به؛ أي: حدثته حديثاً صدقاً محقَّقاً من حديث النبي ﷺ لا عن اجتهاد ولا رأي».

(٢) «اللؤلؤ والمرجان» جمع محمد فؤاد عبدالباقي (رقم ٨٨).

(٣) «فتح الباري» (٦ / ٦٠٦).

للفتن بين المسلمين؟ أليس الرب واحد؟ أليس الدين واحد؟ فلم كل هٰذا؟

لقد مرَّ معنا أن الجهل بدين الله وعدم العلم يؤدي للفتن، وكذٰلك التنافس في الدنيا لأجل المال والجاه والسلطان، كما أن اتباع الهوى وعدم تحكيم شرع الله في حياة المسلمين يؤدي للفتن، ولكن يبقى التساؤل قائماً: ما أصل الفتن؟ كيف بدأت أول فتنة؟ وما سببها؟ وما النتائج التي ترتبت على حدوثها؟

ولقد أراحنا رسول الله ﷺ، فأجاب على ذٰلك من خلال حادثة وقعت في حياته ﷺ.

روى الإمام أحمد وابن أبي عاصم في كتاب «السنة» عن أبي بكرة رضي الله عنه:

أن النبي ﷺ مرَّ برجل ساجد وهو منطلق إلى الصلاة، فلما قضى الصلاة؛ رجع إليه وهو ساجد. قال: ثم قال النبي ﷺ: «من يقتل هٰذا؟». فقام رجلٌ، فحسر عن ذراعيه، واخترط سيفه، وهزَّه، ثم قال: يا نبي الله! بأبي أنت وأمي؛ كيف أقتل رجلاً ساجداً وهو يشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنك محمد عبده ورسوله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفسي بيده؛ لو قتلتموهُ؛ لكان أول فتنة وآخرها»[1].

هٰذا هو جواب رسول الله ﷺ عن أصل الفتن وأسبابها وبدايتها وما ترتَّب على حدوثها.

كان التردُّد من بعض الصحابة في تنفيذ أمر صدر من رسول الله ﷺ ـ مع أن تردُّدهم كان له ما يسوِّغه ـ هو السبب والأصل لكل فتنة حدثت وستحدث في

(١) «السنة» لابن أبي عاصم بتحقيق شيخنا (رقم ٩٣٨).

هٰذه الأمة إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

ولِعِظَمِ الأمر؛ فسأقف مع حديث رسول الله ﷺ هٰذا قليلاً، أنصح نفسي والمسلمين معي؛ ليكون هٰذا الحديث عبرةً لنا وطريقاً للنَّجاة يوم نلقى الله حيث لا ينفع مال ولا ينفع بنون إلا أن تلقى الله بقلب سليم.

الناظر أيها الإخوة في هٰذا الحديث يجد أنه يحتوي أموراً لا بدَّ أن يعرفها كل مسلم ويطبقها لتقوده إلى النجاة:

ـ عدم الابتداع في الدين مهما بدا أنه خير؛ لأن هٰذا الابتداع يؤدي إلى شرٍّ لا يقاس معه الخير الذي يتصوره صاحب البدعة خيراً.

لنأخذ مثالاً لذٰلك الرجل الساجد الذي مرَّ به رسول الله ﷺ ليكون عظة لنا:

١) أطال السجود، وهو عمل ظاهره الخير، فماذا نجم عن هٰذا الخير المزعوم؟ ترك واجباً من أعظم الواجبات ـ وهو الصلاة مع رسول الله جماعة ـ لأجل أمر مستحبٍّ ـ وهو إطالة السجود ـ.

٢) بإطالته السجود في هٰذا الموطن وهٰذا الوقت ـ وهو وقت الفريضة ـ جعله يظن أنه سبق إلى خير قصَّر عنه رسول الله ﷺ، وهٰذا أعظم فتنة يمكن أن يتعرَّض لها المسلم.

وما أحسن ما قال الإمام مالك رحمه الله لرجل أراد أن يُحرِم قبل ذي الحُليفة: «لا تفعل؛ فإني أخشى عليك الفتنة». فقال: وأيُّ فتنة في هٰذه؛ إنما هي أميالٌ أزيدها. قال: «وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصَّر عنها رسول الله ﷺ؟ إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفونَ عَنْ

أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]»[2].

٣) شهد على نفسه بالنفاق بتركه صلاة الجماعة:

روى مسلم وغيره عن عبدالله بن مسعود؛ قال:

«من سرَّه أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هٰؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهنَّ؛ فإن الله شرع لنبيِّكم ﷺ سنن الهدى، وإنهنَّ من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلِّي هٰذا المتخلِّف في بيته؛ لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم؛ لضللتُم، وما من رجلٍ يتطهَّر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هٰذه المساجد؛ إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحطُّ عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلَّف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف»[3].

وفي رواية عند مسلم عن عبدالله؛ قال:

«لقد رأيتنا وما يتخلَّف عنها إلا منافق قد عُلم نفاقه أو مريض، إن كان المريض ليمشي بين رجلين حتى يأتي الصلاة». وقال: «إن رسول الله ﷺ علَّمنا سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه»[3].

٤) هو أول الفتن بعد توطيد أركان الإسلام:

أي خير كان في سجود هٰذا الرجل وإطالته؟ أيقارن هٰذا الخير بكل هٰذا الشر الذي نجم عن فعله هٰذا؟ أما يكفيه عاراً أنه كان سبب وأصل كل فتنةٍ من

---

(١) النور: ٦٣.

(٢) «إرواء الغليل» (٤ / ١٨١).

(٣) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٥ / ١٥٦).

عهـد رسول الله ﷺ حتى قيام الساعة؟ أما يكفيه ذلاً أن يأمر رسول الله ﷺ بقتله؟ ولماذا كل هٰذا؟ ليقوم بأمر مستحبٍّ تاركاً واجباً من الواجبات العظيمة لأجله.

ـ لا يجوز التكذيب بحديث رسول الله ﷺ لعدم السماع به.

روى أبو داود وابن ماجه والحاكم ـ واللفظ لابن ماجه ـ عن حيوة بن شُريح أن أبا سعيد الحميري حدَّثه؛ قال:

كان معاذ بن جبل يتحدَّث بما لم يسمع أصحاب رسول الله ﷺ ويسكت عما سمعوا، فبلغ عبدالله بن عمرو ما يتحدَّث به، فقال: والله ما سمعت رسول الله ﷺ يقـول هٰذا، وأوشـك معاذ أن يفتنكم في الخلاء، فبلغ ذٰلك معاذاً، فلقيه، فقال معاذ: يا عبدالله بن عمرو! إن التكذيب بحديث عن رسول الله ﷺ نفـاقٌ، وإنمـا إثمـه على مَن قاله؛ لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتَّقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، والظلِّ، وقارعة الطريق»[1].

فالتكذيب بحديث رسول الله ﷺ بحجة أن المكذِّب لم يسمع به نفاق، فما حال من يُكذب بحديث رسول الله ﷺ لأنه لا يوافق عقله وفهمه السقيم؟! وما حال من يكذِّب بحديث رسول الله ﷺ بزعم أنه يخالف ظاهر القرآن تبعاً لفهمه السقيم؟! وما حال من يردُّ سنَّة رسول الله ﷺ مطلقاً ويكتفي بالقرآن، ونسي أن التمسُّـك بالقـرآن دون السنـة ضلال، والتمسُّك بالسنة دون القرآن ضلال، وأن الحقَّ كلَّ الحقِّ في التمسُّك بهما معاً؟!

وإني لأتمثَّل في مثل هٰذه المواقف قول ابن أبي مليكة رحمه الله: «اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو نفتن في ديننا»[2].

---

(١) «صحيح ابن ماجه» (١ / ٢٦٢). (٢) «مختصر مسلم» (١٥٤٩).

ـ لا يجوز مخالفة أمر رسول الله ﷺ مهما بدا سبب المخالفة واضحاً وجليّاً ومعقولاً، ولتوضيح ذٰلك أقول:

أمر رسول الله ﷺ بقتل الرجل، فامتثل الصحابة رضوان الله عليهم للأمر ابتداءً، ثم بدا لهم عدم تنفيذ الأمر لأمور بدت لهم واضحة جليَّة، ولكنها أمور عقليَّة:

١) الرجل ساجد، ولا يجوز قتله بحال.

٢) يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وهٰذا فهم دقيق منهم، يجب أن يحذوه كل مسلم، ولكنَّه في هٰذا الموقف فهم مردود بأمر رسول الله ﷺ الذي لا يجوز مخالفته! لماذا؟

١) الرسول ﷺ معصوم، ولا ينطق عن هوى، أما فهم أصحابه رضوان الله تعالى عليهم؛ فهو غير معصوم.

٢) الرسول ﷺ يوحى إليه، فعلم من حال الرجل ما لم يعلموا، فأمرهم بقتله، وهم أخذوا بظاهر حاله، فتردَّدوا في قتله.

٣) ارتكب هٰذا الساجد أمراً يستحق عليه القتل، وهو مفارقة الجماعة، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يرون ذٰلك تفريقاً لجماعة المسلمين.

ـ النجاة من النار تكون بتحقيق نوعين من التوحيد: توحيد الله عز وجل، وتوحيد متابعة الرسول.

قال ابن أبي العزِّ الحنفي شارح «العقيدة الطحاوية» رحمه الله:

«فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقِّي خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نحمِّله شبهة

أو شكّاً، أو نقدِّم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فنوحِّده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعـان كما نوحِّد المُرْسِل[1] بالعبادة والخضوع والإنابة والتوكُّل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المُرْسِل، وتوحيد متابعة الرسول»[2].

ـ وجوب المبادرة إلى العمل بالحديث الصحيح غير المنسوخ صريح الدلالة دون الانتظار لمعرفة موقف أهل العلم منه:

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

«يُقبل الخبر في الوقت الذي يثبت فيه، وإن لم يمض عمل من الأئمة بمثل الخبر الذي قبلوا»[3].

وقال أيضاً:

«إن حديث رسول الله ﷺ يثبت بنفسه لا بعمل غيره بعده»[4].

قال شيخنا حفظه الله تعليقاً على قول الإمام الشافعي رحمه الله:

«قلت: فحديث رسول الله ﷺ أجلُّ من أن يُستشهد عليه بعمل الفقهاء به؛ فإنه أصل مستقلٌّ حاكم غير محكوم»[5].

---

(١) هو الله تبارك وتعالى.

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» بتحقيق شيخنا (ص ٢١٧).

تنبيه: لقبول عمل العبد لا بدَّ من توفُّر شرطين اثنين:

١ ـ الإخلاص؛ أي: أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى.

٢ ـ الاتباع؛ أي: أن يكون صواباً على طريق رسول الله ﷺ.

(٣) «الرسالة» للإمام الشافعي (ص ٤٢٣).

(٤) «الرسالة» (ص ٤٢٤).

(٥) «مناسك الحج والعمرة» لشيخنا الألباني.

صور من تعظيم الصحابة لحديث رسول الله ﷺ

وأختم حديثي عن أصل الفتن بذكر صور من تعظيم أصحاب رسول الله ﷺ لحديثه، وكيف كانوا ينكرون أشد الإنكار على من يعارض حديث رسول الله ﷺ برأيه، أو يسمع حديث رسول الله ﷺ ولا يسارع إلى الامتثال والتطبيق.

ـ روى أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه عن عبدالله بن مغفل:

أنه كان جالساً إلى جنبه ابن أخ له، فخذف[1]، فنهاه، وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عنها، وقال: «إنها لا تصيد صيداً، ولا تَنْكي[2] عدوّاً، وإنها تكسر السن وتفقأ العين». قال: فعاد ابن أخيه يخذف. فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنها ثم عدت تخذف؟! لا أكلمك أبداً[3].

ـ وروى ابن ماجه عن إسحاق بن قبيصة عن أبيه:

أن عبادة بن الصامت الأنصاري النقيب[4] صاحب رسول الله غزا مع معاوية أرض الروم، فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كسر[5] الذهب بالدنانير وكسر الفضة بالدراهم، فقال: يا أيها الناس! إنكم تأكلون الرِّبا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تبتاعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، لا زيادة بينهما ولا نظرة[6]». فقال له معاوية: يا أبا الوليد! لا أرى الرِّبا في هٰذا إلا ما كان من نَظِرة. فقال عُبادة: أحدِّثك عن رسول الله ﷺ وتحدِّثني عن رأيك؛ لئن أخرجني الله

---

(١) هو من الحصاة والنواة يأخذها بين السبابتين ويرمي بها.

(٢) تكثر فيهم الجراح والقتل.

(٣) «صحيح ابن ماجه» (رقم ١٧).

(٤) نقيب الأنصار ليلة العقبة.

(٥) قطع الذهب.

(٦) انتظار إلى أجل.

لا أساكنْك بأرض لك عليَّ فيها إمرة[1]. فلمّا قفل؛ لحق بالمدينة، فقال له عمر بن الخطاب: ما أقدمك يا أبا الوليد؟ فقصَّ عليه القصة، وما قال من مساكنته. فقال: ارجع يا أبا الوليد إلى أرضك، فقبَّح الله أرضاً لست فيها وأمثالك، وكتب إلى معاوية: لا إمرة لك عليه، واحمِل الناس على ما قال؛ فإنه هو الأمر[2].

ـ وروى أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة (واللفظ لابن ماجه): أن النبي ﷺ قال:

«توضَّؤوا ممَّا غيَّرت النار». فقال ابن عباس: أتوضأ من الحميم[3]؟ فقال له: يا ابن أخي! إذا سمعت عن رسول الله ﷺ حديثاً؛ فلا تضرب له الأمثال[4].

* * * * *

---

(١) حكومة وسلطان.

(٢) «صحيح سنن ابن ماجه» (رقم ١٨).

(٣) الماء الحار.

(٤) «صحيح سنن ابن ماجه» (رقم ٣٩٣).

المبحث الثالث

القتال والملاحم

القتال بين المسلمين

وهو من الفتن التي سبق الحديث عنها، ولن أتعرَّض للحديث عن سير القتال، وإنما يهمُّني أن أعرض صورة صحيحة تبيِّن خوف الصحابة الجلل مما يجري بينهم من سفك للدِّماء، وحرصهم بكافة الطرق على وقف هٰذا النزيف الذي وقع في صدر الإسلام.

وقبل أن أبدأ بعرض هٰذه الصورة؛ فلا بدَّ من تقديم نصيحة لي ولإخواني من أهل السنة والجماعة ليتعاملوا مع هٰذه الفتنة على بصيرة:

١ ـ البحث فيما شجر بين الصحابة لا يقرِّب العبد إلى الله زلفى، فهم قد لقوا ربَّهم، وهو أعلم بما شجر بينهم، فإن كان الأمر لا يقرِّبك إلى الله زلفى وإنما قد يقودك إلى النار وأنت لا تعلم؛ فتجنُّبه أولى، ذٰلك أن رسول الله ﷺ قال:

«مَن نجا من ثلاث؛ فقد نجا، من نجا من ثلاث؛ فقد نجا، من نجا من ثلاث؛ فقد نجا: موتي، والدجال، وقتلُ خليفةٍ مصطبرٍ بالحقِّ يُعطيه»[1].

قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وكذٰلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم، ونعلم أن بعض المنقول في ذٰلك كذب، وهم كانوا مجتهدين، إما مصيبين لهم أجران، أو مثابين على عملهم الصالح، مغفور لهم خطؤهم، وما كان لهم من السيئات ـ وقد سبق لهم

(١) سبق ذكره.

من الله الحسنى ـ؛ فإن الله يغفرها لهم إما بتوبة أو بحسنات ماحية أو مصائب مكفِّرة»[1].

٢ ـ نبتت نابتةٌ زعمت حب آل البيت وهم منهم برآء، هٰذه النابتة هم الـرافضة[2]، الذين تجارى بهم الهوى كما يتجارى الكلب بصاحبه، فجعلوا

---

(١) «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣ / ٤٠٦).

(٢) وقفت على كلام أشبه بالدرر لشيخ الإسلام ابن تيمية يصف فيه هؤلاء الذين خلعوا ربقة الإسلام من رقابهم، وأنا أنقله على طوله، عسى أن تنقشع الغمامة التي تغطي أعين بعض أهلِ السنة والجماعة، وجعلتهم يظنون أن دولة الإسلام قامت بقيام دولة الرافضة، وما علم هٰؤلاء الجهلة أن خطر هٰؤلاء على الإسلام أعظم من خطر اليهود والنصارى.

وقد بيَّن شيخ الإسلام رحمه الله عظيم خطرهم ببيان أنهم أخطر من الخوارج، وببيان أوجه الشبه بينهم وبين اليهود والنصارى.

قال رحمه الله:

١ ـ الرافضة إن لم يكونوا شرّاً من الخوارج المنصوصين[أ]؛ فليسوا دونهم؛ فإن أولٰئك[ب] إنما كفروا عثمان وعلياً وأتباع عثمان وعلي فقط؛ دون مَن قعد عن القتال أو مات قبل ذٰلك.

والرافضة كفَّرت أبا بكر وعمر وعثمان وعامَّة المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكفَّروا جماهير أمة محمد ﷺ من المتقدمين والمتأخرين.

فيكفِّرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار العدالة أو ترضَّى عنهم كما رضي الله عنهم، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم، ولهٰذا يكفِّرون أعلام الملَّة مثل سعيد بن المسيب وأبي مسلم الخولاني وأويس القرني وعطاء بن أبي رباح وإبراهيم النخعي، ومثل مالك والأوزاعي وأبي حنيفة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة والثوري والشافعي وأحمد بن حنبل وفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والجنيد بن محمد وسهل بن عبدالله التستري وغير هٰؤلاء، ويستحلُّون دمـاء مَن خرج عنهم[ج]، ويسمـون مذهبهم مذهب الجمهـور؛ كمـا يسمِّيه =

(أ) أي: ذكرهم رسول الله ﷺ نصّاً.

(ب) أي: الخوارج.

(ج) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٤٧٧).

= المتفلسفة ونحوهم بذلك، وكما تسميه المعتزلة مذهب الحشو والعامَّة وأهل الحديث، ويرون في أهل الشام ومصر والحجاز والمغرب واليمن والعراق والجزيرة وسائر بلاد الإسلام أنه لا يحل نكاح هٰؤلاء ولا ذبائحهم، وأن المائعات التي عندهم من المياه والأدهان وغيرها نجسة، ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى؛ لأن أولٰئك عندهم كفَّار أصليون، وهٰؤلاء مرتدُّون، وَكفر الردَّة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي(د).

وأكثر محققيهم (عندهم)(هـ) يرون أن أبا بكر وعمر وأكثر المهاجرين والأنصار وأزواج النبي ﷺ مثل عائشة وحفصة وسائر أئمة المسلمين وعامتهم ما آمنوا بالله طرفة عين قط؛ لأن الإيمان الذي يتعقَّبه الكفر عندهم يكون باطلاً من أصله؛ كما يقوله بعض علماء السنة.

ومنهم من يرى أن فرج النبي ﷺ الذي جامع به عائشة وحفصة لا بدَّ أن تمسَّه النار ليطهر بـذلك من وطىء الكوافر؛ لأن وطء الكوافر حرام عندهم(و).

٢ ـ الخوارج كانوا من أصدق الناس وأوفاهم بالعهد، وهٰؤلاء من أكذب الناس وأنقضهم للعهد(ز).

فهم أشد ضرراً على الدين وأهله، وأبعد عن شرائع الإسلام من الخوارج الحرورية، ولهٰذا كانوا أكذب فرق الأمة، فليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أكثر كذباً ولا أكثر تصديقاً للكذب وتكذيباً للصدق منهم، وسيما النفاق فيهم أظهر منه في الناس، وهي التي قال فيها النبي ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»(ح)، وفي رواية: «أربع مَن كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومَن كان فيه خصلةٌ منهنَّ كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»(ط).

وكلُّ مَن جرَّبهم يعرف اشتمالهم على هٰذه الخصال، ولهٰذا يستعملون التقيَّة التي هي سيما =

(د) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٤٧٨).

(هـ) أي: من يسمُّونهم المحقِّقين ويرتضونهم وليسوا كذٰلك ولا كرامة.

(و) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٤٨١).

(ز) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٤٨٤).

(ح) متفق عليه عن أبي هريرة، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ١٦).

(ط) متفق عليه عن ابن عمرو، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٩٠٢).

. . . .

المنافقين واليهود، ويستعملونها مع المسلمين: ﴿يقولونَ بألسنتهم ما ليس في قلوبهم[ي]﴾[ك].

٣ ـ الخوارج كانوا يتَّبعون القرآن بمقتضى فهمهم، وهٰؤلاء إنَّما يتَّبعون الإمام المعصوم عندهم، الذي لا وجود له، فمستند الخوارج خير من مستندهم[ل].

٤ ـ الخوارج لم يكن منهم زنديق غال، وهٰؤلاء فيهم من الزنادقة والغالية مَن لا يحصيه إلا الله، وقد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبدالله بن سبأ؛ فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية، وطلب أن يُفسدَ الإسلام كما فعل بولص النصراني الذي كان يهوديّاً في إفساد دين النصارى.

وأيضاً؛ فغالب أئمتهم زنادقة، إنما يظهرون الرفض؛ لأنه طريق إلى هدم الإسلام.

ومنهم أولٰئك الذين خرجوا بأرض المغرب، ثم جاوزوا إلى مصر، وبنوا القاهرة، وادَّعوا أنهم فاطميون، مع اتِّفاق أهل العلم بالأنساب أنهم بريئون من نسب رسول الله ﷺ، وأن نسبهم متَّصل بالمجوس واليهود، واتفاق أهل العلم بدين رسول الله ﷺ أنهم أبعد عن دينه من اليهود والنصارى[م].

٥ ـ الخوارج كانوا يصلون الجمعة وجماعة، وهم لا يصلون جمعة ولا جماعة، ولا يرون جهاد الكفار مع أئمة المسلمين، ولا الصلاة خلفهم، ولا طاعتهم في طاعة الله، ولا تنفيذ شيء من أحكامهم؛ لاعتقادهم أن ذٰلك لا يسوغ إلا خلف إمام معصوم، ويرون أن المعصوم قد دخل السرداب من أكثر من أربع مئة وأربعين سنة[ن]، وهو إلى الآن لم يخرج، ولا علَّم أحداً ديناً، ولا حصل به فائدة، بل مضرَّة، ومع هٰذا؛ فالإيمان عندهم لا يصح إلا به، ولا يكون مؤمناً إلا مَن آمن به، ولا يدخل الجنة إلا أتباعه[ق].

٦ ـ معلوم قطعاً أن إيمان الخوارج بما جاء به محمد ﷺ أعظم من إيمانهم؛ فإذا كان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قد قتلهم ونهب عسكره ما في عسكرهم من الكراع

(ي) الفتح: ١١.

(ك) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٤٧٩).

(ل) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٤٨٣).

(م) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٤٨٣).

(ن) هٰذا في زمن ابن تيمية، ولم يخرج حتى الآن بعد مضي أكثر من ألف سنة، ولن يخرج.

(ق) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٤٨٠ ـ ٤٨١).

نهش لحوم أصحاب محمد ﷺ ديناً يتقرَّبون به إلى الله عزَّ وجلَّ، وسيكبُّهم إن شاء الله على وجوههم في النار، وما فعلوا فعلتهم هٰذه إلا لهدم ركن التشريع الثاني، وهو سنة المصطفى ﷺ.

= والسلاح والأموال؛ فهٰؤلاء أولى أن يُقاتَلوا وتؤخذ أموالهم كما أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أموال الخوارج(ر).

٧ ـ كذٰلك فإنهم يكفِّرون كلَّ مَن آمن بأسماء الله وصفاته التي في الكتاب والسنة، وكلَّ من آمن بقدر الله وقضائه؛ فآمن بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة، وأنه خالق كل شيء(ش).

٨ ـ وهم يُشبهون اليهود في أمور كثيرة، لا سيما السامرة من اليهود؛ فإنهم أشبه بهم من سائر الأصناف، يشبهونهم في دعوى الإمامة في شخص أو بطن بعينه، والتكذيب لكل من جاء بحق غير ما يدَّعونه، وفي اتباع الأهواء، أو تحريف الكلم عن مواضعه، وتأخير الفطر وصلاة المغرب، وغير ذٰلك، وتحريم ذبائح غيرهم(ت).

٩ ـ وهم يشبهون النصارى في الغلوِّ في الشر والعبادات المبتدعة وفي الشرك وغير ذٰلك(س).

١٠ ـ إضافة إلى هٰذا فهم يعطِّلون المساجد التي أمر الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، فلا يقيمون فيها جمعة ولا جماعة، ويبنون على القبور المكذوبة وغير المكذوبة مساجد يتَّخذونها مشاهد، وقد لعن رسول الله ﷺ مَن اتَّخذ المساجد على القبور، ونهى أمته عن ذٰلك(ع)، ويرون أن حج هٰذه المشاهد المكذوبة وغير المكذوبة من أعظم العبادات، حتى إن من مشايخهم مَن يفضلها على حج البيت الذي أمر الله به ورسوله(ف).

(ر) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٤٨٥ ـ ٤٨٦).

(ش) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٤٨١).

(ت) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٤٨٠).

(س) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٤٨٠).

(ع) يراجع لذٰلك كتاب: «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» لشيخنا الألباني.

تنبيه: لمعرفة المزيد عن دين الرافضة تراجع كتب إحسان إلٰهي ظهير، وعبدالله الغريب وعبدالله الجبهان، وسأشير إلى أسمائها في آخر الكتاب إن شاء الله.

(ف) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٤٨٢).

أولاً ـ اقتتال فئتين عظيمتين دعواهما واحدة:

روى أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ؛ قال:

«لا تقوم الساعة حتى يقتَتِل فئتان، فيكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة، ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجَّالون كذَّابون قريباً من ثلاثين؛ كلهم يزعم أنه رسول الله»[1].

وفي هٰذا الحديث:

١ ـ المراد بالفئتين من كان مع علي ومعاوية لما تحاربا بصفين:

والمراد بقوله: «دعواهما واحدة»؛ أي: دينهما واحد؛ لأن كلًّا منهما كان يتسمى بالإسلام، أو المراد أن كلًّا منهما كان يدَّعي أنه المحقُّ[2]. ذكره الحافظ في «الفتح».

٢ ـ الفئتان من المسلمين بشهادة رسول الله ﷺ:

روى البخاري عن سفيان بن عيينة؛ قال: حدثنا إسرائيل أبو موسى ولقيته بالكوفة:

جاء إلى ابن شبـرمة، فقال: أدخلني على عيسى[3] فأعظه، فكأن ابن شبرمة خاف عليه، فلم يفعل. قال[4]: حدثنا الحسن[5] قال: لما سار الحسن

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٢٩٤)، واتفق الشيخان على الجزء الأول منه دون ذكر الدجالين.

(٢) «فتح الباري» (٦ / ٦١٦).

(٣) هو عيسى بن موسى ابن أخي المنصور، وكان أميراً على الكوفة.

(٤) القائل هو إسرائيل أبو موسى.

(٥) هو الحسن البصري.

بن علي رضي الله عنهما إلى معاوية بالكتاب؛ قال عمرو بن العاص لمعاوية: أرى كتيبة لا تولّي[1] حتى تدبر أخراها[2]. قال معاوية: مَن لذراري[3] المسلمين؟ فقال: أنا. فقال عبدالله بن عامر وعبدالرحمٰن بن سمرة: نلقاه، فنقول له: الصلح. قال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة؛ قال: بينا النبي ﷺ يخطب؛ جاء الحسن[4]، فقال النبي ﷺ: «ابني هٰذا سيد، ولعلَّ الله أن يُصلحَ به بين فئتين من المسلمين»[5].

وفي هٰذه القصة فوائد كثيرة؛ منها:

أ ـ علم من أعلام النبوة.

ب ـ فيها منقبة للحسن بن علي رضي الله عنهما؛ فإنه ترك الملك؛ لا لقلَّة، ولا لذلَّة، ولا لعلَّة، بل لرغبته فيما عند الله؛ لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة.

ج ـ فيها ردٌّ على الخوارج الذين كانوا يكفِّرون عليّاً ومن معه ومعاوية ومن معه بشهادة النبي ﷺ للطائفتين بأنهم من المسلمين.

د ـ فيها دلالة على فضيلة الإصلاح بين الناس، ولا سيما في حقن دماء المسلمين.

هـ ـ فيها دلالة على رأفة معاوية بالرعية وشفقته على المسلمين وقوَّة نظره

---

(١) أي: لا تُدْبر ولا تنهزم.

(٢) أي: التي تقابلها.

(٣) أي: من يكفلهم إذا قتل آباؤهم.

(٤) أي: الحسن بن علي رضي الله عنه.

(٥) «فتح الباري» (١٣ / رقم ٧١٠٩).

في تدبير الملك ونظره في العواقب.

و ـ فيها جواز خلع الخليفة نفسه إذا رأى في ذٰلك صلاحاً للمسلمين.

وأفاد ذٰلك كلَّه الحافظ في «الفتح»[1].

٣ ـ اهتمام المتقاتلين بحرمة المسلمين:

وذٰلك أنهم في معركة صفين كانوا إذا رأوا جريحاً؛ تركوه، فلم يُجهزوا عليه، وإذا هرب أحدهم؛ لا يتعقَّبونه، وإذا رأوا قتيلاً؛ تركوه فلم يسلبوه.

روى الحاكم عن أبي أمامة؛ قال:

«شهدت صفين، فكانوا لا يجيزون[2] على جريح، ولا يطلبون مولّياً، ولا يسلبون قتيلاً»[3].

ثانياً: قتال عائشة وعلي، (موقعة الجمل):

١ ـ تنبيه رسول الله ﷺ نساءه لهٰذه الفتنة، وتحذيرهن منها:

روى أحمد وابن حبان والحاكم عن قيس بن حازم: أن عائشة لما أتت على الحوأب؛ سمعت نباح الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة؛ إن رسول الله ﷺ قال لنا: «أيتكنَّ تنبح عليها كلاب الحوأب». قال لها الزبير: ترجعين؟! عسى الله عزَّ وجلَّ أن يصلح بك بين الناس.

هٰذا لفظ شعبة، أما لفظ يحيى؛ فقال:

«لمَّا أقبلت عائشة؛ بلغت مياه بني عامر ليلاً؛ نبحت الكلاب. قالت:

---

(١) «فتح الباري» (١٣ / ٦٦ ـ ٦٧).

(٢) بمعنى: يجهزون.

(٣) «إرواء الغليل» (٨ / ٢٤٦٣).

أي ماء هٰذا؟ قالوا: ماء الحوأب. قالت: ما أظنني إلا راجعة. فقال بعض من كان معها: بل تقدمين، فيراك المسلمون، فيصلح الله ذات بينهم. قالت: إن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم: «كيف بإحداكنَّ تنبح عليها كلاب الحوأب»[1].

٢ ـ شهادة رسول الله ﷺ لعائشة بالنجاة:

روى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ لنسائه: «ليت شعري! أيتكنَّ صاحبة الجمل الأدْبب[2]، تخرج فينبحها كلاب الحوأب، يُقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير، ثم تنجو بعدما كادت»[3].

٣ ـ شهادة الصحابة لعائشة بالجنة (شهادة الخصوم):

روى البخاري عن أبي مريم أبو عبدالله الأزدي؛ قال:

لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة؛ بعث عليٌّ عمار بن ياسر وحسن بن علي، فقدما علينا الكوفة، فصعدا المنبر، فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه، وقام عمار أسفل من الحسن، فاجتمعنا إليه، فسمعت عماراً يقول: «إن عائشة قد سارت إلى البصرة، والله إنها لزوجة نبيِّكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي»[4].

وروى البخاري عن أبي وائل؛ قال:

قام عمار على منبر الكوفة، فذكر عائشة، وذكر مسيرها، وقال: «إنها

(١) «السلسلة الصحيحة» (١ / رقم ٤٧٤).

(٢) الكثير وبر الوجه.

(٣) «السلسلة الصحيحة» (١ / ٧٧٤).

(٤) «فتح الباري» (١٣ / رقم ٧١٠٠).

زوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنها مما ابتليتم»[1].

قال الحافظ في «الفتح»:

«ومراد عمار بذلك أن الصواب في تلك القصة كان مع علي، وأن عائشة مع ذلك لم تخرج بذلك عن الإسلام، ولا أن تكون زوجة النبي ﷺ في الجنة، فكان ذلك يعدُّ من إنصاف عمار وشدة ورعه وتحرِّيه قول الحق»[2].

وقال أيضاً:

«قال ابن هبيرة: في هذا الحديث أن عماراً كان صادق اللهجة، وكان لا تستخفُّه الخصومة، إلى أن ينتقص خصمه؛ فإنه شهد لعائشة بالفضل التام مع ما بينهما من الحرب»[3].

٤ ـ اتباع الصحابة رضوان الله عليهم لحديث رسول الله ﷺ عند تذكُّرهم له:

روى البخاري عن أبي بكرة؛ قال:

لقد نفعني الله بكلمة أيام الجمل، لما بلغ النبي ﷺ أن فارساً ملَّكوا ابنة كسرى؛ قال: «لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة»[4].

٥ ـ خطأ عائشة وندمها على ذلك:

أشكل حديث الحوأب على بعض الناس، فردُّوه، وهو صحيح، ولسان حالهم يقول: كان على عائشة رضي الله عنها لما علمت بالحوأب أن ترجع،

(١) «فتح الباري» (١٣ / رقم ٧١٠١).

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ٥٨).

(٣) «فتح الباري» (١٣ / ٥٩).

(٤) «فتح الباري» (١٣ / رقم ٧٠٩٩)، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٥١٠١).

والحديث يدلُّ أنها لم ترجع، وهٰذا مما لا يليق أن ينسب لأم المؤمنين.

وقد أجاب شيخنا على هٰذا الإشكال فقال:

«ليس كلُّ ما يقع من الكمَّل يكون لائقاً بهم، إذ المعصوم من عصم الله، والسنيُّ لا ينبغي له أن يُغالي فيمن يحترمه، حتى يرفعه إلى مصاف الأئمة الشيعة المعصومين، ولا شك أن خروج أم المؤمنين كان خطأ من أصله، ولذا همَّت بالرجوع حين علمت بتحقُّق نبوءة النبي ﷺ عند الحوأب، ولكنَّ الزبير رضي الله عنه أقنعها بترك الرجوع بقوله: «عسى الله أن يصلح بك بين الناس»، ولا نشك أنه كان مخطئاً في ذٰلك أيضاً.

والعقل يقطع بأنه لا مناص من القول بتخطئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللتين وقع فيهما مئات القتلى، ولا شك أن عائشة رضي الله عنها هي المخطئة؛ لأسباب كثيرة وأدلَّة واضحة، ومنها ندمها على خروجها، وذٰلك هو اللائق بفضلها وكمالها، وذٰلك مما يدلُّ على أن خطأها من الخطإ المغفور، بل المأجور.

قال الإمام الزيلعي في «نصب الراية»: وقد أظهرت عائشة الندم؛ كما أخرجه ابن عبدالبر في «الاستيعاب» عن ابن أبي عتيق، وهو عبدالله بن محمد بن عبدالرحمٰن بن أبي بكر الصديق؛ قال: قالت عائشة لابن عمر: يا أبا عبدالرحمٰن! ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً غلب عليك - يعني: ابن الزبير -. فقالت: أما والله لو نهيتني ما خرجت.

قال شيخنا:

«ولهٰذا الأثر طريق أخرى، فقال الذهبي في «سير النبلاء»: وروى إسماعيل بن علية عن أبي سفيان بن العلاء المازني عن ابن أبي عتيق؛ قال:

قالت عائشة: إذا مرَّ ابن عمر؛ فأرنيه، فلمَّا مرَّ بها؛ قيل لها: هٰذا ابن عمر. فقالت: يا أبا عبدالرحمٰن! ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً قد غلب عليك ـ يعني: ابن الزبير ـ.

وقال الذهبي أيضاً: إسماعيل بن أبي خالد عن قيس؛ قال: قالت عائشة، وكانت تحدِّث نفسها أن تُدفن في بيتها، فقالت: إني أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثاً، ادفنوني مع أزواجه، فدُفنت بالبقيع رضي الله عنها.

قلت (أي: الذهبيُّ): تعني بالحدث مسيرها يوم الجمل؛ فإنها ندمت ندامة كلِّية، وتابت من ذٰلك، على أنها ما فعلت ذٰلك إلا متأوِّلة، قاصدة للخير، كما اجتهد طلحة بن عبدالله والزبير بن العوَّام وجماعة من الكبار، رضي الله عن الجميع»[1].

ثالثاً: قتال عليٍّ والخوارج:

١ ـ ذكر الخوارج وصفاتهم:

أ ـ هم كلاب النار:

روى أحمد وابن ماجه والحاكم عن ابن أبي أوفى وأحمد والحاكم عن أبي أمامة: أن النبي ﷺ قال:

«الخوارج كلاب النار»[2].

الخوارج هم قوم مبتدعون، سمُّوا بذٰلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين.

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١ / ٧٧٥ ـ ٧٧٧).

(٢) «صحيح الجامع» (٣٣٤٢).

وكان الخوارج ينكرون على عثمان أشياء، ويتبرَّؤون منه، وأصل ذٰلك أن بعض أهل العراق أنكروا سيرة بعض أقارب عثمان، فطعنوا على عثمان بذٰلك، وكان يُقال لهم القراء؛ لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة، إلا أنهم كانوا يتأوَّلون القرآن على غير المراد منه، ويستبدون برأيهم، ويتنطَّعون في الزهد والخشوع وغير ذٰلك.

فلما قُتل عثمان؛ قاتلوا مع عليٍّ، واعتقدوا كفر عثمان ومَن تابعه، واعتقدوا إمامة عليٍّ وكفر من قاتله من أهل الجمل الذين كان رئيسهم طلحة والزبير[1].

ولما قبل عليٌّ التحكيم مع معاوية؛ كفَّروه، وخرجوا عليه، فقاتلهم كما سيأتي.

ب ـ شر الخلق[2] والخليقة[3]:

روى أحمد ومسلم وابن ماجه عن أبي ذر؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن بعدي من أمتي ـ أو سيكون بعدي من أمتي ـ قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميَّة، ثم لا يعودون فيه، هم شرُّ الخلق والخليقة». فقال ابن الصامت[4]: فلقيت رافع بن الحكم الغفاري؛ قلت: ما حديث سمعته من أبي ذر كذا وكذا؟ فذكرت له هٰذا الحديث، فقال: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ[5].

---

(١) «فتح الباري» (١٢ / ٢٨٣).

(٢) الناس.

(٣) البهائم.

(٤) راوي الحديث عن أبي ذر.

(٥) «صحيح الجامع» (٢٠٣٥)، وهو في «صحيح مسلم بشرح النووي» (٧ / ١٧٤).

ج ـ الدجَّال يخرج في عراضهم[1]:

روى ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال:

«ينشأ نشء[2] يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرن قطع».

قال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلما خرج قرن[3] قطع» أكثر من عشرين مرة، «حتى يخرج في عراضهم[1] الدجَّال»[4].

د ـ هم شر القتلى، وخير قتيل من قتلوا:

روى ابن ماجه عن أبي أمامة يقول:

«شر قتلى قُتلوا تحت أديم السماء، وخير قتيل من قتلوا[5]، كلاب أهل النار، قد كان هٰؤلاء مسلمين، فصاروا كفاراً». قلت: يا أبا أمامة! هٰذا شيء تقوله؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ[6].

هـ ـ آيتهم التي ميزتهم يوم النهروان:

روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال:

بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسِم قَسْماً؛ أتاه ذو الخُويْصِرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله! اعدل. فقال: «ويلك! ومن يعدل إذا

---

(١) بمعنى الجيش العظيم، وهو مستعار من العرض؛ بمعنى: ناحية الجبل، أو السحاب الذي يسد الأفق.

(٢) أحداث.

(٣) كلما ظهرت طائفة؛ غلبوا وانقطعوا، والمراد: عدم ظهورهم.

(٤) «صحيح الجامع» (٨٠٢٧).

(٥) أي: من قتله الخوارج؛ فهو شهيد.

(٦) «صحيح سنن ابن ماجه» (١٤٦).

لم أعدل؟! قد خبت وخسرت[1] إن لم أكن أعدل». فقال عمر: يا رسول الله! ائذن لي فيه فأضرب عنقه. فقال: «دعه؛ فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة، ينظر إلى نصله[2] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه[3] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيِّه[4] ـ وهو قدحه[1] ـ فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قُذذِه[5] فلا يوجد منه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم[6] رجل أسود إحدى عضُدَيه مثل ثَدْي المرأة أو مثل البَضْعة[7] تَدَرْدَر[8]، ويخرجون على خين فرقة من الناس[9]».

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هٰذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذٰلك الرجل، فالتُمس فأُتي به، حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته[10].

---

(١) رويت بالضم والفتح.

قال النووي: «ومعنى الضم ظاهر، وتقدير الفتح: خبتَ أنت أيها التابع إذا كنتُ لا أعدل؛ لكونك تابعاً ومقتدياً لمن لا يعدل، والفتح أشهر، والله أعلم».

(٢) حديدة السهم.

(٣) عصبه الذي يكون فوق مدخل السهم.

(٤) عود السهم قبل أن يرامش وينصل.

(٥) ريش السهم.

(٦) علامتهم.

(٧) قطعة اللحم.

(٨) تضطرب.

(٩) زمان فرق من الناس.

(١٠) «اللؤلؤ والمرجان» (رقم ٦٤٢)، «فتح الباري» (٦ / رقم ٣٦١٠).

و ـ يقتلون أهل الإسلام ويوادعون أهل الأوثان

روى الشيخان وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال:

بعث علي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بذُهَيْبَةٍ[1]، فقسمها بين الأربعة: الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي، وعُيَيْنة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، ثم أحد بني نبهان وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب، فغضبت قريش والأنصار، قالوا: يعطي صناديد[2] أهل نجد ويدعنا؟ قال: «إنما أتألَّفهم». فأقبل رجل غائر العينين[3]، مشْرِف[4] الوجنتين، ناتىء[5] الجبين[6]، كثُّ[7] اللحية، محلوق[8]، فقال: اتَّق الله يا محمد. فقال: «من يطع الله إذا عصيت؟! أيأمنني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني؟!». فسأله رجل قَتْلَه ـ أحسبه خالد بن الوليد ـ، فمنعه، فلمَّا ولَّى؛ قال: «إن من ضئضىء[8] هٰذا ـ أو في عقب هٰذا ـ قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرميَّة، يقتلون أهل الإسلام ويدَعون[9] أهل الأوثان، لئن أنا

---

(١) قطعة من تبر.

(٢) رؤساء.

(٣) داخل العينين.

(٤) غليظهما.

(٥) مرتفع.

(٦) جانب الجبهة.

(٧) كثير شعرها.

(٨) أي: رأسه، وهو مخالف لما كانوا عليه من تربية شعر الرأس وفرقه.

(٩) من الموادعة؛ أي: يسالمونهم.

أدركتهم؛ لأقتلنَّهم قتل[1] عاد»[2].

ز ـ سيماهم التحليق:

روى أحمد والشيخان عن سهل بن حنيف؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«يخرج من المشرق أقوام محلَّقةٌ رؤوسهم، يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة»[3].

وروى أحمد والبخاري عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال:

«يخرج ناس من قِبَل المشرق، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه[4]، سيماهم التحليق»[5].

ح ـ يقرؤون القرآن بألسنتهم:

روى الطبراني عن عقبة بن عامر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «سيخرج قوم من أمَّتي يشربون[6] القرآن كشربهم اللبن»[7].

وفي الباب أحاديث أخرى مرَّ بعضها فلا داعي لإعادتها.

---

(١) قتلاً شديداً قويّاً لا يبقي منهم أحداً.

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٢٢٢٣)، وهو في «اللؤلؤ والمرجان» (رقم ٦٣٩).

(٣) «صحيح الجامع» (٧٩١٣).

(٤) موضع وقوع الوتر من السهم.

(٥) «صحيح الجامع» (٧٩١٩).

(٦) أي: يسلقونه بألسنتهم من غير تدبُّر لمعانيه ولا تأمُّل في أحكامه، بل يمرُّ على ألسنتهم كما يمر اللبن المشروب عليها بسرعة.

(٧) «صحيح الجامع» (٣٥٤٧).

ط ـ أهل قول لا عمل:

روى أبو داود والحاكم عن أبي سعيد وأنس معاً: أن رسول الله ﷺ قال:

«سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم[1]، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتدَّ على فوقه، هم شرار الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم؛ كان أولى بالله منهم، سيماهم التحليق»[2].

ي ـ أعمالهم تعجب الناس، فيرى الناس أعمالهم حقيرة بالنسبة لأعمالهم:

روى الشيخان وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يخرج فيكم قوم تحقرون[3] صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة، ينظر في النصل فلا يرى شيئاً، وينظر في الريش فلا يرى شيئاً، ويتمارى في الفوق هل علق به من الدم شيء»[4].

وأخرج ابن أبي عاصم في كتاب السنة عن أنس بن مالك؛ قال: ذُكر لي أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) مفردها ترقوة، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق.

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٣٥٦٢).

(٣) تستصغرون.

(٤) «صحيح الجامع» (٧٩٠٩).

«يخرج فيكم - أو يكون فيكم - قوم يتعبَّدون ويتديَّنون، حتى يعجبوكم وتعجبهم أنفسهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة»[1]

ك - هم المارقون من الدين:

روى البزار وابن أبي عاصم في السنة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال يوم النهروان:

«أمرت بقتال المارقين، وهٰؤلاء المارقون»[2].

ل - تقتلهم أولى الطائفتين بالحق:

روى مسلم وأبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق»[3].

وفي رواية لمسلم: «تكون في أمتي فرقتان، فتخرج من بينهما مارقة، يلي قتلهم أولاهم بالحق»[4].

وفي رواية لمسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في حديث ذكر فيه قوماً يخرجون على فُرقة مختلفة، يقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق[4].

قال النووي في «شرح مسلم»:

«هٰذه الروايات صريحة في أن عليّاً رضي الله عنه كان هو المصيب

---

(١) كتاب «السنة» لابن أبي عاصم (رقم ٩٤٥).

(٢) «السنة» لابن أبي عاصم بتخريج شيخنا (رقم ٩٠٧).

(٣) «صحيح الجامع» (٢٩٩٤).

(٤) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٧ / ١٦٨).

المحق، والطائفة الأخرى أصحاب معاوية رضي الله عنه كانوا بُغاة متأوِّلين، وفيه التصريح بأن الطائفتين مؤمنون لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون»[1].

وقال ابن تيمية رحمه الله:

«ونعلم أن عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان أفضل وأقرب إلى الحق من معاوية وممَّن قاتله معه؛ لما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين، تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق»، وفي هٰذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حقٌّ، وأن عليّاً رضي الله عنه أقرب إلى الحق»[2].

م ـ تحريض رسول الله ﷺ على قتلهم وأجر من قتلهم:

روى الشيخان وأبو داود عن علي رضي الله عنه؛ قال:

إذا حدَّثتكم عن رسول الله ﷺ؛ فلأن أخرَّ من السماء أحبُّ إليَّ من أن أكذب عليه، وإذا حدَّثتكم فيما بيني وبينكم؛ فإن الحرب خدعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان[3]، سفهاء الأحلام[4]، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم؛ فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة»[5].

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٧ / ١٦٨)

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣ / ٤٠٧).

(٣) شباب صغار السن.

(٤) ضعفاء العقول عندهم خفَّة في العقل.

(٥) «صحيح الجامع» (رقم ٧٨٨٣).

روى مسلم عن سلمة بن كهيل: حدثني زيد بن وهب الجهني: أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج، فقال عليٌّ رضي الله عنه:

أيها الناس! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمَّتي؛ يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء؛ يقرؤون القرآن؛ يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قُضي لهم على لسان نبيهم؛ لاتَّكلوا[1] عن العمل، وآية ذٰلك أن فيهم رجلًا له عضدٌ وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض»، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، وتتْرُكون هٰؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم؟! والله إني لأرجو أن يكون هٰؤلاء القوم؛ فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله.

قال سلمة بن كهيل: فنزَّلني زيد بن وهب منزلاً، حتى قال: مررنا على قنطرة، فلما التقينا، وعلى الخوارج يومئذ عبدالله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح، وسلُّوا سيوفكم من جفونها؛ فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحّشوا[2] برماحهم وسلُّوا السيوف، وشجرهم[3] الناس برماحهم، وقُتِل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس[4] يومئذ إلا رجلان.

(١) كسلوا عنه.

(٢) رَموا بها عن بُعد.

(٣) أي: مدُّوها إليهم وطاعنوهم بها.

(٤) أي: من أصحاب علي.

فقال علي رضي الله عنه: التمسوا فيهم المُخْدَج[1]، فالتمسوه، فلم يجدوه، فقام عليٌّ رضي الله عنه بنفسه، حتى أتى ناساً قد قُتِل بعضهم على بعض. قال: أخِّروهم، فوجدوه مما يلي الأرض، فكبَّر ثم قال: صدق الله، وبلَّغ رسوله. قال: فقام إليه عبيدة السلْماني، فقال: يا أمير المؤمنين! الله الذي لا إلٰه إلا هو لسمعتَ هٰذا الحديث من رسول الله ﷺ؟ فقال: إي والله الذي لا إلٰه إلا هو، حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف له[2].

قال النووي رحمه الله:

«إن عبيدة السلماني رحمه الله استحلف علياً ثلاثاً، وإنما استحلفه ليُسْمِع الحاضرين ويؤكد ذٰلك عندهم ويُظهر لهم المعجزة التي أخبر بها رسول الله ﷺ ويظهر لهم أن علياً وأصحابه أولى الطائفتين بالحق، وأنهم محقُّون في قتالهم»[3].

ن ـ نظرتهم لخروجهم على أنه هجرة في سبيل الله عز وجل:

روى أحمد وابن أبي عاصم في «السنة» ـ واللفظ له ـ عن أبي حفص؛ قال:

سمعت عبدالله بن أبي أوفى وهم يقاتِلون الخوارج، وكان غلام له قد لحق بالخوارج من الشق الآخر، فناديناه: يا فيروز! يا فيروز! هٰذا عبدالله بن أبي أوفى. فقال: نعم الرجل لو هاجر! قال عبدالله: ما يقول عدو الله؟ فقيل

---

(1) المُخْدَج: ناقص اليد.

(2) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٧ / ١٧١ ـ ١٧٣).

(3) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٧ / ١٧٣).

له: يقول: نِعم الرجل لو هاجر! فقال: أهجرةً بعد هجرتي مع رسول الله ﷺ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طوبى لمَن قتلهم وقتلوه»[1].

٢ ـ محاولة علي رضي الله عنه إرجاعهم للصواب قبل قتالهم، وثناء عائشة رضي الله عنها عليه:

روى ابن جرير في «تاريخه» عن إسماعيل بن سميعَ الحنفي[2] عن أبي زرير[3]؛ قال:

لما وقع التحكيم، ورجع عليٌّ من صفِّين؛ رجعوا مباينين[4] له، فلما انتهوا إلى النهر؛ أقاموا به، فدخل عليٌّ في الناس الكوفة، ونزلوا بحروراء، فبعث إليهم عبدالله بن عباس، فرجع ولم يصنع شيئاً، فخرج إليهم عليٌّ، فكلَّمهم حتى وقع الرضى بينه وبينهم، فدخلوا الكوفة، فأتاه رجل، فقال: إن الناس قد تحدَّثوا أنك رجعت لهم عن كُفرك، فخطب الناس في صلاة الظهر، فذكر أمرهم، فعابه، فوثبوا من نواحي المسجد يقولون: لا حكم إلا لله، واستقبله رجل منهم واضع أصبعيه في أذنيه، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِليكَ وإِلى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ولَتَكونَنَّ مِنَ الخَاسِرينَ﴾[5]. فقال

---

(١) «السنة» لابن أبي عاصم (رقم ٩٠٦).

(٢) ثقة، كان يرى رأي الخوارج.

(٣) ثقة رمي بالتشيع.

قال شيخنا: «ومن الغرائب رواية ابن سميع ـ وكان يرى رأي الخوارج ـ عن ابن زرير، والرواية في ردِّ عليٍّ على بعضهم، وهٰذا مما يؤكد ثقة مثل هٰذا الخارجي في الرواية، فلا جرم أن مسلماً أخرج له «إرواء» (٨ / ١١٩).

(٤) أي: منفصلين عنه ومفارقين له.

(٥) الزمر: ٦٥.

علي: «﴿فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذينَ لا يُوقِنونَ﴾[1]»[2].

وأخرج مسلم والنسائي في «خصائص علي رضي الله عنه» عن عبيدالله بن أبي رافع:

إن الحرورية لما خرجت وهم مع عليٍّ رضي الله عنه، فقالوا: لا حكم إلا لله. قال علي رضي الله عنه: «كلمة حقٍّ أُريد بها[3] باطل، إن رسول الله ﷺ وصف ناساً إني لأعرف صفتهم في هٰؤلاء، يقولون الحقَّ بألسنتهم، لا يجوز هٰذا منهم (وأشار إلى حلقه)، من أبغض خلق الله إليه، منهم أسود إحدى يديه طُبْيُ[4] شاة أو حلمةُ ثدْي»، فلما قتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: «انظروا»، فنظروا، فلم يجدوا شيئاً، فقال: «ارجعوا؛ فوالله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبت (مرتين أو ثلاثاً)»، ثم وجدوه في خَرِبة، فأتوا به، حتى وضعوه بين يديه؛ قال عبيدالله: وأنا حاضر ذٰلك من أمرهم، وقول عليٍّ فيهم[5].

وروى أحمد والحاكم وعنه البيهقي عن عبدالله بن شدَّاد بن الهاد؛ قال:

قدمت عائشة رضي الله عنها، فبينما نحن جلوس عندها مرجعها من العراق ليالي قوتل عليٌّ رضي الله عنه؛ إذ قالت لي: «يا عبدالله بن شداد! هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟ حدِّثني عن هٰؤلاء القوم الذين قتلهم عليٌّ». قلت: وما لي لا أصدقك؟ قالت: «فحدِّثني عن قصتهم». قلت: إن عليّاً لما

---

(١) الروم: ٦٠.

(٢) «إرواء الغليل» (٢٤٦٨)، «تاريخ الأمم والملوك» للطبري (٥ / ٦٨٨).

(٣) معناه أن الكلمة أصلها صدْق، قال تعالى: ﴿إنِ الحُكْمُ إلَّا للهِ﴾، لكنهم أرادوا بها الإنكار على عليٍّ رضي الله عنه في تحكيمه.

(٤) ضرع الشاة.

(٥) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٧ / ١٧٣)، «الإرواء» (٨ / ١١٨).

أنْ كاتَبَ معاوية وحكَّم الحكمين؛ خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فنزلوا أرضاً من جانب الكوفة يُقال لها: حروراء، وإنهم أنكروا عليه، فقالوا: انخلعت من قميص[1] ألبسكه الله وأسماك به، ثم انطلقت فحكَّمت في دِين الله ولا حكم إلا لله، فلما أن بلغ علياً ما عتبوا عليه وفارقوه، أمر، فأذَّن مؤذن: لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن، فلما أن امتلأ من قرَّاء الناس الدار؛ دعا بمصحف عظيم، فوضعه عليٌّ رضي الله عنه بين يديه، فطفق يصكُّه[2] بيده ويقول: «أيها المصحف! حدِّث الناس». فناداه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين! ما تسأله عنه إنما هو ورق ومداد، ونحن نتكلَّم بما روِّينا منه، فماذا تريد؟ قال: «أصحابكم الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله تعالى، يقول الله عز وجل في امرأة ورجل: ﴿وإِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بينِهِما فابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ﴾[3]، فأمة محمد ﷺ أعظم حرمة من امرأة ورجل، ونقموا عليَّ أني كاتبت معاوية وكتبت علي بن أبي طالب، وقد جاء سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ في الحديبية حين صالح قومَه قريشاً، فكتب[4] رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمٰن الرحيم. فقال سهيل: لا تكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم. قلت: فكيف أكتب؟ قال: اكتب باسمك اللهم. فقال رسول الله ﷺ: اكتبه. ثم قال: اكتب: من محمد رسول الله ﷺ. فقال: لو نعلم أنك رسول الله لم نخالفك، فكتب: هٰذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله قريشاً، يقول الله في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ واليَوْمَ الآخِرَ﴾[5]»، فبعث

(١) يعني: الخلافة.

(٢) بقوة.

(٣) النساء: ٣٥.

(٤) ليس المقصود أن الرسول ﷺ هو الذي كتب، وإنما عليٌّ رضي الله عنه.

(٥) الأحزاب: ٢١.

إليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبدالله بن عباس، فخرجت معه، حتى إذا توسَّطنا عسكرهم؛ قام ابن الكُوَّاء، فخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن! إن هٰذا عبدالله بن عباس، فمَن لم يكن يعرفه؛ فأنا أعرفه من كتاب الله، هٰذا مَن نزل فيه وفي قومه: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمونَ﴾[1]، فردُّوه إلى صاحبه، ولا تواضعوه كتاب الله عزَّ وجل. قال: فقام خطباؤهم، فقالوا: والله لنواضعنَّه كتاب الله، فإذا جاءنا بحقٍّ نعرفه؛ اتَّبعناه، ولئن جاءنا بباطل؛ لنبكِّتَنَّهُ[2] بباطله ولنردَّنَّهُ إلى صاحبه، فواضعوه علي كتاب الله ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب، فأقبل بهم ابن الكواء حتى أدخلهم على عليٍّ رضي الله عنه، فبعث عليٌّ إلى بقيتهم، فقال: «قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، قفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ وتنزلوا فيها حيث شئتم، بيننا وبينكم أن نَقِيَكم رماحنا ما لم تقطعوا سبيلاً وتطلبوا دماً؛ فإنكم إن فعلتم ذٰلك؛ فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء، إن الله لا يحبُّ الخائنين». فقالت عائشة رضي الله عنها: «يا ابن شداد! فقد قتلهم!». فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدماء، وقتلوا ابن خباب، واستحلُّوا أهل الذمَّة. فقالت: «آلله؟». قلت: الله الذي لا إلٰه إلا هو لقد كان. قالت: «فما شيء بلغني عن أهل العراق يقولون: ذو الثدي ذو الثدي؟» قلت: قد رأيته ووقفت عليه مع عليٍّ رضي الله عنه في القتلى، فدعا الناس، فقال: «هل تعرفون هٰذا؟». فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي، ورأيته في مسجد بني فلان يصلِّي، فلم يأتوا بثبت إلا يعرف ذٰلك. قالت: «فما قول عليٍّ حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟». قلت: سمعته يقول: «صدق الله ورسوله». قالت: «فهل سمعت

---

(1) الزخرف: ٥٨.

(2) نغيظه ونذلُّه ونخزيه بباطله.

أنت منه قال غير ذلك؟». قلت: اللهم لا. قالت: «أجلْ؛ صدق الله ورسوله، يرحم الله عليّاً؛ إنه من كلامه، كان لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله»[1].

رابعاً: مقتل عثمان رضي الله عنه:

١ ـ شهادة النبي ﷺ لعثمان بالشهادة:

روى أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي عن أنس:

أن رسول الله ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال رسول الله ﷺ: «اثبت أحد! فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيق وشهيدان»[2]، فالنبي هو محمد ﷺ، والصدِّيق هو أبو بكر رضي الله عنه، والشهيدان عمر وعثمان.

٢ ـ إيماء علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعثمان بالأفضليَّة:

روى أحمد وابن أبي عاصم في كتاب «السنة» عن علي رضي الله عنه؛ قال:

«خير هٰذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، ولو شئت أن أسمي لكم الثالث لفعلت»[3].

وروى البخاري وأبو داود عن محمد بن الحنفية؛ قال:

قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: «أبو بكر». قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر». وخشيت أن يقول: عثمان؛ قلت: ثم أنت؟ قال: «ما

(١) «إرواء الغليل» (٨ / رقم ٢٤٥٩).

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ١٣٠).

(٣) «السنة» (رقم ١٢٠١).

أنا إلا رجل من المسلمين»[1].

٣ ـ شهادة أصحاب رسول الله ﷺ لعثمان بأنه ثالث الصحابة في الفضل بعد أبي بكر وعمر:

روى البخاري وأبو داود والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال:

«كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم»[2].

قال الحافظ في «الفتح»:

«اتَّفق العلمـاء على تأويل كلام ابن عمر هٰذا لما تقرَّر عند أهل السنَّة قاطبة من تقديم عليٍّ بعد عثمان ومن تقديم بقيَّة العشرة المبشَّرة على غيرهم، ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدها، وغير ذٰلك، فالظاهر أن ابن عمر إنما أراد بهٰذا النفي أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل، فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهوراً بيِّناً، فيجزمون به، ولم يكونوا حينئذ اطَّلعوا على التَّنصيص»[3].

٤ ـ شهادة رسول الله ﷺ لعثمان أنه يُقتل في فتنة مظلوماً.

روى الترمذي عن ابن عمر؛ قال:

ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فقال: «يُقتَل هٰذا فيها مظلوماً (لعثمان بن عفان رضي الله عنه)»[4].

فهلاَّ اعتبر الخائضون في عرض عثمان بهٰذا، وتابوا إلى ربهم، وهم

(١) «فتح الباري» (٧ / رقم ٣٦٧١).

(٢) «فتح الباري» (٧ / ٣٦٩٧).

(٣) «فتح الباري» (٧ / ٥٨).

(٤) «صحيح سنن الترمذي» (٣ / ٢٩٢٥).

يعلمون أن من نجا من الخوض في قتله؛ فقد نجا.

٥ ـ الخارجون على عثمان هم المنافقون:

روى أحمد والترمذي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ:

«يا عثمان! إن ولاَّك الله هٰذا الأمر يوماً، فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمَّصك الله؛ فلا تخلعه (يقول ذٰلك ثلاث مرات)». قال النعمان[1]: فقلتُ لعائشة: ما منعك أن تُعْلِمي الناس بهٰذا؟ قالت: أنسيته[2].

هٰذا لفظ ابن ماجه، وعند غيره: «يا عثمان! إن الله مقمِّصُكَ[3] قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه؛ فلا تخلعه»[4].

٦ ـ شهادة رسول الله لعثمان في الفتنة أنه على الهدى:

روى الترمذي وابن ماجه عن كعب بن عجرة؛ قال:

ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فقرَّبها، فمرَّ رجل مقنع رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «هٰذا يومئذ على الهدى»، فوثبت، فأخذت بضبْعي عثمان، ثم استقبلت رسول الله ﷺ، فقلتُ: هٰذا؟ قال: «هٰذا»[5].

هٰذا لفظ ابن ماجه ولفظ الترمذي: عن أبي الأشعث الصنعاني: أن خطباء قامت بالشام، وفيهم رجال من أصحاب النبي ﷺ، فقام آخرهم رجل

---

(١) النعمان بن بشير راوي الحديث عن عائشة.

(٢) «صحيح سنن ابن ماجه» (رقم ٩٠).

(٣) يعني: الخلافة.

(٤) «السنة» لابن أبي عاصم بتحقيق شيخنا (رقم ١١٧٩)

(٥) «صحيح سنن ابن ماجه» (رقم ٨٩).

يُقال له مرَّة بن كعب، فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت، وذكر الفتن، فقرَّبها، فمرَّ رجلٌ مقنَّعٌ في ثوب، فقال: «هٰذا يومئذ على الهدى»، فقمتُ إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه، فقلتُ: هٰذا؟ قال: «نعم»[1].

٧ ـ امتناع عثمان رضي الله عنه عن القتال يوم الدار تنفيذاً لأمر عهد به إليه رسول الله ﷺ:

روى ابن سعد في «الطبقات» عن أبي سهلة مولى عثمان؛ قال:

قال رسول الله ﷺ في مرضه: «وددْت أن عندي بعض أصحابي». فقالت عائشة: فقلتُ: يا رسول الله! أدعو لك أبا بكر؟ فأسكتَ، فعرفتُ أنه لا يريده. قلتُ: أدعو لك عمر؟ فأسكتَ، فعرفتُ أنه لا يريده. قلتُ: أدعو لك عليّاً؟ فأسكتَ، فعرفتُ أنه لا يريده. فقلتُ: فأدعو لك ابن عفان؟ قال: «نعم». فلما جاء؛ أشار إليَّ رسول الله ﷺ أن تباعدي، فجاء عثمان، فجلس إلى النبي ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يقول له ولون عثمان يتغيَّر. قال قيس[2]: فأخبرني أبو سِهْلة: لما كان يوم الدار؛ قيل لعثمان: ألا تقاتل؟ فقال: إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً، وإني صابرٌ عليه. قال أبو سهلة: فيرون أنه ذٰلك اليوم[3].

٨ ـ شهادة الخصوم لعثمان رضي الله عنه وإقامة عثمان الحجة عليهم

روى الترمذي عن عبدالرحمٰن السلمي؛ قال:

---

(١) «صحيح سنن الترمذي» (رقم ٢٩٢٢).

(٢) قيس بن حازم راوي الحديث عن أبي سهلة مولى عثمان.

(٣) «طبقات ابن سعد» (٣ / ٦٦ ـ ٦٧).

لما حُصِر عثمان؛ أشرف عليهم فوق داره، ثم قال: أذكِّركم بالله؛ هل تعلمون أن حراء حين انتفض؛ قال رسول الله ﷺ: «اثبت حراء؛ فليس عليك إلا نبيٌّ أو صدِّيق أو شهيد». قالوا: نعم. قال: أذكركم بالله؛ هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة: «من يُنفق نفقةً متقبَّلة؟»، والناس مجتهدون معسِرون، فجهزت ذلك الجيش؟ قالوا: نعم. ثم قال: أذكركم بالله؛ هل تعلمون أن رُومَة لم يكن يشرب منها أحدٌ إلا بثمن، فابتعتها، فجعلتها للغنيِّ والفقير وابن السبيل؟ قالوا: اللهم نعم، وأشياء عدَّدها[1].

وروى النسائي والترمذي والدارقطني والبيهقي عن ثمامة بن حزن القشيري؛ قال:

شهدت الدار حين أشرف عليه عثمان، فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألَّباكم[2] عليَّ؟ قال: فجيء بهما كأنهما جملان أو كأنهما حماران. قال: فأشرف عليهم عثمان، فقال: أنشدكم بالله والإسلام؛ هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يُستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه في دلاء المسلمين بخير له منها في الجنَّة»، فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر. قالوا: اللهم نعم. فقال: أنشدكم بالله والإسلام؛ هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنَّة»، فاشتريتها من صلب مالي وأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين. قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله وبالإسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم.

---

(١) «صحيح سنن الترمذي» (رقم ٢٩١٩).

(٢) حرَّضاكم عليَّ.

قال: أنشدكم بالله وبالإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة، ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرك الجبل، حتى تساقطت حجارته بالحضيض[1] قال: فركضه[2] برجله، فقال: «اسكن ثبير! فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيق وشهيدان». قالوا: اللهم نعم. قال: الله أكبر، شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد ثلاثاً[3].

هٰذا هو عثمان رضي الله عنه، تتوالى له شهادات رسول الله ﷺ بأنه المظلوم، وأنه من أهل الجنَّة، وأنه على الهدى، وأنه شهيد، فهلاَّ أيها الخائضون في عرضه - رغمت أنوفكم - كففتم ألسنتكم وتبتم إلى الله توبة نصوحاً حتى تكتب لكم النجاة.

٩ - شهادة رسول الله ﷺ بمغفرة الله لعثمان ما يكون منه:

ثم تأتي شهادة رسول الله ﷺ لتبيِّن أن الله قد غفر لعثمان ما سيكون منه، تلك الشهادة التي قالها رسول الله ﷺ خلال تجهيز جيش العسرة وقد تكفَّل به عثمان... فما الذي تريدونه أيها الخائضون؟ أتريدون أن تلقوا الله عز وجل يوم تلقونه ولا حسنة لكم؟ أما كان الأولى أن تعدُّوا سيئاتكم والله لن يضيِّع من حسناتكم شيء؟ أم أردتم أن تكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[4]؟

هٰذه الشهادة التي صدرت من المعصوم ﷺ أم أنكم وكعادتكم قبَّحكم الله تردُّون هٰذه الشهادة بأهوائكم؟

---

(١) نهاية سفح الجبل.

(٢) ضربه برجله.

(٣) «صحيح سنن الترمذي» (٢٩٢١)، «إرواء الغليل» (١٥٩٤).

(٤) الكهف: ١٠٤.

استمعوا لهٰذه الشهادة بقلوب وجلة خائفة من لقاء الله حتى لا تكونوا من القائلين على الله بلا علم.

روى أحمد والترمذي عن عبدالرحمٰن بن سمرة؛ قال:

جاء عثمان إلى النبيِّ ﷺ بألف دينار ـ قال الحسن بن واقع وفي موضع آخر من كتابي: في كمِّه[1] ـ حين جهَّز جيش العسرة، فنثرها في حجره. قال عبدالرحمٰن: فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم (مرتين)»[2].

خامساً: مقتل الحسين رضي الله عنه:

قال الحافظ في «الفتح»:

«كان مولد الحسين في شعبان سنة أربع في قول الأكثر، وقُتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بكربلاء من أرض العراق، وكان أهل الكوفة لما مات معاوية واستخلف يزيد كاتبوا الحسين بأنهم في طاعته فخرج الحسين إليهم، فسبقه عبيدالله بن زياد إلى الكوفة، فخذَّل غالب الناس عنه، فتأخَّروا رغبة ورهبة، وقُتِل ابن عمه مسلم بن عقيل، وكان الحسين قد قدَّمه قبله ليبايع له الناس، ثم جهَّز إليه عسكراً، فقاتلوه إلى أن قُتِل هو وجماعة من أهل بيته»[3].

١ ـ إخبار رسول الله ﷺ بقتل الحسين رضي الله عنه:

روى الحاكم عن أم الفضل بنت الحارث أن رسول الله ﷺ؛ قال:

«أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام، فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هٰذا

(١) ردْن القميص وطرفه.

(٢) وهو في «المشكاة» (رقم ٦٠٦٤)، وفي «صحيح سنن الترمذي» (رقم ٢٩٢٠).

(٣) «فتح الباري» (٧ / ٩٥).

(يعني: الحسين)، فقلت: هٰذا؟ فقال: نعم، وأتاني بتربة من تربته حمراء»[1].

وروى أحمد عن عائشة أو أم سلمة أن النبي ﷺ قال:

«لقد دخل عليَّ البيت مَلَكٌ لم يدخل عليَّ قبلها، فقال لي: إن ابنك هٰذا حسين مقتول، وإن شئت؛ أريتك من تربته الأرض التي يُقتَل بها»[2].

٢ ـ هو وأخوه الحسن ريحانتا رسول الله ﷺ من الدنيا:

روى البخاري والترمذي عن عبدالرحمٰن بن أبي نعم:

أن رجلاً من أهل العراق سأل ابن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب؟ فقال ابن عمر: انظر إلى هٰذا يسأل عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا»[3]!!

وفي رواية عند البخاري: سمعت عبدالله بن عمر، وسأله عن المحرم، قال شعبة: أحسبه يقتل الذباب. فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقال النبي ﷺ: «هما ريحانتاي من الدنيا»[4]!!

٣ ـ مدح عبيد الله بن زياد له وهو الآمر بقتله:

أُتي عبيدالله بن زياد برأس الحسين بن علي، فجُعل في طَسْتٍ، فجعل ينكتُ[5]، وقال في حسنه شيئاً[6]، فقال أنس: «كان أشبههم برسول الله ﷺ،

(١) «السلسلة الصحيحة» (رقم ٨٢١)، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٦١).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (رقم ٨٢٢).

(٣) وهو في «صحيح سنن الترمذي» (رقم ٢٩٦٧).

(٤) «فتح الباري» (٧ / رقم ٣٧٥٣).

(٥) يضرب برأس القضيب في أنفه. (٦) أي: من المدح.

وكان مخضوباً بالوَسْمة»[1]. هٰذه رواية البخاري[2].

وعند الترمذي عن أنس؛ قال: «كنت عند ابن زياد، فجيء برأس الحسين، فجعل يقول بقضيب في أنفه، ويقول ما رأيت مثل هٰذا حسناً، لم يُذكر». قال: «قلت: أما إنه كان من أشبههم برسول الله ﷺ»[3].

٤ ـ رؤيا ابن عباس رضي الله عنهما:

روى أحمد عن ابن عباس؛ قال:

رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم ذات يوم بنصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، فقلتُ: بأبي أنت وأمي؛ ما هٰذا؟ قال: «هٰذا دم الحسين وأصحابه، ولم أزل ألتقطه منذ اليوم»، فأحصي ذٰلك الوقت، فأجد قتل ذٰلك الوقت[4].

٥ ـ عاقبة البغي معجَّلة في الدنيا قبل الآخرة:

روى الترمذي عن عمارة بن عمير؛ قال:

«لمَّا جيء برأس عبيدالله بن زياد وأصحابه؛ نُضِدت[5] في المسجد في الرَّحبة، فانتهيت إليهم وهم يقولون: قد جاءت، قد جاءت، فإذا حيَّةٌ قد جاءت تخلَّل[6] الرؤوس حتى دخلت في منخري عبيدالله بن زياد، فمكثت هنيهة، ثم

---

(١) نبت يخضب به ويميل إلى السواد.

(٢) «فتح الباري» (٧ / رقم ٣٧٤٨).

(٣) «صحيح سنن الترمذي» (رقم ٢٩٧٣).

(٤) «مشكاة المصابيح» للتبريزي بتحقيق شيخنا (رقم ٦١٧٢).

(٥) صُفَّت وضُمَّ بعضها إلى بعض بصورة منظمة.

(٦) تمرّ من الفرج بين الرؤوس.

خرجت، فذهبت حتى تغيَّبت، ثم قالوا: قد جاءت قد جاءت، ففعلت ذٰلك مرَّتين أو ثلاثاً»[1].

فهلاَّ كان في هٰذه القصة عبرة لكل ظالم ليرعوي عن ظلمه ويتوب إلى الله!! أما سمعوا قول رسول الله ﷺ بأن عقوبة البغي معجَّلة في الدنيا قبل الآخرة؟!

روى الحاكم عن أنس؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«بابان معجَّلان عقوبتهما في الدنيا: البغي، والعقوق»[2].

* * * * *

(١) «صحيح سنن الترمذي» (رقم ٢٩٧٤).

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٢٨٠٧).

قتال المسلمين لغير المسلمين (الملاحم)

أولاً: قتال الترك وغيرهم من الأعاجم ومن نعالهم الشعر:

روى الشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ؛ قال:

«لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك: صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف[1] الأنوف، كأن وجوههم المجان[2] المطرقة[3]، وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه أن يكون له مثل أهله وماله».

وروى مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون الترك، قوماً وجوههم كالمجانّ المطرقة، يلبسون الشعر، ويمشون في الشعر»[4].

وروى البخاري عن قيس بن حازم؛ قال:

أتينا أبا هريرة رضي الله عنه، فقال: صحبت رسول الله ﷺ ثلاث سنين، لم أكن في سنيَّ أحرص على أن أعِيَ الحديث منّي فيهنَّ، سمعتُه يقول ـ وقال بيده هٰكذا ـ: «بين يدي الساعة تقاتلون قوماً نعالهم الشعر، وهو هٰذا البارز[5]

---

(١) غليظة، وقيل غير ذٰلك، قال النووي: «فطس الأنوف قصارها مع انبطاح، وقيل: هو غلظ في أرنبة الأنف».

(٢) جمع مِجَنّ، وهو الترس.

(٣) التي ألبست الأطرقة من الجلود، وهي الأغشية.

(٤) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٣٠٣).

(٥) البارزين لقتال أهل الإسلام؛ أي: الظاهرين من براز الأرض، تقول العرب: هٰذا البارز؛ إذا أشارت إلى شيء ضار.

ـ وقال سفيان مرة: وهم أهل البارز ـ»[1].

وروى البخاري عن عمرو بن تغلب؛ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بين يدي الساعة تقاتلون قوماً ينتعلون الشعر، وتقاتلون قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة»[2].

وروى أحمد وابن ماجه وابن حبان عن أبي سعيد الخدري؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً: صغار الأعين، عراض الوجوه، كأن أعينهم حدقُ[3] الجراد، كأن وجوههم المجان المطرقة، ينتعلون الشعر، ويتخذون الدَّرَق[4]، يربطون خيلهم بالنخل»[5].

وروى أحمد وأبو داود عن أبي بكرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ؛ قال:

«ينزل ناس من أمتي بغائط[6] يسمونه البصرة، عند نهر يُقال له: دجلة، يكون عليه جسرٌ، يكثر أهلها، وتكون من أمصار المسلمين، فإذا كان في آخر الزمان؛ جاء بنو قنطوراء، قوم عراض الوجوه صغار الأعين، حتى ينزلوا على شط النهر، فيتفرَّق أهلها ثلاث فرق، فرقة يأخذون أذناب البقر[7] والبريَّة وهلكوا،

(١) «فتح الباري» (٦ / رقم ٣٥٩١).

(٢) «فتح الباري» (٦ / ٣٥٩٢).

(٣) السواد المستدير وسط العين، والمقصود أنها تشبهها في الصغر.

(٤) الترس من جلد ليس فيه خشب.

(٥) «صحيح ابن ماجه» (٣٣٠٩).

(٦) المكان المنخفض من الأرض.

(٧) يتركون الجهاد يشتغلون بالحرث.

وفرقةٌ يأخذون[1] لأنفسهم وكفروا، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويُقاتلون وهم الشهداء»[2].

وروى أحمد والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكِرْمان من الأعاجم: حُمر الوجوه، فُطس الأنوف، صغار الأعين، كأن وجوههم المجانُّ المطرقة، نعالهم الشعر»[3].

المتأمل في هٰذه الأحاديث تبدو له ملاحظات هامَّة، وهي:

١ ـ يبدو ـ والله أعلم ـ أن قتال هٰؤلاء هو مما مضى؛ إلا أن يكون المقصود بقوله ﷺ: «بين يدي الساعة»؛ قريباً من قيامها.

قال النووي رحمه الله:

«وقد وُجد قتال هٰؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ: صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة، ينتعلون الشعر، فوجدوا بهٰذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات، وقتالهم الآن، ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين في أمرهم وأمر غيرهم وسائر أحوالهم، وإدامة اللطف بهم والحماية، وصلى الله على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»[4].

قال ابن كثير رحمه الله تعليقاً على حديث: «إن من أشراط الساعة أن

---

(١) أي: يطلبون الأمان من الترك.

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٨٠٢٦).

(٣) «صحيح الجامع» (٧٢٩٢).

(٤) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٣٧ و٣٨).

تقاتلوا قوماً عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة»[1]:

«والمقصود أن الترك قاتلهم الصحابة فهزموهم وغنموهم وسبوا نساءهم وأبناءهم، وظاهر هٰذا الحديث يقتضي أن يكون هٰذا من أشراط الساعة، فإن كانت أشراط الساعة لا تكون إلا بين يديها قريباً؛ فقد يكون هٰذا أيضاً واقعاً مرَّة أخرى عظيمة بين المسلمين وبين الترك، حتى يكون آخر ذٰلك خروج يأجوج ومأجوج، وإن كانت أشراط الساعة أعمَّ من أن تكون بين يديها قريباً منها؛ فإنها تكون مما يقع في الجملة، ولو تقدَّم قبلها بدهر طويل؛ إلا أنه مما وقع بعد زمن من النبي ﷺ، وهٰذا هو الذي يظهر بعد تأمُّل الأحاديث الواردة في هٰذا الباب»[2].

٢ ـ يمكن أن يكون القتال المذكور في هٰذه الأحاديث قتال أقوام يتبعون أصلاً واحداً، وهم الترك، يتفرع منهم بطون مختلفة؛ كخوز، وكرمان، وقوم نعالهم الشعر. . . وغير ذٰلك، وهٰذا ما أشار إليه النووي وابن كثير، وذكرنا كلامهما آنفاً.

إلا أن الظاهر من ترجمة البخاري في «صحيحه» أنهم أقوام مختلفون؛ فقد ترجم في «صحيحه»: «باب قتال الترك»[3]، «باب قتال الذين ينتعلون الشعر»[4].

قال الحافظ في «الفتح»:

---

(١) جزء من حديث، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٢٠١)، وهو من حديث عمرو بن تغلب، وسبق ذكره بلفظ: «بين يدي».

(٢) «نهاية البداية والنهاية» لابن كثير (١ / ١٥).

(٣) «فتح الباري» (كتاب الجهاد، ٩٥ باب قتال الترك، مجلد ٦).

(٤) «فتح الباري» (كتاب الجهاد، ٩٦ باب قتال الذين ينتعلون الشعر، مجلد ٦).

«بعض هٰذه الأحاديث ظاهر في أن الذين ينتعلون الشعر غير الترك»[1].

ثم ذكر رحمه الله تبعاً للإسماعيلي أن أصحاب بابَك الخرَّمي كانوا ينتعلون الشعر، وقال عن بابَك الخرَّمي:

«كان من طائفة من الزنادقة، استباحوا المحرَّمات، وقامت لهم شوكة كبيرة في أيام المأمون، وغلبوا على كثير من بلاد العجم كطبرستان والري، إلى أن قُتل بابك المذكور في أيام المعتصم»[2].

٣ ـ المراد ببني قنطورا الترك، أفاد ذٰلك الحافظ في «الفتح»[3].

تنبيه هام:

جاء في البخاري من حديث أبي هريرة قوله عليه الصلاة والسلام: «بين يدي الساعة تقاتلون قوماً نعالهم الشعر، وهٰذا هو البارز»[4]، ولٰكن وقع في كتاب «الجامع الصغير وزيادته» للسيوطي الحديث بلفظ: «بين يدي الساعة تقاتلون قوماً نعالهم الشعر، وهم أهل النار»[5]، رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

فعلى هٰذا؛ يكون المقصود بأهل البارز؛ أي: أنهم يدخلون النار.

ويشكل على هٰذا الفهم ما يلي:

أ ـ لم أجد من أهل العلم ـ فيما اطَّلعت عليه ـ مَن نصَّ على هٰذا اللفظ

---

(١) «فتح الباري» (٦ / ١٠٤).

(٢) «فتح الباري» (٦ / ١٠٤).

(٣) «فتح الباري» (٦ / ٦٠٩).

(٤) سبق ذكره.

(٥) «صحيح الجامع» (رقم ٢٨٥٠).

في تفسير أهل البارز بما فيهم الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري».

ب ـ لم أجد هٰذا اللفظ في البخاري بعد طول بحث وعناء، وهٰذا لا ينفي جهلي وتقصيري.

وعلى هٰذا أقول: إن ثبت الحديث بهٰذا اللفظ؛ فهو تفسير لأهل البارز؛ كما ذكرت آنفاً، ولكن يغلب على ظنِّي أنه وقع تصحيف لكلمة «البارز»، فأصبحت: «النار»، والله أعلم، وأسأل الله أن يغفر لي خطئي، ويلهمني الصواب في القول والعمل؛ إنه خير مسؤول[1].

ثانياً: قتال اليهود:

روى الشيخان والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال:

«تقاتلون اليهود، فتُسلطون عليهم، حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر، فيقول الحجر: يا عبدالله! هٰذا يهودي ورائي، فاقتله»[2].

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ؛ قال:

«لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم! هٰذا يهودي ورائي، فاقتله»[3].

وروى مسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) تنبيه: لم يذكر شيخنا حفظه الله في «صحيح الجامع» شيئاً حول هٰذا اللفظ: «وهم أهل النار»، بل تركه دون تعليق.

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٩٧٤).

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٢٩١).

«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقْتُلُهُمُ المسلمون، حتى يختبىء اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبدالله! هٰذا يهوديٌّ خلفي، فتعال فاقتله؛ إلا الغرقد[1]؛ فإنه من شجر اليهود».

نستخلص من هٰذه الأحاديث ما يلي:

١ ـ القتال بين المسلمين واليهود بهٰذه الصورة إنما يكون وقت خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام، فاتباع الدجال هم اليهود، فيقتلهم المسلمون.

قال الحافظ في «الفتح»:

«المراد بقتال اليهود: وقوع ذٰلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى، وكما وقع صريحاً في حديث أبي أمامة في قصة خروج الدجال ونزول عيسى وفيه: «... ووراء الدجال سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلًّى، فيدركه عيسى عند باب لدٍّ، فيقتله، وينهزم اليهود، فلا يبقى شيء مما يتوارى به يهوديٌّ إلا أنطق الله ذٰلك الشيء، فقال: يا عبدالله ـ للمسلم ـ! هٰذا يهودي، فتعال فاقتله؛ إلا الغرقد؛ فإنها من شجرهم»[2]»[3].

٢ ـ بين يدي الساعة تظهر آيات معجزة، فعند قتال المسلمين واليهود

---

(١) شجيرة تسمو من متر إلى ثلاثة، ساقها وفروعها بيض، تشبه العوسج في أوراقها اللحمية وفروعها الشائكة وأزهارها الطويلة العنق، عبقة الريح، بيضاء، مخضرة، وثمرتها مخروطية وتؤكل. «المعجم الوسيط».

(٢) جزء من حديث، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٧٥٢)، وسيأتي قريباً.

(٣) «فتح الباري» (٦ / ٦١٠).

تنطق النباتات والجمادات، وهي تنطق حقيقة، لا مجال لاستخدام التأويل، فالأحاديث صريحة في ذٰلك.

قال الحافظ في «الفتح»:

«وفي الحديث ظهور الآيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجرة وحجر، وظاهره أن ذٰلك ينطق حقيقة، ويحتمل المجاز، بأن يكون المراد أنه لا يفيدهم الاختباء، والأول أولى»(١).

٣ ـ يدلُّ هٰذا الحديث على أن الإسلام باقٍ إلى قُرب يوم القيامة، وهو بُشرى لنا على أن المستقبل لهٰذا الدين إن شاء الله.

قال الحافظ في «الفتح»:

«وفي الحديث أن الإسلام يبقى إلى يوم القيامة»(١).

٤ ـ الخطاب، وإن كان للصحابة رضوان الله عليهم؛ فهو عامٌّ لجميع المسلمين؛ لأن قتال اليهود الموصوف في الحديث إنما يكون في آخر الزمان.

قال الحافظ في «الفتح»:

«وفي قوله ﷺ: (تقاتلكم اليهود)(٢) جواز مخاطبة الشخص، والمراد مَن هو منه بسبيل؛ لأن الخطاب كان للصحابة، والمراد من يأتي بعدهم بدهر طويل، لكن لما كانوا مشتركين معهم في أصل الإيمان؛ ناسب أن يخاطبوا بذٰلك»(٣).

---

(١) «فتح الباري» (٦ / ٦١٠).

(٢) هٰذا لفظ البخاري والترمذي

(٣) «فتح الباري» (٦ / ٦١٠).

وقد قاتل الصحابة رضوان الله عليهم اليهود منذ عهد رسول الله ﷺ؛ لما جُبِلوا عليه من الغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق.

واليهود هم المغضوب عليهم، والضلال هم النصارى.

روى الترمذي عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ؛ قال:

«اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضلَّال»[1].

وبعد هٰذا؛ فالعجب كل العجب من أولئك الذين يسعون جاهدين دون كلل ولا ملل للصلح مع اليهود، فهلَّا قرؤوا كتاب الله وسنة رسول الله ليعرفوا من هم اليهود قبل أن يندموا ولات ساعة مندم.

ثالثاً: قتال الروم (الملحمة الكبرى):

١ ـ العلامات بين يدي الملحمة:

أ ـ خراب يثرب:

روى أحمد وأبو داود عن معاذ بن جبل؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«عمـران بيت المقـدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية، وفتح قسطنطينية خروج الدجال»[2].

ب ـ فتح جزيرة العرب وفتح فارس:

روى أحمد ومسلم وابن ماجه عن نافع بن عتبة رضي الله عنه؛ قال:

كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة. قال: فأتى النبيَّ قوم من قبل المغرب[3]

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٨٠٥٨).

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٣٩٧٥)، وفي «المشكاة» (رقم ٥٤٢٤).

(٣) يعني: مغرب المدينة.

عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمة؛ فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد. قال: فقالت لي نفسي: ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه. قال: ثم قلت: لعلَّه نجيٌّ[1] معهم، فأتيتهم، فقمتُ بينهم وبينه. قال: فحفظت منه أربع كلمات أعدُّهنَّ في يدي. قال: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله عز وجل، ثم فارس فيفتحها الله عز وجل، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله».

قال: فقال نافع: يا جابر! لا نرى أن الدجَّال يخرج حتى تفتح الروم[2].

هٰذا لفظ أحمد ومسلم، ولفظ ابن ماجه: «ستقاتلون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم تقاتلون الروم فيفتحها الله، ثم تقاتلون الدجَّال فيفتحها[3] الله. قال جابر: فما يخرج الدجال حتى تفتح الروم[4].

ج ـ الصلح الآمن بين المسلمين والروم (النصارى):

روى أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن ذي مخمر؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدوّاً من ورائكم، فتُنْصَرون وتغنمون وتسلمون، ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيرفع

---

(١) يُسِرُّ معهم الحديث.

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٢٩٦٦).

(٣) يجعله مقهوراً مغلوباً، وإلا؛ فالدجَّال لا مأوى له حتى يفتح.

تنبيه: سياق ابن ماجه: «فيفتحها الله عن الدجال»، وعند غيره: «فيفتحه الله»، وقد جاء اللفظ مفسراً عند البخاري في «التاريخ» (٨ / ٤ / ٢ / ٨٢) بلفظ: «فيفتح الله عليكم»، وهو أظهر في المعنى. «صحيح الجامع» (تعليقاً على الحديث ٢٩٦٦).

(٤) «صحيح سنن ابن ماجه» (رقم ٣٣٠٤).

رجل من أهل النصرانية الصليب، فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين، فيدقه، فعند ذٰلك تغدر الروم وتجمع للملحمة».

وزاد بعضهم:

«فيثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة»[1].

وعند غير أبي داود:

«ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدوّاً من ورائهم، فتسلمون وتغنمون، ثمَّ تنزلون بمرج ذي تلول، فيقوم رجل من الروم، فيرفع الصليب، ويقول: غلب الصليب، فيقوم إليه رجل من أهل المسلمين، فيقتله، فيغدر القوم، وتكون الملاحم، فيجتمعون لكم، فيأتونكم في ثمانين غاية[2]، مع كل غاية عشرة آلاف»[3].

وروى ابن ماجه عن عوف بن مالك الأشجعي؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«تكون بينكم وبين بني الأصفر هدنة، فيغدِرون بكم، فيسيرون إليكم في ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»[4].

(١) «مشكاة المصابيح» (رقم ٥٤٢٨).

(٢) الراية.

(٣) «صحيح الجامع» (رقم ٣٦٠٦).

(٤) «صحيح سنن ابن ماجه» (رقم ٣٣٠٥).

تنبيه: فسَّر أحد إخواننا الدعاة في خطبة جمعة الغاية بأنها الهدف، وقال: إن الروم يأتوننا تحت ستار ما يقارب مليون هدف، وهٰذا التفسير ليس بصواب، إذ إن الغاية إنما هي الراية في هٰذا الحديث.

٢ ـ فسطاط المسلمين يوم الملحمة :

روى أحمد وأبو داود والحاكم عن أبي الدرداء رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال :

«فُسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يُقال لها دمشق ، من خير مدائن الشام»[١] .

وفي رواية ثانية ؛ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرض يقال لها : الغوطة ، فيها مدينة يقال لها : دمشق ، خير منازل المسلمين يومئذ»[١] .

وروى أبو داود والحاكم عن ابن عمر ؛ قال : قال رسول الله ﷺ :

«يوشك المسلمون أن يُحاصَروا إلى المدينة ، حتى يكون أبعد مسالحهم[٢] سلاح»[٣] .

فالمعقل في الملحمة الكبرى هي دمشق ، وكذٰلك المدينة ، ويؤيد ذٰلك خروج جيش من خيار أهل المدينة لقتال الروم في الملحمة ، وسيأتي هٰذا الحديث قريباً .

٣ ـ عند وقوع الملاحم ترتفع الفتن من بين المسلمين :

روى أبو داود عن عوف بن مالك ؛ قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) «فضائل الشام ودمشق» للربعي بتحقيق شيخنا (رقم ١٥) .

(٢) موضع السلاح ، ثم أطلقت على الثغر من الثغور ، وهو المراد من الحديث ، وسَلاح اسم موضع قريب من خيبر .

(٣) «صحيح الجامع» (رقم ٨٠٣٣) .

«لن يجمع الله على هٰذه الأمة سيفين: سيفاً منها وسيفاً من عدوها»[1].

ومعنى الحديث:

«لن يجمع الله على هٰذه الأمة سيفين: أحدهما من نفسها، وهو قتال بعضهم بعضاً، والآخر من عدوها، فيؤدي ذٰلك إلى فنائها واستئصالها، ولكن عندما يقاتلهم العدو وتبدأ الملاحم؛ فإن الله يرفع الفتن من بينهم، ويجتمعون على قتال العدو».

٤ ـ تأييد الدين بالموالي عند وقوع الملاحم:

روى ابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«إذا وقعت الملاحم؛ بعث الله من دمشق بعثاً من الموالي، أكرم العرب فرساً، وأجودهم سلاحاً، يؤيد الله بهم الدين»[2].

هٰذا لفظ الحاكم، وليس عند ابن ماجه: «من دمشق».

٥ ـ كيف تكون الملحمة الكبرى:

روى مسلم عن يُسَيْر بن جابر؛ قال:

هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجّيرى[3] إلا: يا عبدالله بن مسعود! جاءت الساعة. قال: فقعد، وكان متّكئاً، فقال: «إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقْسَم ميراث، ولا يُفْرَح بغنيمة (ثم قال بيده هٰكذا، ونحّاها نحو الشام،

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٥٠٩٧).

(٢) «فضائل الشام ودمشق» (رقم ٢٨).

(٣) أي: شأنه ودأبه أن يقول ذٰلك.

فقال:) عدوٌّ يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام (وفي رواية: عدوٌّ يجمعـون لأهل الشام)». قلت: الروم تعني؟ قال: «نعم، وتكون عند ذاكم القتال رَدَّة[1] شديدة، فيشترط المسلمون شرطة[2] للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هٰؤلاء وهٰؤلاء كلٌّ غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شُرْطةً للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجُـز بينهم الليل، فيفيء هٰؤلاء وهٰؤلاء كلٌّ غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطةً للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يُمسوا، فيفيء هٰؤلاء وهٰؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع؛ نهد إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدَّبَرة[3] عليهم، فيَقْتُلون مَقْتَلَةً (إما قال: لا يرى مثلها، وإما قال: لم ير مثلها)، حتى إن الطائر ليمر بجَنَباتهم[4]، فما يُخَلِّفهم[5] حتى يخـرَّ ميتاً، فيتعادُّ بنو الأب كانوا مائةً، فلا يجدون بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقاسم، فبينما هم كذٰلك؛ إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذٰلك، فجاءهم الصريخ أن الدجَّال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم، ويُقبلون، فيبعثون عَشَرة فوارس طليعة». قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ»[6].

---

(١) عطفةٌ قوية.

(٢) طائفة من الجيش تقدم للقتال.

(٣) الهزيمة، وضبطها النووي بالياء، والمعنى واحد.

(٤) نواحيهم.

(٥) يجاوزهم.

(٦) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٢٤ و٢٥)، وهو في «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٢٧).

وروى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق[1] أو بدابق[1]، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافُّوا؛ قالت الروم: خلُّوا بيننا وبين الذين سُبُوا[2] منَّا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله؛ لا نُخَلِّي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله[3] عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علَّقوا سيوفهم بالزيتون؛ إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذٰلك باطل، فإذا جاؤوا الشام؛ خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوُّون الصفوف؛ إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم ﷺ، فأمَّهم، فإذا رآه عدو الله؛ ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه؛ لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته»[4].

وروى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة: أن النبيَّ ﷺ قال:

«سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر». قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق،

---

(١) موضعان قريبان من حلب.

(٢) قال النووي: «روي سبوا بفتح السين والباء وضمهما، وكلاهما صواب؛ لأنهم سُبوا أولاً، ثم سَبوا الكفار، وهٰذا موجود في زماننا، بل ومعظم عساكر الإسلام في بلاد الشام ومصر سُبوا ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار وقد سبوهم في زماننا مراراً كثيرة، يسبون في المرة الواحدة من الكفار ألوفاً، ولله الحمد على إظهار الإسلام وإعزازه».

(٣) لا يلهمهم التوبة.

(٤) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٢٩).

فإذا جاؤوها؛ نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم. قالوا: لا إلٰه إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها ـ قال ثور[1]: لا أعلمه إلا قال: الذي في البحر ـ، ثم يقولوا الثانية: لا إلٰه إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إلٰه إلا الله والله أكبر، فيفرَّج لهم، فيدخلوها، فيغنموا، فبينما هم يقتسمون المغانم، إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون»[2].

من خلال هٰذه الأحاديث يكون ترتيب الأحداث كما يلي، والله أعلم:

أ ـ يحدث الصلح الآمن بيننا وبين الروم ـ وهم النصارى ـ، ونقاتل نحن وهم عدوّاً من ورائنا أو ورائهم كما جاءت بذٰلك الروايات.

ب ـ وعلى عادة الكفار؛ فإنهم ينسبون ما حدث من نصر خلال المعارك لهم، ويكون ذٰلك بأن يرفع أحدهم الصليب؛ ليثير حفيظة المسلمين ويحدث ذٰلك.

ج ـ يثور رجل من المسلمين، فيقتل رافع الصليب ويكسره، فيتخذ النصارى ذٰلك ذريعة للغدر.

د ـ تبدأ الملاحم باستشهاد عصبة المسلمين على أيدي النصارى، ويبدؤون بجمع جموعهم لقتال المؤمنين، فيأتون تحت ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً.

هـ ـ يكون مركز تجمع المسلمين الرئيسي بالغوطة، ومركز تجمع الروم بالقرب من حلب، إما بالأعماق أو دابق، وإنما يُحرز الروم هٰذه الأماكن من بلاد

(١) أحد رواة الحديث، وهو ابن زيد الديليُّ.

(٢) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠١٤).

المسلمين في ذٰلك الوقت بسبب الصلح الآمن الذي يكون بيننا وبينهم.

و ـ يبدأ القتال بين المسلمين والروم لمدة ثلاثة أيام دون غلبة لأحد يُباد خلالها معظم جيش المسلمين.

ز ـ يأتي في اليوم الرابع بقيَّة أهل الإسلام، وهو ـ والله أعلم ـ الجيش الذي يخرج من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ.

ح ـ يطلُب الروم عند مقابلة هٰذا الجيش أن لا يتدخَّل في القتال، وأن الروم يريدون فقط قتال من سبوا منهم، وهم أهل الشام وأهل مصر؛ كما أفاد النووي.

ط ـ يرفض جيش المدينة هٰذا الطلب، ويقولون: لا نتخلَّى عن إخواننا، فيحدث بينهم القتال، فينقسم جيش المدينة ثلاثة أقسام:

ـــ قسم ينهزم، وهو الثلث، فلا يلهمون التوبة أبداً.

ـــ قسم يستشهد، وهو الثلث، وهم أفضل الشهداء عند الله.

ـــ قسم ـ وهو الثلث الأخير ـ يفتح الله على أيديهم لا يفتنون أبداً.

ي ـ تكون نتيجة الملحمة ما يلي:

ـــ مقتلة عظيمة للنصارى، فتملأ جثثهم الأرض، وكذٰلك زهمهم[1].

ـــ فناء معظم جيش المسلمين، بحيث لا يبقى من كل مئة إلا واحداً.

ـــ فتح قسطنطينية على يد من تبقَّى من جيش المسلمين، وعددهم سبعون ألفاً.

ـــ ترك المسلمين اقتسام الغنائم بعد أن بدؤوا بذٰلك؛ لأن الشيطان لعنه

---

(١) رائحتهم الكريهة المنتنة.

الله يصيح فيهم زاعماً أن الدجّال خرج، وهٰذا غير صحيح، إذ إنه يخرج بعد عودتهم إلى الشام، وسيأتي ذٰلك في بحث الدجال إن شاء الله.

هٰذا ما بدا لي من خلال هٰذه الأحاديث، فإن أصبت؛ فمن الله وحده لا شريك له، وإن أخطأت؛ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان مما أقول.

تنبيهات:

١ ـ ورد في الحديث أن الذين يفتتحون قسطنطينية هم من بني إسحاق.

قال النووي:

«قال القاضي: كذا هو في جميع أصول «صحيح مسلم»: «من بني إسحاق»، قال بعضهم: المعروف المحفوظ: «من بني إسماعيل»، وهو الذي يدلُّ عليه الحديث وسياقه؛ لأنه إنما أراد العرب، وهٰذه المدينة هي القسطنطينية»[1].

ولابن كثير رحمه الله رأي آخر، فقال تعليقاً على حديث: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس»، وما ذكره عمرو بن العاص من صفاتهم، فقال:

«وهٰذا يدلُّ على أن الروم يُسلمون في آخر الزمان، ولعلَّ فتح القسطنطينية على يدي طائفة منهم؛ كما نطق به الحديث المتقدم أنه يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق».

ثم قال:

«فالروم يكونون في آخر الزمان خيراً من بني إسرائيل؛ فإن الدجال يتبعه

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٤٣ ـ ٤٤ / حاشية).

سبعون ألفاً من يهود أصبهان، فهم أنصار الدجَّال، وهٰؤلاء ـ أعني: الروم ـ قد مدحوا في هٰذا الحديث، فلعلَّهم يسلمون على يدي المسيح ابن مريم عليهما السلام، والله أعلم»[1].

٢ ـ الملاحظات التي أبديتها عند ترتيب الأحداث باعتبار أن الملحمة ملحمة واحدة، وقد تكون ملاحم متعدِّدة، والله أعلم.

*****

(١) «نهاية البداية والنهاية» (١ / ٧٨).

المبحث الرابع

أشراط متفرقة

هناك أشراط عامة متفرِّقة، تبدو مستقلَّة عن الأشراط التي ذكرناها، وإن كانت على صلة وثيقة بها.

وسأستعرض هٰذه الأشراط بصورة عامة؛ فقد يشمل حديث رسول الله ﷺ أكثر من شرط منها؛ كما أن بعضها سبق ذكره في الكلام عن أشراط أخرى، فلا أعيده مرَّة أخرى.

ومن هٰذه الأشراط:

١ ـ تسليم الخاصة (السلام على المعرفة):

روى أحمد والطبراني عن ابن مسعود؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن من أشراط الساعة: إذا كانت التحية على المعرفة»[1].

وفي رواية عند أحمد أيضاً: «إن من أشراط الساعة أن يسلِّم الرجل على الرجل لا يسلِّم عليه إلا للمعرفة»[1].

٢ ـ المرور في المساجد واتِّخاذها طريقاً وعدم الصلاة فيها:

روى ابن خزيمة في «صحيحه» عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن من أشراط الساعة: أن يمر الرجل في المسجد لا يصلِّي فيه ركعتين»[2].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (٢ / ٦٤٨).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (٢ / ٦٤٩).

وروى الطبراني عن ابن مسعود؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أشراط الساعة أن يمرَّ الرجل في المسجد لا يصلِّي فيه ركعتين، وأن لا يسلِّم الرجل إلا على من يعرف»[1].

٣ ـ التباهي في المساجد:

روى أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة عن أنس: أن النبي ﷺ قال:

«من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد»[2].

وفي رواية: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»[3].

قال المناوي في «الفيض»:

«أي: يتفاخرون بتشييدها ويراؤون بتزيينها، كما فعل أهل الكتاب بعد تحريف دينهم، وأنتم تصيرون إلى حالهم، فإذا صرتم كذلك؛ فقد جاء أشراطها، وقد كان المسجد على عهد النبي ﷺ مبنيٌّ باللبن، وسقفه الجريد، وعَمَدُه جذوع النخل، فزاد فيه عمر، فبناه على بناء النبي ﷺ، ثم غيَّر فيه عثمان، فزاد فيه وبنى جُدُرَه وعمده بحجارة وسقفه بالساج، ذكره الطيبي، ثم قال رحمه الله: وذهب الجمهور إلى كراهية نقش المسجد وتزويقه، وذهب شرذمة إلى عدم كراهته؛ لأن المصطفى لم يذمَّ ذلك، وما كل علامة على قرب الساعة تكون مذمومة، بل ذكر لها أموراً ذمَّها؛ كارتفاع الأمانة، وأموراً حمدها؛ كزخرفة المساجد، وأموراً لا تُحمد ولا تذم؛ كنزول عيسى، فليس كل أشراط

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٥٧٧٢).

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٥٧٧١).

(٣) «صحيح الجامع» (رقم ٧٢٩٨).

الساعة من الأمور المذمومة»[1].

قلت[2]: كيف تكون زخرفة المساجد محمودة وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك في أكثر من حديث، بل وتوعَّد عليه الصلاة والسلام أمَّته بالدَّمار إن فعلت ذلك، والأمة حين تفعل ذلك؛ فهي تتشبه باليهود والنصارى:

روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما أُمِرْتُ بتشييد المساجد».

قال ابن عباس:

«لتزخرِفُنَّها كما زخرفت اليهود والنصارى»[3].

قال المناوي رحمه الله:

«أي: ما أُمِرْتُ برفع بنائها، ليجعل ذريعة إلى الزخرفة والتزيين، الذي هو من فعل أهل الكتاب، وفيه نوع توبيخ وتأنيب. قال البغوي: التشييد: رفع البناء وتطويله، وإنما زخرفت اليهود والنصارى معابدها حين حرَّفوا كتبهم وبدَّلوها».

ثم قال رحمه الله:

«قال ابن بطال وغيره: فيه دلالة على أن السنة في بنيان المساجد القصد، وترك الغلوّ في تحسينه، وقد كان عمر مع كثرة الفتوح في أيامه وسعة المال عنده لم يُغيِّر المسجد عما كان عليه، وأول من زخرف المساجد الوليد بن عبدالملك،

(١) «فيض القدير» (٦ / ٩).

(٢) أي: المؤلف.

(٣) «صحيح الجامع» (رقم ٥٢٦٤)، وفي «سنن أبي داود» (١ / رقم ٤٤٨).

وسكت كثير من السلف عنه خوف الفتنة»[1].

وروى الحكيم الترمذي وكذا ابن المبارك في «الزهد» عن أبي الدرداء؛ قال:

«إذا زخرفتم مساجدكم، وحلَّيتم مصاحفكم، فالدَّمار عليكم»[2].

قال المناوي:

«زخرفة المساجد وتحلية المصاحف منهيٌّ عنها؛ لأن ذٰلك يشغل القلب ويلهي عن الخشوع والتدبُّر والحضور مع الله تعالى، والذي عليه الشافعية أن تزويق المسجد ـ ولو الكعبة ـ بذهب أو فضة حرام مطلقاً، وبغيرهما مكروه»[3].

٤ ـ ظهور القلم وفشوّ التجارة وشهادة الزور وكتمان شهادة الحق:

روى أحمد عن طارق بن شهاب؛ قال:

كنَّا عند عبد الله جلوساً، فجاء رجل، فقال: قد أُقيمت الصلاة، فقام وقمنا معه، فلما دخلنا المسجد؛ رأينا الناس ركوعاً في مقدَّم المسجد، فكبَّر وركع، وركعنا، ثمَّ مشينا وصنعنا مثل الذي صنع، فمرَّ رجل يسرع، فقال: عليك السلام يا أبا عبدالرحمٰن. فقال: صدق الله ورسوله. فلما صلينا ورجعنا؛ دخل إلى أهله، جلسنا، فقال بعضنا لبعض: أما سمعتم ردَّه على الرجل:

---

(١) «فيض القدير» (٥ / ٤٢٦).

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٥٩٩)، وهو حديث موقوف، ولكنه في حكم المرفوع؛ لأنه لا يُقال من قبيل الرأي.

(٣) «فيض القدير» (١ / ٣٦٦).

تنبيه: ستصدر لأخينا حسين العوايشة سلسلة كتب تحت عنوان «نظرات في الأحاديث»، والأول منها تحت عنوان «زخرفة المساجد وتحلية المصاحف»، يسر الله صدورها.

صدق الله وبلّغت رسله؟ أيكم يسأله؟ فقال طارق: أنا أسأله، فسأله حين خرج؟ فذكـر عن النبي ﷺ أنـه قال: «إن بين يدي الساعة تسليم الخاصّة، وفشوّ[1] التجارة، حتى تُعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم»[2].

٥ ـ قطع الأرحام، الفحش والتفحش، تخوين الأمين وائتمان الخائن.

روى أحمـد والبـزار عن ابن عمرو والبزار والطبراني في «الأوسط» عن أنس: أن رسول الله ﷺ؛ قال:

«مِن أشراط الساعة: الفحش[3]، والتفحُّش[4]، وقطيعة الرحم، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن»[5].

٦ ـ استفاضة المال:

روى أحمد والشيخان والنسائي عن حارثة بن وهب؛ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«تصدَّقوا؛ فسيأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته، فيقول الذي يأتيه بها: لو جئت بها بالأمس؛ لقبلتها، فأما الآن؛ فلا حاجة لي فيها، فلا يجد من يقبلها»[6].

---

(١) أي: ظهورها وانتشارها.

(٢) «السلسلة الصحيحة» (٢ / ٦٤٧).

(٣) قبح المقال، وسيىء الفعال.

(٤) إظهار قبح المقال وسيىء الفعال.

(٥) «صحيح الجامع» (رقم ٥٧٧٠).

(٦) «صحيح الجامع» (رقم ٢٩٤٧).

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال النبي ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يكثُرَ فيكم المال، فيفيضَ، حتى يَهُمَّ[1] ربُّ المال مَن يقبَلُ صدقتَهُ، وحتى يَعْرِضَهُ فيقولَ الذي يعرضه عليه: لا أربَ لي فيه[2]»[3].

وروى الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ؛ قال:

«ليأتينَّ على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحداً يأخذها منه، ويُرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلُذْنَ به من قلَّة الرجال وكثرة النساء»[4].

لماذا يزهد الناس بالمال؟!

قال الحافظ في «الفتح»:

«يقع ذٰلك في الزمان الذي يستغني فيه الناس عن المال: إما لاشتغال كل منهم بنفسه عند طروق الفتنة، فلا يلوي على الأهل، فضلاً عن المال، وذٰلك في زمن الدجَّال، وإما بحصول الأمن المفرط والعدل البالغ، بحيث يستغني كل أحد بما عنده عما في يد غيره، وذٰلك في زمن المهدي وعيسى بن مريم، وإما عند خروج النار التي تسوقهم إلى المحشر، فيعزُّ حينئذ الظهر، وتُباع الحديقة بالبعير الواحد، ولا يلتفت أحد حينئذ إلى ما يثقله من المال، بل يقصد نجاة نفسه، ومن يقدر عليه من ولده وأهله، وهٰذا أظهر الاحتمالات»[5].

---

(١) يقلقه ويحزنه.

(٢) لا حاجة لي به لاستغنائي عنه.

(٣) «صحيح الجامع» (رقم ٧٣٠٧).

(٤) «صحيح الجامع» (رقم ٥٢٢١).

(٥) «فتح الباري» (١٣ / ٨٢).

وقال رحمه الله:

«قوله: (وحتى يكثر فيكم المال فيفيض)؛ يشعر بأنه محمول على زمن الصحابة، فيكون إشارة إلى ما وقع من الفتوح، واقتسامهم أموال الفرس والروم، ويكون قوله: (فيفيض حتى يَهُمَّ رب المال)؛ إشارة إلى ما وقع في زمن عمر بن عبدالعزيز؛ فقد وقع في زمنه أن الرجل كان يعرض ماله للصدقة، فلا يجد من يقبل صدقته، ويكون قوله: (وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به)؛ إشارة إلى ما سيقع في زمن عيسى بن مريم، فيكون في هٰذا الحديث إشارة إلى ثلاثة أحوال:

الأولى: إلى كثرة المال فقط، وقد كان ذٰلك في زمن الصحابة، ومن ثَمَّ قيل فيه: (يكثر فيكم).

الثانية: الإشارة إلى فيضه من الكثرة، بحيث أن يحصل استغناء كل أحد عن أخذ مال غيره وكان ذٰلك في آخر عصر الصحابة وأول عصر مَن بعدهم ومن ثَمَّ قيل: (يهمّ رب المال)، وذٰلك ينطبق على ما وقع في زمن عمر بن عبدالعزيز.

الثالثة: الإشارة إلى فيضه وحصول الاستغناء لكل أحد حتى يهتم صاحب المال بكونه لا يجد من يقبل صدقته، ويزداد بأنه يعرضه على غيره، ولو كان ممَّن لا يستحق الصدقة، فيأبى أخذه، فيقول: لا حاجة لي فيه، وهٰذا في زمن عيسى عليه السلام ﷺ ويحتمل أن يكون هٰذا الأخير خروج النار، واشتغال الناس بأمر الحشر، فلا يلتفت أحدٌ إلى المال، بل يقصد أن يتخفَّف ما استطاع»[1].

---

(١) «فتح الباري» (١٣ / ٨٧ و٨٨).

٧ ـ الحكم في غير قريش:

روى الشيخان عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»[١].

وروى مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجلٌ يقال له: الجهجاه»[٢].

ولفظ الترمذي: «لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجلٌ من الموالي يُقال له: جهجاه»[٣].

قال الحافظ رحمه الله:

«قال القرطبي في «التذكرة»: قوله: (يسوق الناس بعصاه)؛ كناية عن غلبته عليهم، وانقيادهم له، ولم يُرد نفس العصا، لكن في ذكرها إشارة إلى خشونته عليهم وعسفه بهم. قال: وقد قيل: إنه يسوقهم بعصاه حقيقة؛ كما تساق الإبل والماشية؛ لشدة عنفه وعدوانه. قال: ولعلَّه جهجاه المذكور في الحديث الآخر، وأصل الجهجاه الصياح، وهي صفة تناسب ذكر العصا».

قال الحافظ:

«قلت: يردُّ هٰذا الاحتمال الذي أورده القرطبي إطلاق كونه من قحطان، فظاهره أنه من الأحرار، بينما تقييده في جهجاه بأنه من الموالي»[٤].

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٧٣٠٢).

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٧١٥١).

(٣) «صحيح الجامع» (رقم ٧٥٦١).

(٤) «فتح الباري» (١٣ / ٧٨).

قلت[1]: الاحتمال الذي أورده القرطبي قائم، وذٰلك لأنه يمكن أن يُطلق على المولى نسبة مولاه المُعتق، فلا يبعد أن يكون الجهجاه مولى لرجل من قحطان، فأطلق عليه أنه رجل من قحطان.

ففي الحديث الذي رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال:

«مولى القوم من أنفسهم»، أو كما قال[2].

وكان موالي أهل البيْت يحرمون من الصدقة.

روى أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي والحاكم عن أبي رافع:

أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً من بني مخزوم على الصدقة، فقال لأبي رافع: اصحبْني كيما تصيب منها. فقال: لا، حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله، وانطلق إلى النبي ﷺ، فسأله؟ فقال: «إن الصدقة لا تحلُّ لنا، وإن موالي القوم من أنفسهم»[3].

قال المناوي:

«قال النووي في «التهذيب» في هٰذا الحديث: سواء كان مولى عتاقة وهو الأكثر أو مولى حلف ومناصرة أو مولى إسلام بأن أسلم على يد واحد من قبيلة؛ كالبخاري مولى الجعفيين، أسلم على يد أحدهم، وقد يَنْسِبون إلى القبيلة مولى مولاها؛ كأبي الحباب الهاشمي مولى شقران مولى رسول الله ﷺ».

---

(١) أي: المؤلف.

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٦٥١٣).

(٣) «صحيح سنن الترمذي» (٥٣١).

ثم قال المناوي:

«إذا لم يكن مولى عتاقة؛ فالمراد: من أنفسهم في الإكرام والاحترام، وقيل: المراد: من أنفسهم في حكم الحل والحرمة؛ كمولى القرشي، لا تحل له الصدقة، وقيل: القصد بذلك جواز نسبة العبد إلى مولاه بلفظ النسبة»[1].

تنبيه:

ترجم البخاري لهذا الحديث بقوله: «باب تغيُّر الزمان حتى تعبد الأوثان».

قال الحافظ:

«قال الإسماعيلي: ليس هذا الحديث[2] من ترجمة الباب في شيء، وذكر ابن بطال أن المهلَّب أجاب بأن وجهه أن القحطاني إذا قام وليس من بيت النبوة ولا من قريش الذين جعل الله فيهم الخلافة؛ فهو من أكبر تغيُّر الزمان وتبديل الأحكام بأن يُطاع في الدين من ليس أهلاً لذلك».

قال الحافظ:

«واستُدِلَّ بقصة القحطاني عن أن الخلافة يجوز أن تكون في غير قريش، وأجاب ابن العربي بأنه إنذار بما يكون من الشر في آخر الزمان من تسوُّر العامَّة على منازل الاستقامة، فليس فيه حجَّة على المدَّعى، ولا يعارض ما ثبت من أن الأئمة من قريش»[3].

---

(١) «فيض القدير» (٦ / ٢٤٧).

(٢) أي: حديث خروج رجل من قحطان يسوس الناس بعصاه

(٣) «فتح الباري» (١٣ / ٧٨).

٨ ـ انحسار الفرات عن جبل من ذهب:

أ ـ اقتتال الناس عليه اقتتالاً يفضي إلى النار:

روى مسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتَتِل الناس عليه، فيُقتل من كل مئة تسعة وتسعون؛ يقول كل رجل منهم: لعلِّي أكون أنا الذي أنجو»(١).

ب ـ الطمع في الدنيا وتحريش الشيطان بينهم يُفضي إلى القتال:

روى أحمد ومسلم عن عبدالله بن الحارث بن نوفل؛ قال:

كنت واقفاً مع أبي بن كعب، فقال: لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا. قلت: أجل. قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يوشك الفرات أن يَحْسِر عن جبل من ذهب، فإذا سمع به الناس؛ ساروا إليه، فيقول مَن عِنْدَه: لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبُنَّ به كلّه. قال: فيقتتلون عليه، فيُقْتَلُ من كل مئة تسعة وتسعون»(٢).

ج ـ النهي عن الأخذ منه عند حضوره:

روى الشيخان وأبو داود عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك الفرات أن يحسِرَ عن جبل من ذهب، فمَن حضره؛ فلا يأخذ منه شيئاً»**(٣).

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٧٣٠٠).

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨ / ١٩).

(٣) «صحيح الجامع» (رقم ٨٠٣٢).

٩ ـ ولادة الأمة ربتها، الحفاة العراة رؤوس الناس، تطاول رعاء البهم في البنيان:

روى أحمد والشيخان وابن ماجه عن أبي هريرة؛ قال:

كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه رجل، فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث». قال: ما الإسلام؟ قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك». قال: متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربَّتها[1]، وإذا تطاول رعاة الإبل البهْم[2] في البنيان، في خمس لا يعلمهنَّ إلا الله، (ثم تلا النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾)»، ثم أدبر، فقال: «ردُّوه»، فلم يروا شيئاً، فقال: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»[3].

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة: «ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربَّها؛ فذاك من أشراطها، وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس[4]؛ فذاك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء البهم[5] في البنيان؛ فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهنَّ إلا الله، (ثم تلا ﷺ: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا في الأَرْحَامِ . . .﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ

---

(١) مالكها وسيدها.

(٢) السود من الإبل.

(٣) «فتح الباري» (١ / رقم ٥٠).

(٤) ملوك الأرض.

(٥) هي الصغار من أولاد الغنم: الضأن والمعز جميعاً.

خَبِيرٌ﴾))»[1].

قال الحافظ في «الفتح»:

«(إذا ولدت الأمة ربَّها أو ربَّتها)؛ فيه أربعة أقوال:

الأول ـ قاله الخطابي ـ: معناه اتساع الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبي ذراريهم، فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها؛ كان الولد منها بمنزلة ربِّها؛ لأنه ولد سيدها.

قال النووي وغيره: إنه قول الأكثرين.

قلت (أي: الحافظ): لكن في كونه المراد نظر؛ لأن استيلاد الإماء كان موجوداً حين المقالة، والاستيلاء على بلاد الشرك وسبي ذراريهم واتخاذهم سراري وقع أكثره في صدر الإسلام، وسياق الكلام يقتضي الإشارة إلى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة.

الثاني: أن تبيع السادات أمهات أولادهم، ويكثر ذٰلك، فيتداول الملاَّك المستولدة، حتى يشتريها ولدها ولا يشعر بذٰلك، وعلى هٰذا؛ فالذي يكون من الأشراط: غلبة الجهل بتحريم بيع أمهات الأولاد، أو الاستهانة بالأحكام الشرعية.

الثالث: من نمط الذي قبله. قال النووي: لا يختص شراء الولد أمَّه بأمهات الأولاد، بل يتصور في غيرهن، بأن تلد الأمة حرّاً من غير سيدها بوطء شبهة أو رقيقاً بنكاح أو زنى، ثم تباع الأمة في الصورتين بيعاً صحيحاً، وتدور في الأيدي حتى يشتريها ابنها أو ابنتها.

---

(١) «مختصر مسلم» (رقم الحديث ٢)

الرابع: أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أمَّه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام، فأطلق عليه ربها مجازاً لذلك، أو المراد بالرب المربي، فيكون حقيقة، وهذا هو أوجه الأوجه عندي لعمومه»[1].

أما تطاول رعاء الإبل البهم بالبنيان، وأن يكون الحفاة العراة رؤوس الناس؛ فقال الحافظ:

«قال القرطبي: المقصود الإخبار عن تبدُّل الحال بأن يستولي أهل البادية على الأمر، ويتملَّكوا البلاد بالقهر، فتكثر أموالهم، وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به، وقد شاهدنا ذلك في هذه الأزمان»[2].

قلت: فماذا يقول القرطبي رحمه الله لو كان رأى البلاد الإسلامية كحالها اليوم، وخاصة بلاد الشام ودول الخليج، فماذا كان يقول؟!

١٠ ـ تغيير المظاهر لإخفاء الحقيقة (الخضب بالسواد):

روى أبو داود والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«يكون في آخر الزمان قوم يخضبون[3] بالسواد كحواصل[4] الحمام لا يريحون رائحة الجنة»[5].

قال الحافظ في «الفتح»:

---

(١) «فتح الباري» (١ / ١٢٢ و١٢٣)

(٢) «فتح الباري» (١ / ١٢٣).

(٣) يصبغون.

(٤) صدور الحمام، والمراد في صغرها ولونها الأ البهيم

(٥) «صحيح الجامع» (رقم ٨٠٠٩).

«اختار النووي أن الصبغ بالسواد يُكرهُ كراهية تحريم»[1].

وقال أيضاً:

«وقد رخَّص طائفة من السلف بالخضب بالسواد، واختاره ابن أبي عاصم في كتاب «الخضاب» له، وأجاب عن حديث ابن عباس رفعه: «يكون قوم يخضبون بالسواد لا يجدون ريح الجنَّة»: بأنه لا دلالة فيه على كراهية الخضاب بالسواد، بل فيه الإخبار عن قوم هٰذه صفتهم، وأجاب عن حديث جابر: «جنِّبوه السواد»[2]: بأنه في حقِّ مِن صار شيب رأسه مستبشعاً، ولا يطَّرد ذٰلك في حق كل أحد».

قال الحافظ:

«وما قاله خلاف ما يتبادر من سياق الحديثين»[3].

١١ ـ عدم حج البيت:

روى الحاكم وابن حبان وأبو يعلى في «مسنده» عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى لا يُحجَّ البيت»[4].

---

(١) «فتح الباري» (٦ / ٤٩٩).

(٢) يشير بذٰلك لحديث مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما؛ قال: «أُتِي بأبي قُحافة رضي الله عنه يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة[أ] بياضاً، فقال رسول الله ﷺ: «غيِّروا هٰذا بشيء واجتنبوا السواد» «مختصر مسلم» (رقم ١٣٤٧).

(٣) «فتح الباري» (١٠ / ٣٥٤ و٣٥٥).

(٤) «صحيح الجامع» (رقم ٧٢٩٦).

(أ) نبت أبيض الزهر والثمر.

وروى أحمد والبخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَيُحَجَّنَّ هٰذا البيت، ولَيُعْتَمَرَنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج»(١).

قال ابن كثير رحمه الله:

«ولا منافاة في المعنى بين الروايتين؛ لأن الكعبة يحجها الناس ويعتمرون بها بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم وطمأنينة الناس وكثرة أرزاقهم في زمان المسيح عليه السلام، ثم يبعث الله ريحاً طيِّبة، فيقبض بها روح كل مؤمن، ويُتوفَّى نبي الله عيسى عليه السلام، ويصلِّي عليه المسلمون، ويُدفن بالحجرة النبويَّة مع رسول الله ﷺ، ثم يكون خراب الكعبة على يدي ذي السويقتين بعد هٰذا، وإن كان ظهوره في زمن المسيح»(٢).

١٢ ـ عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً:

روى مسلم وأحمد والحاكم عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً».

وقد علَّق شيخنا على هٰذا الحديث، فقال حفظه الله:

«وقد بدأت تباشير هٰذا الحديث تتحقَّق في بعض الجهات من جزيرة العرب بما أفاض الله عليها من خيرات وبركات وآلات ناضحات تستنبط الماء الغزير من بطن أرض الصحراء، وهناك فكرة بجرِّ نهر الفرات إلى الجزيرة كنا قرأناها في بعض الجرائد المحلِّيَّة، فلعلَّها تخرج إلى حيِّز الوجود، وإن غداً لناظره قريب».

---

(١) «صحيح الجامع» (٥٢٣٧).

(٢) «نهاية البداية والنهاية» (١ / ١٨٦).

١٣ ـ وضع[1] الأخيار، ورفع[1] الأشرار، وإظهار القِول، وترك العمل، وعدم إظهاره:

روى الحاكم عن عمرو بن قيس السكوني؛ قال:

خرجت مع أبي في الوفد إلى معاوية، فسمعت رجلاً يحدث الناس؛ يقول: «إن من أشراط الساعة أن: ترفع الأشرار، وتوضع الأخيار، وأن يخزن[2] الفعل والعمل، ويظهر القول، وأن يُقرأ بالمثناة في القوم ليس فيهم من يغيِّرها أو ينكرها»، فقيل: وما المثناة؟ قال: «ما اكتتب سوى كتاب الله عز وجل»، فقال: فحدَّثت بهٰذا الحديث قوماً، وفيهم إسماعيل بن عبيدالله، فقال: أنا معك في ذٰلك المجلس، تدري من الرجل؟ قلت: لا. قال: عبدالله بن عمرو[3].

قال شيخنا حفظه الله:

«وكأنه لذٰلك كان الإمام أحمد رحمه الله ـ حرصاً منه على إخلاص الاتباع للكتاب والسنة ـ يكره وضع الكتب التي تشتمل على التفريع والرأي[4]؛ خشية إيثار الناس لها على الكتاب والسنة عند الاختلاف، ويجعلونه معياراً عليهما، وكان الواجب اتباع الكتاب والسنَّة؛ كما تقضي بذٰلك الأدلَّة، وكما توجب ذٰلك عليهم أقوال أئمتهم، وأن ينضموا إلى مَن كان الكتاب والسنة معه من المذاهب الأخرى، ولكنهم ـ مع الأسف الشديد ـ ظلُّوا متنازعين

---

(١) أي: يعلي الناس منزلة الأشرار، ويخفضون منزلة الأخيار؛ كما هو مشاهد اليوم.

(٢) عدم إظهاره، أو عدم العمل بالقول والفعل.

(٣) «مستدرك الحاكم» (٤ / ٥٥٤ ـ ٥٥٥).

(٤) ابن الجوزي في «مناقب أحمد» (ص ١٩٢)؛ نقلاً عن «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام» (ص ٨٠).

مختلفين»[1].

١٤ ـ التسافد على قارعة الطريق كالحمير:

روى البزار في «مسنده» وابن حبان في «صحيحه» عن عبدالله بن عمرو؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا[2] في الطريق تسافدَ الحمير». قلت: إن ذٰلك لكائن؟ قال: «نعم ليكونن»[3].

وقد ترجم شيخنا لهٰذا الحديث بقوله:

«هل جاء زمانه؟».

١٥ ـ تمنِّي الموت بسبب الفتن لا حبّاً في لقاء الله عزَّ وجلَّ:

عندما تشتد الفتن، ويشتد البلاء، ويفشو الجهل؛ يتمنى الناس الموت، وليس التمنِّي لأنهم يحبون لقاء الله، ولكن لما يلقون من البلاء، حتى يتمنى أحدهم أن يكون هو الميت بدل أصحاب القبور.

روى أحمد عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه، ما به حب لقاء الله عزَّ وجلَّ»[4].

---

(١) «الحديث حجة بنفسه» لشيخنا الألباني (ص ٨٠).

(٢) التسافد: الجماع علانية؛ أي: يجامع الرجاء النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذٰلك.

(٣) «السلسلة الصحيحة» (١ / رقم ٤٨١).

(٤) «السلسلة الصحيحة» (٢ / رقم ٥٧٨).

وأخرجه البخاري بنفس اللفظ دون قوله: «ما به حب لقاء الله عزَّ وجلَّ».

ولفظ مسلم وابن ماجه: «والذي نفسي بيده؛ لا تذهب الدنيا حتى يمرَّ الرجل على القبر، فيتمرَّغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هٰذا القبر، وليس به الدِّين؛ إلا البلاء»[1].

قال شيخنا حفظه الله:

«ومعنى الحديث أنه لا يتمنَّى الموت تديُّناً وتقرُّباً إلى الله وحبّاً في لقائه، وإنما لما نزل به من البلاء والمحن في أمور دنياه؛ ففيه إشارة إلى جواز تمنِّي الموت تديُّناً، ولا ينافيه قوله ﷺ: «لا يتمنينَّ أحدكم الموت لضرٍّ نزل به...»[2]؛ لأنه خاصٌّ بما إذا كان التمنِّي لأمر دنيوي كما هو ظاهر»[3].

وقال الحافظ رحمه الله:

«قلت: ويمكن أخذ الحكم من الإشارة في قوله: «وليس به الدين إنما هو البلاء»؛ فإنه سيق مساق الذمِّ والإنكار، وفيه إيماء إلى أنه لو فعل ذٰلك بسبب الدين؛ لكان محموداً، ويؤيِّده ثبوت تمنِّي الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من السلف.

قال النووي: لا كراهة في ذٰلك، بل فعله خلائق من السلف منهم عمر بن الخطاب وعيسى الغفاري وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم»[4].

---

(١) «مختصر مسلم» (٢٠٠٨).

(٢) رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن عن أنس، وتمامه: «فإن كان لا بدَّ متمنياً؛ فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيراً لي».

(٣) «السلسلة الصحيحة» (٢ / ١١٩).

(٤) «فتح الباري» (١٣ / ٧٥).

المبحث الخامس

أشراط صغرى غير معتادة

من عجائب أشراط الساعة تكليم السباع الإنس وإخبار الفخذ بما يُحْدِث الأهل وتكليم عذبة السوط وشراك النعل:

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري؛ قال:

عدا الذئب على شاة، فأخذها، فطلبه الراعي، فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه؛ قال: ألا تتقي الله؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إليَّ؟ فقال: يا عجبي! ذئب مقعٍ على ذنبه يكلِّمني كلام الإنس. فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذٰلك؟ محمد ﷺ بيثرب يُخبرُ الناس بأنباء ما قد سبق. قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاويةٍ من زواياها، ثمَّ أتى رسول الله ﷺ، فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ، فنودي بالصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للراعي: «أخبرهم»، فأخبرهم، فقال رسول الله ﷺ: «صدق، والذي نفسي بيده؛ لا تقوم الساعة حتى يكلِّم السباع الإنس، ويكلِّم الرجلَ عذْبةُ سوطه وشراك نعله، ويُخبرُه فخذه بما حدث أهله بعده»[1].

أن تكلِّم السباع الإنس، أن تتكلَّم شراك النعل، أن تتكلَّم الفخذ: أمور خارقة لا يصدِّقها إلا مَن كان ذو إيمان راسخ، والناس في ذٰلك متفاوتون:

روى أحمد والشيخان والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: صلى رسول الله ﷺ الصبح، ثم أقبل على الناس، فقال:

«بينا رجل يسوق بقرة؛ إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهٰذا، إنَّما

(١) «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٢٢).

خُلِقنا للحرث». فقال الناس: سبحان الله! بقرةٌ تتكلَّم؟ فقال: «فإني أومن بهٰذا أنا وأبو بكر وعمر»، وما هما ثَمَّ، «وبينما رجلٌ في غنمه؛ إذ عدا الذئب، فذهب منها بشاةٍ، فطلب حتى كأنَّه استنقذها منه، فقال له الذئب: هٰذا استنقذتها مني فمن لهـا يوم السَّبُـع[1]، يوم لا راعي لها غيري؟». فقال الناس: سبحان الله! ذئب يتكلَّم؟ قال: «فإني أومن بهٰذا أنا وأبو بكر وعمر»، وما هما ثَمَّ[2].

قال الحافظ في «الفتح»:

«في الحديث جواز التعجُّب من خوارق العادات، وتفاوت الناس في المعارف»[3].

وقال أيضاً

«قوله: (فإني أومن بهٰذا أنا وأبو بكر وعمر): يحتمل أن يكون ﷺ قال ذٰلك لما اطَّلع عليه من غلبة صدق إيمانهما وقوة يقينهما»[4].

هٰذان هما أبو بكر وعمر في إيمانهما وتصديقهما، ومع هٰذا يأبى الرافضة قبَّحهم الله أن يقبلوا إيمان عبدٍ ما لم يتبرَّأ منهما، والله ورسوله بريئان من الرافضة.

* * * * *

(١) بالضم، من: «لها يوم يطرقها الأسد»، وبالسكون من: «لها يوم الفزع أو يوم الإهمال».

(٢) «اللؤلؤ والمرجان» (رقم ١٥٤٤).

(٣) «فتح الباري» (٧ / ٢٨).

(٤) «فتح الباري» (٧ / ٢٩).

الفصل الثاني
ظهور المهدي رضي الله عنه

يتعاقب الليل والنهار، ويتعاقب بتعاقبهما الظلام والنور، فمن ظلمة يعقبها نور، ثم ظلمة ثم نور، إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

وهٰكذا حال المسلمين... الفتن تقع خلال بيوتهم كوقع المطر[1]، وما من زمان يمر عليهم؛ إلا والذي بعده شرٌّ منه، حتى يلقوا ربهم[2] عزَّ وجلَّ.

ولكن الله رؤوف بعباده، رحيم بهم، فلا يبقي الظلام دامساً من حولهم فيقنطوا من رحمة الله، فبين الفترة والفترة يبرز نور يضيء لهم الطريق، ثم يخبو ليعود الظلام.

فالخير والشر موزَّعان في هٰذه الأمة؛ مصداقاً لما أخبر به المصطفى ﷺ فيما رواه أحمد والترمذي عن أنس وأحمد وابن حبان عن عمار والطبراني وأبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمر، وغيرهم: أنه ﷺ قال:

---

(١) إشارة إلى الحديث: «هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر»، وقد سبق.

(٢) إشارة إلى الحديث: «لا يأتي عليكم عام ولا يوم إلا والذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم»، وقد مضى أيضاً.

«مَثَل أمَّتي مثل المطر، لا يُدْرَى أوله خيرٌ أم آخره»[1].

قال المناوي في «الفيض»:

«قال البيضاوي: أراد به نفي التفاوت في الخيرية؛ لاختصاص كل منهم بخاصيَّة توجب خيريَّتها؛ كما أن كل نوبة من نوب المطر لها فائدة في النماء لا يمكن إنكارها والحكم بعدم نفعها؛ فإن الأولين آمنوا بما شاهدوا من المعجزات وتلقوا دعوة الرسول بالإجابة والإيمان، والآخرين آمنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الآيات واتبعوا الذين قبلهم بالإحسان، وكما اجتهد الأولون في التأسيس والتمهيد اجتهد المتأخرون في التجريد والتلخيص، وصرفوا عمرهم في التقدير والتأكيد؛ فكل مغفور، وسعيه مشكور، وأجره موفور».

ثم قال رحمه الله:

«وقد تمسك ابن عبدالبر بهذا الحديث فيما رجَّحه من أن الأفضليَّة المذكورة في الحديث «خير الناس قرني»[2]؛ إنما هي بالنسبة إلى المجموع لا الأفراد.

وأجاب النووي بأن المراد ممَّن يشتبه عليه الحال في زمن عيسى، ويرون ما في زمنه من البركة وانتظام شمل الإسلام، فيشتبه الحال على مَن شاهد ذلك أي الزمانين خير، وهذا الاشتباه مندفع بخبر خير الناس قرني»[3].

ونحن الآن نعيش في ظلام دامس؛ عُطِّل فيه شرع الله، وانتشر الفساد بشتى صوره، والناس يعيشون في ظلم وقهر.

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٥٧٣٠).

(٢) حديث صحيح، وقد مضى.

(٣) «فيض القدير» (٥ / ٥١٦ ـ ٥١٧).

ومن خلال هٰذا الظلام سيبرز نور يبدِّد الظلمة، هٰذا النور بشَّر به رسول الله ﷺ المسلمين، وهـو رجـل من أهل بيته، وصفه رسول الله ﷺ بصفات بارزة، أهمها أنه يحكم بالإسلام وينشر العدل بين الأنام».

ولكن؛ متى يكون ذٰلك؟ فالله وحده يعلم.

١ ـ اسمه ولقبه:

هو محمد بن عبدالله الملقَّب بالمهدي رضي الله عنه.

روى أبو داود عن ابن مسعود؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لو لم يبق من الدُّنيا إلا يوم؛ لطوَّل الله ذٰلك اليوم، حتى يُبعث فيه رجلٌ من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي؛ يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[1].

وروى أحمـد وأبـو داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن عبدالله بن مسعود؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجلٌ من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي»[2].

٢ ـ من أهل البيت من ولد فاطمة:

وروى أبو داود وابن ماجه والحاكم عن أم سلمة؛ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٥١٨٠).

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٧١٥٢).

«المهديُّ من عِتْرَتي[1] من ولد فاطمة»[2].

٣ ـ تهيئته للخلافة وإصلاحه في ليلة:

روى أحمد وابن ماجه عن علي رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله

«المهديُّ منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة»[3].

قال ابن كثير رحمه الله:

«المهـديُّ هو محمـد بن عبدالله العلوي الفاطمي الحسني رضي الله عنه. (يصلحه الله في ليلة)؛ أي: يتوب عليه ويوفقه ويفهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك»[4].

٤ ـ صفاته الخلْقية:

روى أبو داود والحاكم عن أبي سعيد الخدري؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«المهـدي منِّي، أجْلى الجبهة[5]، أقنى الأنف[6]، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين»[7].

---

(١) عترة الرجل: أخص أقاربه.

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٦٦١٠).

(٣) «صحيح الجامع» (رقم ٦٦١١).

(٤) «نهاية البداية والنهاية» (ص ٤٣).

(٥) واسع الجبهة، انحسر شعره عن مقدم رأسه.

(٦) طول الأنف ودقّة أرنبته مع حدب في وسطه.

(٧) «صحيح الجامع» (رقم ٦٦١٢).

٥ ـ حتميَّة خروجه:

روى أحمد وأبو داود عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال:

«لو لم يبق من الدهر إلا يوم؛ لبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»[1].

وروى أبو داود عن ابن مسعود؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«يلي رجلٌ من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم؛ لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يلي»[2].

٦ ـ اشتداد الظلم والجوْر والعدوان قبيل ظهور المهدي:

روى أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعُدواناً»[3].

وروى البزار والطبراني عن أبي سعيد الخدري؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لتملأن الأرض جوراً وظلماً، فإذا ملئت جوراً وظلماً؛ بعث الله رجلاً مني اسمه اسمي، فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[4].

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٥١٨٠).

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٨٠١٦).

(٣) «السلسلة الصحيحة» (٤ / ٣٩)، والحاكم (٤ / ٥٥٧).

(٤) «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٥٢٩).

٧ ـ مدة حكمه وخلافته:

روى البزار والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لتملأن الأرض جوراً وظلماً، فإذا مُلئت جوراً وظلماً؛ يبعث الله رجلاً مني: اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملؤها عدْلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، فلا تمنع السماء شيئاً من قطرها[١]، ولا الأرض شيئاً من نباتها؛ يمكث فيكم سبعاً أو ثمانياً، فإن أكثر فتسعاً»[٢].

وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري؛ قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث، فسألنا نبي الله ﷺ؟ فقال:

«إن في أمتي المهدي؛ يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً» ـ زيد[٣] الشاك ـ. قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: «سنين». قال: «فيجيء إليه الرجل، فيقول: يا مهدي! أعطني أعطني. قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله»[٤].

٨ ـ استفاضة المال في زمنه وعدله وكرمه:

روى مسلم عن أبي سعيد؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) مائها.

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٤٩٤٩).

(٣) هو زيد العمّيّ، راوي الحديث عن أبي الصدِّيق الناجي، الذي رواه عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٤) «صحيح سنن الترمذي» (رقم ١٨٢٠).

«من خلفائكم خليفة يحثو[1] المال حثياً، لا يعدُّه عدّاً»[2].

وروى مسلم عن أبي نضـرة؛ قال: كنـا عند جابر بن عبدالله، فقال: يوشك أهل العراق أن لا يُجبى إليهم قفيز[3] ولا درهم. قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم، يمنعون ذلك. ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يُجبى إليهم دينار ولا مُدْيٌ[4]. قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم. ثم سكت هنيَّة، ثم قال: قال رسول الله ﷺ:

«يكون في آخر أمَّتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعدُّه عدداً».

قال: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: أترَيان أنه عمر بن عبدالعزيز؟ فقالا: لا[5].

٩ - يصلِّي ابن مريم عليه السلام خلفه:

روى ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء عن أبي أمامة في حديث الدجَّال الطويل، وفيه:

«... وإمـامهم[6] رجـل صالـح، فبينمـا إمـامهم قد تقدَّم يصلي بهم

---

(١) هو الحفن باليدين، وهٰذا الحثو الذي يفعله هٰذا الخليفة يكون لكثرة الأموال والغنائم والفتوحات مع سخاء نفسه. أفاده النووي.

قال شيخنا تعليقاً على حديث: «من خلفائكم»؛ قال: «هو المهدي المبشَّر بخروجه بين يدي نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، ويصلي عيسى عليه الصلاة والسلام خلفه».

(٢) «صحيح الجامع» (٥٧٨٩).

(٣) قفيز: مكيال معروف لأهل العراق، يساوي اثنا عشر صاعاً.

(٤) المدْي: مكيال معروف لأهل الشام يسع اثنين وعشرين صاعاً ونصف.

(٥) «مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٣٨ و٣٩).

(٦) إلى إمام المسلمين وخليفتهم.

الصبح ؛ إذ نزل عليهم عيسى بن مريم الصبح ، فرجع ذٰلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليتقدَّم عيسى ، فيضع عيسى يده بين كتفيه ، ثم يقول له : تقدَّم فصلِّ ؛ فإنها لك أُقيمت ، فيصلي بهم إمامهم[1]»[2] .

١٠ ـ ظهوره يتبعه ظهور آيات الساعة العظام :

روى أحمد وأبو داود والحاكم عن عبدالله بن حوالة ؛ قال : بعثنا رسول الله ﷺ لنغنم على أقدامنا ، فرجعنا فلم نغنم شيئاً ، وعرف الجهد في وجوهنا ، فقام فينا ، فقال :

«اللهم لا تكلهم إليَّ فأضعف عنهم ، ولا تكلْهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم» ، ثم وضع يده على رأسي ، ثم قال :

«يا ابن حوالة ! إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدَّسة ؛ فقد دنت الزلازل والبلابل[3] والأمور العظام ، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هٰذه إلى رأسك»[4] .

١١ ـ تكثر الماشية في زمنه ، وتعظم الأمَّة ، ويعطى المال صحاحاً :

روى الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) «صحيح الجامع» (٧٧٥٢) .

(٢) هناك أحاديث أخرى بيَّنت صلاة عيسى خلفه ، وهو المهدي المبشر بخروجه بين يدي نزول عيسى عليه الصلاة والسلام .

(٣) الهموم والأحزان والفتن .

(٤) «صحيح الجامع» (٧٧١٥) .

«يخرج في آخر أمتي المهدي؛ يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً»؛ يعني: حججاً[1].

١٢ ـ خلافته على منهاج النبوة:

روى أحمد عن النعمان بن بشير؛ قال: كنا قعوداً في المسجد، وكان بشير رجلاً يكفّ حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني، فقال: يا بشير بن سعد! أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة: قال رسول الله ﷺ:

«تكون النبوة ما شاء الله فيكم أن تكون، ثمَّ يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضّاً[2]، فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبريّاً[3]، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوَّة، ثم سكت».

قال حبيب: فلما قام عمر بن عبدالعزيز وكان يزيد بن النعمان بن بشير في صحابته، فكتبت إليه بهٰذا الحديث أذكِّره إياه، فقلتُ له: إني أرجو أن يكون أمير المؤمنين ـ يعني: عمر ـ بعد الملك العاض والجبرية، فأدخل كتابي على عمر بن عبدالعزيز، فسرَّ به وأعجبه[4].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (رقم ٧١١)، و«المستدرك» (٤ / ٥٥٧ ـ ٥٥٨).

(٢) الملك الذي يصيب الرعيَّة فيه عسف وظلم، كأنَّهم يعضُّون فيه عضّاً.

(٣) الملك الذي يتمُّ جبراً ورغماً عن الرعية.

(٤) «السلسلة الصحيحة» (١ / رقم ٥)، وهو في «مشكاة المصابيح» (رقم ٥٣٧٨).

قال شيخنا حفظه الله:

«ومن البعيد عندي حمل الحديث على عمر بن عبدالعزيز؛ لأن خلافته كانت قريبة العهد بالخلافة الراشدة، ولم تكن بعد ملكين ملك عاض وملك جبرية، والله أعلم»[1].

* * * * *

(١) «السلسلة الصحيحة» (١ / ٩).

أمور لا بدَّ منها تتعلَّق بظهور المهدي

خاض الناس قديماً وحديثاً في عقيدة ظهور المهدي: فمنهم من أنكرها، ومنهم من أقرَّ بها، ومنهم من ضعَّف الأحاديث الواردة في المهدي أو حكم بوضعها، ومنهم من صحَّحها، ومنهم من تخيَّل مهديّاً خياليّاً لا وجود له إلا في خياله السقيم.

فلا بدَّ والحالة هٰذه من بيان الحق في هٰذه المسألة بياناً شافياً إن شاء الله، يزيل الغشاوة التي غطَّت على أعين الكثيرين من المعاصرين، فما عادوا يبصرون الحق إلاّ من خلال عقولهم، حيث إن حكمهم على النصوص إنما يكون من خلال فهمهم لها؛ فإن فهموها فهماً يوافق أهواءهم؛ أخذوا بها، وضربوا بأقوال أهل العلم من المحدثين عرض الحائض، وحجتهم أن كثيراً من الأحاديث الصحيحة تخالف ظاهر القرآن ـ بفهمهم ـ، فيردونها، وأن كثيراً من الأحاديث الضعيفة عند أهل الحديث توافق القرآن بزعمهم، فيعملون بها.

وأقول لهم: أما لكم أسوةٌ في أصحاب محمد ﷺ وقدوة تقتدون بها، وقد كانوا يتلقَّون العلم من فيه الطاهر من نبعه الصافي؟!

فهلَّا تركتم فهمكم السقيم ورجعتم إلى فهمهم؟!

أما علمتم أنكم باعتمادكم على فهمكم السقيم قد وصمْتُم أصحاب محمد بالجهل وادَّعيتم زوراً وبهتاناً أنكم أفقه منهم وأعلم؟!

أما علمتم أنكم بترككم لفهم أصحاب محمد ﷺ واعتمادكم على فهمكم قد ضللتم؟!

أما علمتم أنكم من أهل الكبر بردِّكم الحق واحتقاركم الناس والرسول

عليه الصلاة والسلام يقول: «الكِبْر مَن بَطَرَ الحق وغَمَطَ الناس»[1]؟!

فهلاَّ حكَّمتم شرع الله، وعُدتم إلى فهم أصحاب محمد ﷺ، حتى تسلموا وتلقوا ربكم بقلوب سليمة، وحتى لا تدخلوا مع أصحاب الأهواء تحت قوله تعالى ـ أعاذني الله وإياكم أن نكون منهم ـ:

﴿وإذا دُعُوا إلى اللهِ ورَسولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إذا فَريقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضونَ . وإنْ يَكُنْ لَهُمُ الحَقُّ يَأْتُوا إليهِ مُذْعِنينَ . أفي قُلوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابوا أَمْ يَخافونَ أَنْ يَحيفَ اللهُ عليهِمْ ورَسولُهُ بَلْ أُولٰئكَ هُمُ الظَّالِمونَ﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله:

«يخبر تعالى عن صفات المنافقين: الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، يقولون قولاً بألسنتهم، ثم يخالفون أقوالهم بأعمالهم، فيقولون ما لا يفعلون، وإذا طلبوا إلى اتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله؛ أعرضوا عنه، واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه، وكذلك إذا كانت الحكومة لهم لا عليهم؛ جاؤوا سامعين مطيعين، وهو معنى قوله ﴿مُذْعِنين﴾، وإذا كانت الحكومة عليه؛ أعرض، ودعا إلى غير الحق، وأحبَّ أن يتحاكم إلى غير النبي ﷺ؛ ليروج باطله ثمَّ، فإذعانه أولاً لم يكن عن اعتقاد منه أن ذٰلك هو الحق، بل لأنه موافق لهواه، ولهٰذا؛ لما خالف الحقُّ قصدَهُ؛ عدل عنه إلى غيره.

---

(١) الحديث رواه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة بسند صحيح على شرط الشيخين: أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ ـ وكان رجلاً جميلاً ـ فقال: يا رسول الله! حُبِّبَ إليَّ الجمال، وأُعطيت منه ما ترى، حتى ما أحبُّ أن يفوقَني أحدٌ ـ إمَّا قال: بشراك نعلي، وإمَّا قال: بِشِسْعِ نَعْلي ـ؛ أفَمِن الكِبْر ذٰلك؟ قال: «لا؛ ولٰكنَّ الكبرَ من بطَر الحق وغمْط الناس».

وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٤٤٨٤)، و«السلسلة الصحيحة» (٤ / ١٦٨).

(٢) النور: ٤٨ ـ ٥٠.

فلا يخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب مرض لازم لها، أو قد عرض لها شكٌّ في الدين، أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم، وأيّاً ما كان؛ فهو كفرٌ محضٌ، والله عليم بكلٍ منهم، وما هو منطوٍ عليه من هٰذه الصفات، وهٰؤلاء هم الظالمون الفاجرون، والله ورسوله مبرآن مما يظنُّون ويتوهَّمون من الحيف والجَوْر، تعالى الله ورسوله عن ذٰلك»[1].

وأعود الآن إلى بيان عقيدة ظهور المهدي، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: ورد ذكر المهدي رضي الله عنه في أحاديث كثيرة: بعضها صحيح، وبعضها حسن، والقسم الأخير منها ضعيف، بل وبعضها موضوع:

ويحتج بما صح من الأحاديث: سواء كان صحيحاً لذاته أو صحيحاً لغيره، وما كان حسناً سواء كان حسناً لذاته أو حسناً لغيره.

١ ـ ذكر بعض العلماء الذين صحَّحوا أحاديث المهدي:

أذكر هنا طائفة من العلماء ممَّن صحَّحوا أحاديث المهدي وأقرُّوا بخروجه في آخر الزمان:

أ ـ الحاكم في «مستدركه».

ب ـ الذهبي في «تلخيصه على المستدرك».

ج ـ الترمذي.

د ـ ابن حبان.

هـ ـ ابن تيمية، ونصُّ قوله في «منهاج السنة» هو:

«إن الأحاديث التي يُحتجُّ بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣ / ٢٩٨).

رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره»[1].

وكذا في «المنتقى من منهاج الاعتدال» للذهبي.

و ـ أبو داود في «سننه» بسكوته عن أحاديث المهدي[2].

ز ـ العقيلي.

ح ـ ابن العربي في «عارضة الأحوذي».

ط ـ القرطبي؛ كما في «أخبار المهدي» للسيوطي.

ي ـ الطيبي؛ كما في «مرقاة المفاتيح» للشيخ القاري.

ك ـ ابن قيم الجوزية في «المنار المنيف»؛ خلافاً لمن كذب عليه، ونص كلامه:

«قال أبو الحسن محمد بن الحسين الآبري في كتاب «مناقب الشافعي»: قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هٰذه الأمة ويصلي عيسى خلفه»[3].

ل ـ العلامة المباركفوري في «تحفة الأحوذي».

م ـ الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»، حيث نقل كلام أبي الحسن

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (٤ / ٤١).

(٢) قال في رسالته إلى أهل مكة في وصف «سننه»: «وما لم أذكر فيه شيئاً؛ فهو صالح، وبعضها أصحُّ من بعض، وهٰذا لو وضعه غيري؛ لقلت أنا فيه أكثر»؛ يريد بكلامه الأخير أنه لا يسرف في الثناء على عمله ولا يبالغ، ولو أن غيره ألَّف هٰذا الكتاب لقال فيه أكثر.

(٣) «المنار المنيف» لابن القيم تحقيق محمود مهدي استانبولي (ص ١٣٩ ـ ١٤٠).

الآبري وسكت عليه[1].

ن ـ الشيخ علي القاري في «المرقاة».

ق ـ السيوطي في كتابه «العرف الوردي».

ر ـ أبو الحسن الآبري في كتابه «مناقب الشافعي».

ش ـ البيهقي؛ نقل ذٰلك عنه الحافظ ابن حجر في ترجمة محمد بن خالد الجندي راوي حديث: «لا مهدي إلا عيسى بن مريم»، حيث قال:

«والأحاديث في التنصيص على خروج المهدي أصح ألبتَّة إسناداً»[2].

ت ـ القاضي عياض، حيث قال في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» في الفصل الرابع والعشرين:

«ما اطَّلع عليه من الغيوب وما يكون (وذكر من ذٰلك:) وخروج المهدي»[3].

س ـ ابن حجر الهيتمي المكي في كتابه «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر»، حيث قال:

«الذي يتعيَّن اعتقاده ما دلَّت عليه الأحاديث الصحيحة من وجود المهدي المنتظر الذي يخرج الدجال وعيسى في زمانه، وأنه المراد حيث أطلق المهدي»[4].

---

(١) «فتح الباري» (٦ / ٤٩٣).

(٢) «تهذيب التهذيب» (٩ / ١٢٦).

(٣) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (١ / ٦٥٦).

(٤) «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» (ص ٧٩).

ع ـ ابن كثير رحمه الله في كتاب «نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم»؛ قال:

«فصل في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان، وهو أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديِّين، وليس بالمنتظر الذي تزعم الروافض وترتجي ظهوره من سرداب في سامراء؛ فإن ذاك ما لا حقيقة له، ولا عين ولا أثر، أما ما سنذكره؛ فقد نطقت به الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ أنه يكون في آخر الدهر، وأظنُّ ظهوره يكون قبل نزول عيسى بن مريم كما دلَّت على ذٰلك الأحاديث»[1].

وغير هٰؤلاء كثير ذكرهم في كتاب «عقد الدرر في أخبار المنتظر» المعلق عليه الشيخ مهيب بن صالح البوريني (ص ٢٠ ـ ٢٢).

٢ ـ ذكر بعض من أنكر خروج المهدي من الأقدمين:

قال الشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد حفظه الله في كتابه «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر»:

«لم أقف على تسمية أحدٍ في الماضين أنكر أحاديث المهدي أو تردَّد فيها سوى رجلين اثنين:

أ ـ أما أحدهما؛ فهو أبو محمد بن الوليد البغدادي، وقد اعتمد على حديث: «لا مهدي إلا عيسى ابن مريم»، وقال ابن تيمية: وليس مما يعتمد عليه؛ لضعفه. ولم أقف على ترجمة لأبي محمد المذكور.

ب ـ عبدالرحمٰن بن خلدون المغربي المؤرخ المشهور، وهو الذي

---

(١) «نهاية البداية والنهاية» (١ / ٣٧).

اشتهر بين الناس عنه تضعيف أحاديث المهدي، وقد رجعت إلى كلامه في مقدِّمة «تاريخه»، فظهر لي منه التردد لا الجزم بالإنكار، وعلى كل حال؛ فإنكارها أو التردُّد في التصديق بما دلَّت عليه؛ شذوذ عن الحق، ونكوبٌ عن الجادَّة المطروقة.

وقد تعقَّبه الشيخ صديق حسن في كتابه «الإذاعة»، حيث قال: لا شك أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام؛ لما تواتر في الباب، واتفق عليه جمهور الأمَّة خلفاً عن سلف؛ إلا من لا يعتدُّ بخلافه.

وقال: لا معنى للرَّيب في أمر ذٰلك الفاطميِّ الموعود والمنتظر، والمدلول عليه بالأدلَّة، بل إنكار ذٰلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلى حدِّ التواتر».

ثم قال حفظه الله:

«ولي ملاحظات على كلام ابن خلدون أرى أن أشير لها هنا:

الأولى: لو حصل التردُّد في أمر المهدي من رجل له خبرة بالحديث؛ لاعتبر ذٰلك زللاً منه؛ فكيف إذا كان من الإخباريين الذين هم ليسوا من أهل الاختصاص؟! وقد أحسن الشيخ أحمد شاكر في تخريجه لأحاديث «المسند»، حيث قال: أما ابن خلدون؛ فقد قفا ما ليس له به علم، واقتحم قحماً لم يكن من رجالها. وقال: إنه تهافت في الفصل الذي عقده في مقدمته للمهدي تهافتاً عجيباً، وغلط أغلاطاً واضحة. وقال: إن ابن خلدون لم يُحسن قول المحدِّثين: الجرح مقدَّم على التعديل، ولو اطَّلع على أقوالهم وفَقِهَها؛ ما قال شيئاً مما قال:

الثانية: صدَّر ابن خلدون الفصل الذي عقده في مقدِّمته للمهدي بقوله:

اعلم أن في المشهور بين الكافَّة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بدَّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت؛ يؤيِّد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمَّى بالمهدي، ويكون خروج الدجَّال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتمُّ بالمهدي في صلاته، ويحتجُّون في الشأن بأحاديث خرَّجها الأئمة وتكلَّم فيها المنكرون لذٰلك، وربما عارضوها ببعض الأخبار.

أقول: هٰذه الشهادة التي شهدها ابن خلدون، وهي أن اعتقاد خروج المهدي هو المشهور بين الكافَّة من أهل الإسلام على ممرِّ الأعصار، ألا يسعه في ذٰلك ما وسع الناس على ممرِّ الأعصار كما ذكر ابن خلدون نفسه؟! وهل ذٰلك إلا شذوذ بعد معرفة أن الكافَّة على خلافه؟! وهل هٰؤلاء الكافَّة اتَّفقوا على الخطإ؟! والأمر ليس اجتهادياً، وإنما هو غيبيٌّ لا يسوغ لأحد إثباته إلا بدليل من كتاب الله أو سنة نبيِّه ﷺ، والدليل معهم وهم أهل الاختصاص».

وذكر بعد ذٰلك الملاحظة الثالثة ثم الرابعة ثم قال:

«**الخامسة**: أن ابن خلدون نفسه قد اعترف بسلامة بعض أحاديث المهدي من النقد، حيث قال بعد إيراد الأحاديث التي خرَّجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان: «وهي ـ كما رأيت ـ لم يخلص منها من النقد إلا القليل والأقل منه».

وأقول (أي: عبدالمحسن): إن القليل الذي يسلم من النقد كاف للاحتجاج به، ويكون الكثير الذي لم يسلم عاضداً له ومقوِّياً على أنه قد سلم الشيء الكثير» انتهى.

ومن أحاديث المهدي التي صحَّحها ابن خلدون حديث أبي سعيد الخدري:

«لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي - أو من أهل بيتي - يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً»[1].

وصحَّح أيضاً طريقاً أخرى للحديث من طريق سليمان بن عبيد: ثنا أبو الصديق الناجي به، ولفظه:

«يخرج في أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً»؛ يعني: حججاً[2].

---

(١) قال شيخنا حفظه الله:

«أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وأبو نعيم في «الحلية».

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

وأشار إلى تصحيحه أبو نعيم بقوله عقبه: مشهور من حديث أبي الصديق عن أبي سعيد.

فإنه بقوله مشهور يشير إلى كثرة الطرق عن أبي الصديق كما تقدَّم، وأبو الصدِّيق اسمه بكر بن عمرو، وهو ثقةٌ اتفاقاً، محتجٌّ به عند الشيخين وجميع المحدِّثين، فمَن ضعَّف حديثه هٰذا من المتأخرين؛ فقد خالف سبيل المؤمنين، ولذٰلك لم يتمكَّن ابن خلدون من تضعيفه، مع شططه في تضعيف أكثر أحاديث المهدي، بل أقرَّ الحاكم على تصحيحه لهٰذه الطريق والطريق الآتية؛ فمن نسب إليه أنَّه ضعَّف كل أحاديث المهدي؛ فقد كذب عليه سهواً أو عمداً».

«السلسلة الصحيحة» (٤ / ٤٠).

(٢) قال شيخنا حفظه الله:

«أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وابن خلدون أيضاً؛ فإنه قال عقبه في المقدِّمة: مع أن سليمان بن عبيد لم يخرج له أحد من الستة، لكن ذكره ابن حبان في «الثقات»، ولم يرد أن أحداً تكلَّم فيه». =

٢ ـ ذكر بعض من أنكر خروج المهدي من المتأخرين:

ومن المعاصرين الذين أنكروا خروج المهدي بإنكار الأحاديث الصحيحة التي وردت بخروجه بحجة أنها ضعيفة:

أ ـ محمد الغزالي:

قال شيخنا حفظه الله بعد أن ساق أسماء عدد ممَّن صحَّحوا أحاديث خروج المهدي:

«بعد هٰذا كلِّه؛ أليس من العجيب حقّاً قول الشيخ الغزالي في «مشكلاته» التي صدرت عنه حديثاً (ص ١٣٩): من محفوظاتي وأنا طالب أنه لم يرد في المهدي حديث صحيح وما ورد صريحاً فليس بصحيح؟!».

قال شيخنا تعليقاً على قوله هٰذا:

«فمَن هم الذين لقَّنوك هٰذا النفي وحفَّظوك إياه وأنت طالب؟ أليسوا هم علماء الكلام الذين لا علم عندهم بالحديث ورجاله، وإلا؛ فكيف يتَّفق ذٰلك مع شهادة علماء الحديث بإثبات ما نفوه؟! أليس في ذٰلك ما يحملك على إعادة النظر فيما حُفِّظته طالباً، لا سيَّما فيما يتعلَّق بالسنة والحديث تصحيحاً وتضعيفاً، وما بُني على ذٰلك من الأحكام والآراء، ذٰلك خيرٌ من أن تُشكِّك المسلمين في الأحاديث التي صحَّحها العلماء؛ لمجرَّد كونك لُقِّنْتَه طالباً، ومن غير أهل الاختصاص والعلم!!»[1].

قال شيخنا: «ووثقه ابن معين أيضاً، وقال أبو حاتم: صدوق؛ فهو إسناد صحيح» «السلسلة الصحيحة» (٤ / ٤٠).

(١) «السلسلة الصحيحة» (٤ / ٤٢).

ب ـ محمد فهيم أبو عبيَّة رئيس بعثة الأزهر الشريف بلبنان:

وقد أظهر هٰذا الشيخ عقيدته من خلال تعليقاته على كتاب ابن كثير «نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم».

* قال في المقدمة:

«وإنه لحقٌّ أن نأخذ بجدِّية واعتبار تامَّين ما ذهب إليه الأثبات من روَّاد هٰذه الأمة وهداتها إلى لباب الحق في دينها القويم؛ من أن صحَّة السند وحدها قد لا تكفي للقطع بصحة نسبة الحديث إلى الرسول ﷺ؛ فقد يكون السند سليماً مستوفياً شروط السلامة التي وضعها علماء السنة رضي الله عنهم وأرضاهم، على حين تكون في المتن غرابة في معناه أو في مبناه أو فيهما معاً، تبعد به عن رواء الصدق النبوي وهدي الإرشاد المحمَّدي»[1].

ولنا على هٰذا الكلام ملاحظات:

١) هٰذه القاعدة التي ذكرها إنما يستخدمها العلماء على أضيق نطاق، وعند الحاجة الماسَّة، ولا يلجؤون لها؛ إلا إذا لم يتمكَّنوا من التوفيق بين متن الحديث وآية في كتاب الله مثلاً أو متون أحاديث أخرى، وكان التعارض بينهما بحيث لا يمكن التوفيق بينهما بحال.

٢) غالباً ما يكون نقد المتن نقد لكلمة وردت في المتن لا يستقيم المعنى بها وعند ذٰلك يبحثون في السند، عسى أن يثبت ضعف تلك الكلمة أو شذوذها في المتن.

٣) كان من الحريِّ بالمعلِّق أن يذكر بعض أسماء الثقات الأثبات! وكيفية

---

(١) «نهاية البداية والنهاية» مقدمة المعلق (ص ٥).

استخدامهم لهٰذه القاعدة بإعطاء أمثلة

* وقال أيضاً:

«ولهٰذا؛ فقد وقفنا وقفات مرتابة في صحة حديث كحديث الجساسة، وصحة ما نُسب إلى الرسول من أن الناس في دنيانا سيعيشون فترة من الزمن على التسبيح والتهليل والتكبير يقتاتون بها ويطعمون منها حين تحبس السماء مطرها وتمنع الأرض نبتها، ثم سرنا مع القائلين بأن ظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام هما رمزان لانتصار الخير على الشر، وأن الدجَّال رمز لاستشراء الفتنة واستعلاء الضلال فترة من الزمن، ثم تهدّ قوائمه وتدكُّ دعائمه بصولة الحق بإذن الله، وأن الدابَّة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ليست كما وصفتها الروايات عجيبة العجائب وغريبة الغرائب وجوالة العمائر والخرائب، وإنما هي اسم جنس لما يدبُّ من الحيوانات التي تفتك بالناس وبأموالهم وأرزاقهم حين تغلِب عليهم شقوتهم، وأن منها تلك الجراثيم التي تحمل إلى العالم أخطر أهواله وتتهدَّده بسوء مآله، وأن تكليمها إنما هو من الكلوم لا من الكلام، ومن الجروح لا من المحاجَّة والمجادلة والخصام... إلى غير ذٰلك مما يراه القارىء في مواضعه كإشارات الضوء تهدي إلى الحق، وتدل بقدر الإمكان على سواء السبيل»[1].

ولنا على كلامه هٰذا الذي يحوي الغثَّ والسمين ملآحظات:

١) لا شك أن هناك الكثير من الأحاديث المختلقة والموضوعة والضعيفة والتي تتعلق بأشراط الساعة، فواجب على كل مسلم قادر مستطيع متمكن من علم الحديث والتضعيف والتصحيح أن يبيِّنها للناس حتى يجتنبوها، وواجب على العـامَّـة أن يسألوا أهل العلم عن مثل هٰذه الأحاديث؛ ليأخذوا الإسلام

---

(١) «نهاية البداية والنهاية» مقدمة المعلق (ص ٥)

الصحيح ؛ كما جاء على لسان رسول الله ﷺ، وقد أشار المعلِّق إلى بعض هٰذه الروايات التي تتعلَّق بدابَّة الأرض.

٢) ليت المعلِّق على الكتاب وقف عند هٰذا الحدِّ، ولم يتجاوزه؛ لكان يُشكَرُ على ذٰلك، ولكنه وللأسف خلط الغث بالسمين، فمثلًا: لم يوضح لنا ما الذي جعله يقف مرتاباً أمام حديث الجساسة، وقد رواه الإمام مسلم في «صحيحه»؟! أهو دراستك الحديثيَّة للسند فحكمت عليه بما يستحق؟! أم هو استخدام العقل في مقابل النصِّ عن المعصوم ﷺ؟!

ثم رأيته حكم على الحديث بالوضع بحجة عقليَّة واهية، وهي عدم تواتر نقله عن الصحابة الكرام، فقال معلِّقاً على حديث تميم الداري عند مسلم:

«هٰذا الحديث عليه طابع الخيال وسمة الوضع، الأمر الذي يجعلنا ننفي صدوره عن الرسول عليه السلام، الذي لا يقول إلا الحق، ولا ينطق عن الهوى، ولو صح صدوره عن الرسول وعلى المنبر وفي حشد من الصحابة الكرام؛ لتواتر نقله، والتقت كلمة الرواة على روايته، ولكان في إطار الحكمة النبوية الهادية، والكلمة المحمَّدية الحق، ولما كان على ما هو عليه، بل ولا على بعض منه».

وأقول له وبالله التوفيق:

الحكم على الحديث بالوضع لا يكون بمجرَّد كلام ينطق به من شاء؛ فالمحدِّث المعروف بذٰلك؛ لو قال: هٰذا حديث موضوع؛ لم يُقبل قوله؛ حتى يبيِّن سبب الحكم على الحديث بالوضع، فكيف بمن ليس الحديث بضاعته، ولا هو من أهل التصحيح والتضعيف؟!

وأما نفيك الجازم أن يكون الحديث صدر من رسول الله ﷺ؛ فيدل دلالة

قاطعـة على جهـل بالـغ وقـول على الله بلا علم؛ فهلاَّ ذكرتَ لنا واحداً من المحدِّثين الذين يعتدُّ بقولهم جزم بمثل ما جزمت به، أم أن قلبك لم يسعه ما وسع الأولين الذين صحَّحوا الحديث وارتضوه؟!

والرسول عليه الصلاة والسلام ـ كما قلت ـ لا يقول إلا الحق، ولا ينطق عن الهوى، وقد قيَّض الله تبارك وتعالى من يذبُّ عن سنَّة رسول الله ﷺ من العلماء والجهابذة، ولستَ منهم بحمد الله، بل انضممتَ إلى صف من يكذبون على رسول الله ﷺ بتكذيبك دون برهان سوى استخدام عقلك القاصر لحديث رسول الله ﷺ الذي ارتضاه أهل العلم من هٰذه الأمَّة وقبلوه.

وعلَّلت نفيك وتكذيبك بحديث رسول الله ﷺ؛ بأن هٰذا الحديث؛ لو قاله ﷺ في جمع من الصحابة؛ لتواتر نقله، والتقت كلمة الرواة على روايته.

إنك بتعليلك هٰذا سرتَ مع من ابتدعوا تلك البدعة وصدَّقوها وروَّجوا لها، وهي قولهم: «حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة»، ومع كون هٰذا القول بدعة لا يعرفها السلف؛ فأدلَّة الكتاب والسنة وعمل الصحابة وأقوال أهل العلم تدلُّ دلالة قاطعة على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في كل أبواب الشريعة؛ سواء كان ذٰلك في الأمور العقائدية، أو الأحكام العملية، وأن التفريق بينهما بدعة محدثة.

قال ابن القيم رحمه الله:

«وهٰذا التفريق باطلٌ بإجماع الأمَّة؛ فإنها لم تزل تحتج بهٰذه الأحاديث في الخبـريات العلميات (يعني: العقيدة) كمـا تحتـج بهـا في الـطلبيات العمليات، ولا سيَّمـا والأحكام العملية تتضمَّن الخبر عن الله بأن شرع كذا وأوجبه ورضيه ديناً، فشرعه ودينه راجع إلى أسمائه وصفاته، ولم يزل الصحابة والتـابعـون وتـابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجُّون بهٰذه الأخبار في مسائل

الصفات والقدر والأسماء والأحكام، ولم يُنقل عن أحد منهم ألبتَّة أنه جوَّز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته، فأين سلف المفرِّقين بين البابين؟!

نعم؛ سلفهم بعض متأخري المتكلِّمين الذين لا عناية لهم بما جاء عن الله ورسوله وأصحابه، بل يصدُّون القلوب عن الاهتداء في هٰذا الباب بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة، ويحيلون على آراء المتكلِّمين وقواعد المتكلِّفين، فهم الذين يُعرَف عنهم التفريق بين الأمرين. . . وادَّعوا الإجماع على هٰذا التفريق، ولا يُحفظ ما جعلوه إجماعاً عن إمام من أئمة المسلمين ولا عن أحد من الصحابة والتابعين، فنطالبهم بفرق صحيح بين ما يجوز إثباته بخبر الواحد من الدين وما لا يجوز، ولا يجدون إلى الفرق سبيلاً إلا بدعاوٍ باطلة؛ كقول بعضهم: الأصوليات هي المسائل العلميات والفروعات هي المسائل العملية.

وهٰذا تفريق باطل أيضاً؛ فإن المطلوب من العمليات أمران: العلم والعمل، والمطلوب من العلميات: العلم والعمل أيضاً، وهو حب القلب وبغضه، وحبه للحق الذي دلَّت عليه وتضمنته، وبغضه للباطل الذي يخالفها، فليس العمل مقصوراً على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصلٌ لعمل الجوارح، وأعمال الجوارح تبع، فكل مسألة علميَّة؛ فإنه يتبعها إيمان القلب وتصديقه وحبه، وذٰلك عمل، بل هو أصل العمل.

وهٰذا مما غفل عنه كثير من المتكلِّمين في مسائل الإيمان، حيث ظنُّوا أنه مجرَّد التصديق دون الأعمال، وهٰذا من أقبح الغلط وأعظمه؛ فإن كثيراً من الكفار كانوا جازمين بصدق النبي ﷺ غير شاكِّين فيه؛ غير أنه لم يقترن بذٰلك التصديق عمل القلب؛ من حُبِّ ما جاء به، والرِّضا به وإرادته، والموالاة والمعاداة عليه؛ فلا تهمل هٰذا الموضع؛ فإنه مهم جدّاً، به تعرف حقيقة

الإيمان.

فالمسائل العلمية عملية، والمسائل العملية علمية؛ فإن الشارع لم يكتف من المكلَّفين في العمليات بمجرد العمل دون العلم، ولا في العلميات بمجرَّد العلم دون العمل».

قال شيخنا حفظه الله تعليقاً على كلام ابن القيم:

«تحرَّر من كلام ابن القيم رحمه الله أن التفريق المذكور[1]؛ مع كونه باطلاً بالإجماع لمخالفته ما جرى عليه السلف وتظاهر الأدلَّة المتقدِّمة على مخالفته؛ فهو باطل أيضاً من جهة تصوُّر المفرِّقين عدم وجوب اقتران العلم بالعمل والعمل بالعلم، وهٰذه نقطة هامَّة جدّاً، تساعد المؤمن على تفهُّم الموضوع جيداً، والإيمان ببطلان التفريق المذكور يقيناً»[2].

ثم وقفت على كلام لابن حجر في كتابةِ الأسئلة الفائقة بالأجوبة اللائقةِ كان أجاب به عن سؤال حول حديث الجساسة ولأهميته البالغة أنقله على طوله: قال رحمه الله:

سألتم[3] - رضي الله عنكم وأدام لكم التوفيق وأرشدكم إلى سواء الطريق - عن حديث فاطمة بنت قيس، في الجساسة[4]، وهل فيه علة لم يخرجه البخاري فإنه لا يقال [إنه][5] تركه لأجل الطول، فإنه ليس في الباب

(١) أي: بين العقائد والأحكام في قبول خبر الواحد.

(٢) «الحديث حجَّة بنفسه في العقائد والأحكام» لشيخنا حفظه الله (ص ٥٥ - ٥٧).

(٣) سأله من دمشق العلامة. خاتم المفسرين أبو الفرج عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الكرم الصنابحي، الحنبلي، ذكره السخاوي في الجواهر والدرر (٢١٥/ أ).

(٤) الجساسة: الدابة التي رآها تميم الداري في جزيرة البحر، وإنها سميت بذلك لأنها تجُسُّ الأخبار للدجال. النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٧٢).

(٥) الزيادة من جمان الدرر (١٠١/ب).

شيء يغني عنه.

وأيضاً فإن الصحابة [رضي الله عنهم] اختلفوا وشكوا في ابن صياد [1] حتى بعد موت النبي ﷺ فلو سمعوا هذه الخطبة لما أشكل عليهم، ولا يمكن أن تكون فاطمة بنت قيس [رضي الله عنها] سمعته وحدها، (إذ هو)[2] خاص، بل هو أمر عام، انتهى.

والجواب: إنّ هذا السؤال يتضمن[3] أموراً، أولها: أنه[4] لم يخرجه البخاري، وانفرد بإخراجه مسلم[5] فأقول: ليست له علة قادحة، تقتضي ترك

---

(١) هو عبد الله بن صياد أو ابن صائد، سمته أمه صاف، قال الحافظ ابن حجر: ذكره ابن شاهين والباوردي، وابن السكن، وأبو موسى في الذيل، وقال ابن شاهين: كان أبوه من اليهود، ولا يدري من أي قبيلة هو. وهو الذي يقال إنه الدجال، ولد على عهد رسول الله ﷺ أعور مختوناً، ومن ولده عمارة بن عبد الله بن صياد، وكان من خيار المسلمين من أصحاب سعيد بن المسيب، وكذلك ذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٣/ ٢٨٢).

وقال الحافظ ابن حجر: وفي الجملة لا معنى لذكر ابن صياد في الصحابة لأنه إن كان الدجال فليس بصحابي قطعاً، لأنه يموت كافراً، وإن كان غيره فهو حال لقيه النبي ﷺ لم يكن مسلماً. (الإصابة ٣/ ١٣٣).

وممن كان يحلف على أنه هو الدجال عمر، وجابر رضي الله عنهما كما عند البخاري (١٣/ ٣٢٣)، مسلم (٤/ ٢٢٤٣)، وأبي داود (٤/ ١٢١)، وابن عمر رضي الله عنهما كما في سنن أبي داود (٤/ ١٢٠)، وأبو ذر رضي الله عنه كما في مسند أحمد (١٤٨/٥)، وابن مسعود رضي الله عنه كما في المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ١٣٤)، وفي مسند أبي يعلى (٥/ ٤٧٩)، واسنادهم صحيح.

والراجح ـ والله أعلم ـ أنه كان دجالاً من الدجاجلة لما سيأتي من حديث الجساسة.
أنظر معالم السنن للخطابي مع مختصر المنذري (٦/ ١٨١ ـ ١٨٤)، وشرح مسلم للنووي (٤٦/١٨)، وفتح الباري (١٣/ ٣٢٣ ـ ٣٢٩).

(٢) في جمان الدرر «ولا هو» ص ١٠١/ب.

(٣) في جمان الدرر «تضمن» ص ١٠١/ب.

(٤) في جمان الدرر «لِمَ» ص ١٠١/ب.

(٥) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة (٤/ ٢٢٦١ ح ٢٩٤٢) من طريق عبد الله بن بريدة؛ وسيار أبي الحكم؛ وغيلان بن جرير وأبي الزناد؛

البخاري لتخريجه وطوله لا يقتضي العدول عنه، فإنه أخرج (عدة)[1] من الطوال، ولم يختصرها في بعض المواضع، مع أن حاجته منها إنما هي لبعض الحديث، كما في حديث الإفك، حيث أخرجه بطوله في كتاب الشهادات في باب تعديل النساء[2].

ومن جملة الطوال، ما أكثره من كلام الراوي لا / [١٠/ب] من كلام الرسول عليه الصلاة والسلام كما في حديث أبي سفيان [رضي الله عنه] في

= وأخرجه أيضاً أبـو داود، كتاب الملاحم، باب في خبر الجساسة (٤/ ١١٨ ح ٤٣٢٦) من طريق عبد الله بن بريدة؛

والترمزي كتاب الفتن، باب ٦٦ (٤/ ٥٢١ ح ٢٢٥٣) من طريق قتادة بن دعامة..... وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ١٢/ ٤٦٣)؛

وأحمد في المسند (٦/ ٣٧٤، ٤١٣، ٤١٨):

كلاهما من طريق داود بن أبي هند:

ستتهم عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس.

والحديث أخرجه أبو داود وابن ماجة وأحمد من طريق مجالد، سيأتي ذكره عند المصنف ومجالد بن سعيد ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره، مات ١٤٤ هـ. (التقريب ٢/ ٢٢٩).

(١) في الجواهر والدرر (٢١٥/أ)، وفي جمان الدرر (١٠١/ب) «غيره».

(٢) من طريق فليح بن سليمان. انظر فتح الباري (٥/ ٢٦٩ ح ٢٦٦١)،

وأيضاً أخرج بطوله في كتاب المغازي، باب حديث الإفك (٧/ ٤٣١ ح ٤١٤١) من طريق صالح بن كيسان؛

وفي كتاب التفسير، باب لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا (٨/ ٤٥٢ ح ٤٧٥٠) من طريق يونس بن يزيد:

ثلاثتهم عن الزهري، عن مشائخه الأربعة وهم عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود رضي الله عنهم، عن عائشة رضي الله عنها.

ووصله الحافظ ابن حجر: انظر هدي الساري (ص٥٤) وتغليق التعليق (٤/ ٢٦٥).

وقد أخرجه البخاري مختصراً في مواضع: أنظر فتح الباري (٥/ ٢٤٨ ح ٢٦٣٧ و١٣/ ٤٦٥، ٥١٨ ح ٧٥٠٠، ٧٥٤٥) من طريق يونس؛ و(١٣/ ٣٣٩ ح ٧٣٦٩) من طريق =

قصة هرقل[1].

والذي عندي أن البخاري أعرض عنه لما وقع (من)[2] الصحابة رضي الله عنهم في أمر ابن صياد، ويظهر لي أنه رجع عنده ما رجح عند عمر وجابر وغيرهما [رضي الله عنهم] من (أن)[3] ابن صياد هو الدجال. وظاهر حديث فاطمة بنت قيس يأبى ذلك، فاقتصر على ما رجح عنده، وهو على ما يظهر بالاستقراء من صنيعه يؤثر الأرجح على الراجح، وهذا منه[4].

الأمر الثاني: مما تضمنه السؤال، الإشارة إلى أن الصحابة [رضي الله عنهم] لو سمعوا الخطبة التي نقلتها فاطمة بنت قيس [رضي الله عنها] لما شكوا حتى بعد موت النبي ﷺ في ابن صياد.

فأقول: بل ورد أن بعض الصحابة الذين سمعوا الخطبة كما سمعتها فاطمة [رضي الله عنها] استمروا على الشك في كون ابن صياد هو الدجال. كما سأبينه.

الأمر الثالث: الإشارة إلى أن فاطمة بنت قيس [رضي الله عنها] تفردت برواية الخطبة المذكورة، مع استبعاد أن تكون سمعتها وحدها، فما السرّ في كون بقية من سمعها [معها][5] لم يرووها[6] كما روتها؟

صالح بن كيسان:

كلاهما عن الزهري عن مشائخه الأربعة عن عائشة رضي الله عنها.

و(١٣/ ٣٣٩ ح ٧٣٧٠) من طريق عروة عن عائشة. و(٨/ ٤٨٢ ح ٤٧٥١) من حديث أم رومان.

(١) انظر فتح الباري، كتاب بدء الوحي، باب ٦ (١/ ٣١ ح ٧).

(٢) في الجواهر والدرر (٢١٥/ أ)، وفي جمان الدرر (١٠٢/ أ) «بين».

(٣) في الأصل «ابن» والتصحيح من الجواهر والدرر، وجمان الدرر.

(٤) في جمان الدرر «ديدنه» (١٠٢/ أ).

(٥) الزيادة من الجواهر والدرر (٢١٥/ أ)، وجمان الدرر (١٠٢/ أ).

(٦) في الجواهر والدرر وجمان الدرر «لم يروها».

فأقول: لم تنفرد [رضي الله عنها] بسماعها ولا بروايتها، بل جاءت القصة مروية من جماعة من الصحابة غيرها، ودل ورودها علينا من رواية عائشة أم المؤمنين، وأبي هريرة، وجابر وغيرهم [رضي الله عنهم] على أن جماعة آخرين رووها، وإن لم تتصل بنا روايتهم.

أما حديث عائشة وأبي هريرة [رضي الله عنهما] فهو عند الإمام أحمد في مسنده، أورده في مسند فاطمة بنت قيس [رضي الله عنها] فقال فيه:

حدثنا يحى بن سعيد[1] ـ هو القطان ـ حدثنا مجالد[2] (عن)[3] عامر[4] وهو الشعبي ـ قال: قدمت المدينة/[١١/أ] فأتيت قيس [رضي الله عنها] فحدثتني أن زوجها طلقها.......... فذكر الحديث.

وفيه: فلما أردت أن أخرج، قالت: اجلس، حتى أحدثك حديثاً عن رسول الله ﷺ، قالت: خرج رسول الله ﷺ يوماً من الأيام، فصلى صلاة الهاجرة، ثم قعد ـ يعني على المنبر ـ ففزع الناس، وقال: اجلسوا أيها الناس، فإني لم أقم مقامي هذا الفزع، ولكن تميم[5] الداري أتاني فأخبرني خبراً

---

(١) هو يحيى بن سعيد بن فروخ ـ بفتح الفاء وتشديد الراء المضمومة وسكون الواو ثم معجمة ـ التميمي، أبو سعيد القطان، البصري ثقة متقن حافظ، إمام قدوة، من كبار التاسعة مات سنة ١٩٨ هـ ـ وله ثمان وسبعون سنة/ع.

تقريب التهذيب (٢/٣٤٨)، تهذيب الكمال (٣/١٤٩٨)، تهذيب التهذيب (١١/٢١٦).

(٢) هو ابن سعيد بن عمير، الهمداني، أبو عمرو، الكوفي، ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره، من صغار السادسة، مات ١٤٤ هـ / م عه.

التقريب (٢/ ٢٢٩)، تهذيب الكمال (٣/ ١٣٠٤)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٩).

(٣) في مسند أحمد «قال حدثنا».

(٤) هو ابن شراحيل، أبو عمرو، ثقة مشهور، فقيه فاضل من الثالثة، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، مات بعد المائة، وله نحو من ثمانين سنة/ع.

التقريب (١/ ٣٨٧)، تهذيب الكمال (٢/ ٦٤٣)، تهذيب التهذيب (٥/ ٦٥).

(٥) في مسند أحمد «تميماً» منون منصوب وهو الصحيح.

يمنعني[1] من القيلولة من الفرح . . . . الحديث بطوله .

وفيه : قال عامر : فلقيت المحرر بن أبي هريرة[2] فحدثته بحديث فاطمة بنت قيس [رضي الله عنها] فقال: أشهد على أبي أنه حدثني كما حدثتك فاطمة، غير أنه قال : [ ][3] إنه في نحو المشرق .

قال: ثم لقيت القاسم بن محمد[4]، فذكرت له حديث فاطمة بنت قيس [رضي الله عنها]، فقال: أشهد على عائشة [رضي الله عنها] أنها حدثتني كما حدثتك فاطمة غير أنها قالت: الحرمان عليه حرام؛ مكة والمدينة[5].

قلت: وقد أخرج أبو داود في السنن[6] هذا الحديث من رواية مجالد[7]، لكنه اقتصر على حديث فاطمة بنت قيس [رضي الله عنها] ولم يسق لفظه، بل أحال به على طريق أخرى، عن فاطمة [رضي الله عنها] قبله[8]. ولم يتعرض للزيادة في آخره.

وأخرجه ابن ماجة من رواية مجالد أيضاً مقتصراً على حديث فاطمة بنت

---

(١) في الجواهر والدرر (٢١٥/ب)، وفي جمان الدرر (١٠٢/ب)، وفي مسند أحمد «منعني القيلولة» والظاهر «يمنعني» لأن الخطبة ألقيت قبل القيلولة بعد الصلاة مباشرة كما في رواية مسلم «فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر ......» صحيح مسلم (٤/ ٢٢٦١ ـ ٢٢٦٢ ح ٢٩٤٢).

(٢) هو الدوسي، المدني، مقبول، من الرابعة، مات في الخلافة عمر بن عبد العزيز /س ق.

التقريب (٢/ ٢٣١)، تهذيب الكمال (٣/ ١٣٠٨)، تهذيب التهذيب (١٠(٥٥).

(٣) في مسند أحمد [قال رسول الله ﷺ إنه نحو المشرق].

(٤) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، التميمي، ثقة، أحد الفقهاء بالمدينة، قال أيوب: ما رأيت أفضل منه، من كبار الثالثة، مات ١٠٦ هـ على الصحيح /ع.

التقريب (٢/ ١٢٠)، تهذيب الكمال (٢/ ١١١٥)، تهذيب التهذيب (٨/ ٣٣٣).

(٥) أنظر مسند أحمد بن حنبل (٦/ ٣٧٤، ٤١٨).

(٦) كتاب الملاحم، باب في خبر الجساسة (٤/ ١١٩ ح ٤٣٢٧).

(٧) في الجواهر والدرر وجمان الدرر «مجاهد» وهو خطأ.

(٨) وهي رواية عبد الله بن بريدة عن عامر الشعبي، عن فاطمة رضي الله عنها.

قيس [رضي الله عنها][1].

وأخرج أبو يعلى من طريق أبي هريرة [رضي الله عنه] أن رسول الله ﷺ استوى على المنبر فقال: حدثني تميم، فرأى تميماً في ناحية المسجد، فقال يا تميم: حدث الناس بما حدثتني..... فذكر الحديث باختصار[2].

وهذا لا ينافي ما وقع في رواية فاطمة بنت قيس [رضي الله عنها] لاحتمال أن يكون ﷺ قص القصة / [١١/ ب] كلها كما في رواية فاطمة [رضي الله عنها] ثم رأى تميماً [رضي الله عنه] فأمره أن يقص عليهم ماقص عنه تأكيداً، ويستفاد من ذلك مشروعية طلب علو الإسناد، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما حديث جابر [رضي الله عنه] فأخرجه أبو داود وقال:

حدثنا وأصل بن عبد الأعلى[3]، حدثنا[4] ابن فضيل[5] [هو محمد][6]، عن الوليد بن عبد الله بن جميع[7]، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن[8]، عن جابر

(١) السنن، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج (٢/ ١٣٥٤ ح ٤٠٧٤).

(٢) لم أعثر عليه في المسند ولا في المعجم له.

(٣) هو الأسدي أبو القاسم أو أبو محمد الكوفي، ثقة، من العاشرة، مات ٢٤٤ هـ/ م عه.

التقريب (٢/ ٣٢٨)، تهذيب الكمال (٣/ ١٤٥٨)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٠٤).

(٤) في سنن أبي داود «أخبرنا».

(٥) هو محمد بن فضيل بن غزوان ـ بفتح المعجمة وسكون الزاي ـ الضبي مولاهم، أبو عبد الرحمن الكوفي، صدوق عارف، رمي بالتشيع، من التاسعة. مات ١٩٥ هـ/ع.

التقريب (٢/ ٢٠٠)، تهذيب الكمال (٣/ ١٢٥٩)، تهذيب التهذيب (٦/ ٤٠٥).

(٦) الإضافة من الجواهر والدرر (٢١٥/ب)، زجمان الدرر (١٠٢/ب).

(٧) هو الزهري، المكي، نزيل الكوفة، صدوق يهم، ورمى بالتشيع، من الخامسة / بخ م د ت س.

التقريب (٢/ ٣٣٣)، تهذيب الكمال (٣/ ١٤٦٩)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٣٨).

(٨) هو الزهري، المدني، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، ثقة مكثر، من=

[رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم على المنبر: إنه بينما أناس يسيرون في البحر، فنفد طعامهم، فرفعت لهم جزيرة، فخرجوا يريدون الخبز فلقيتهم الجساسة، فقلت لأبي سلمة: ما الجساسة؟ قال: إمرأة تجر شعر جلدها ورأسها، قالت: في هذا القصر رجل؟ قال: فذكر الحديث.

وفيه: وسأل عن نخل بيسان[1]، وعين زغر[2] قال: هو المسيح، فقال لي ابن أبي سلمة: إن هذا الحديث شيئاً ما حفظته، قال: شهد جابر أنه ابن صياد، فقلت: فإنه قد مات، قال: وإن مات، قلت: فإنه أسلم، قال: وإن أسلم، قلت: فإنه دخل المدينة، قال: وإن دخل المدينة[3].

وأخرجه أبو يعلى بإسنادين[4]، رجال أحدهما رجال الصحيح، كذا قاله شيخنا الهيثمي في الزوائد[5].

= الثالثة، مات ٩٤ هـ وكان مولده سنة بضع وعشرين / ع.

التقريب (٢/ ٤٣٠)، تهذيب الكمال (٣/ ١٦١٠)، تهذيب التهذيب (١٢/ ١١٥).

(١) بيسان ـ بالفتح ثم السكون وسين مهملة ونون ـ مدينة بالأردن بالغور الشامي، وهي بين حوران وفلسطين، توصف بكثرة النخل والآن في حدود فلسطين قريب من نهر الأرد، تقع من طبرية جنوباً ومن جنين شرقاً.

انظر معجم ما استعجم (١/ ٢٩٢)، معجم البلدان (١/ ٥٢٧).

(٢) زغر ـ بوزن وآخره راء مهملة ـ وهي قرية بمشارف الشام. قال ياقوت الحموي: حدثني الثقة أن زغر هذه في طرف البحيرة المنتنة في واد هناك، بينها وبين بيت المقدس ثلاثة أيام، وهي من ناحية الحجاز، وقيل هي منسوبة إلى ابنة لوط عليه السلام تسمى «زغر».

أنظر معجم ما استعجم (٢/ ٦٩٩)، معجم البلدان (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

(٣) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في خبر الجساسة (٤/ ١١٩ ح ٤٣٢٨).

(٤) مسند أبي يعلى (٤/ ١١٩، ١٢٩، ١٤٢) أخرجه من ثلاثة طرق:

من طريق أبي هشام الرفاعي (وهو ليس بالقوي ـ التقريب ٢/ ٢١٩):

ومن طريق عبد الله بن عمر بن أبان (وهو صدوق فيه تشيع ـ التقريب ١/ ٤٣٥)؛

ومن طريق واصل بن عبد الأعلى (وهو ثقة ـ التقريب ٢/ ٣٢٨):

كلهم عن محمد بن فضيل، عن الوليد بن عبد الله، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر رضي الله عنه نحوه.

(٥) مجمع الزوائد (٧/ ٣٤٦).

والواقع أن السند الذي أشار إليه، هو سند أبي داود بعينه، فإن أبا يعلى أخرج الحديث عن واصل بن عبد الأعلى به.

الأمر الرابع في إيضاح هذا الإشكال: وهو أن ابن صياد على ما تضمنته الأخبار الواردة فيه ولد بالمدينة ونشأ بها، وجرى له في زمن النبي ﷺ أمور، منها في الصحيحين:

توجه النبي ﷺ إلى المكان الذي هو فيه، ووجده[1] في قطيفه[2] له فيها /[١٢/أ] زمزمة[3] وأن أمه أعلمته بمجيء النبي ﷺ فثار[4]، فقال النبي ﷺ: «لو تركته بيّن»[5].

ومنها: التقاء النبي ﷺ وسؤاله [إياه][6] عما يرى، وأنه خبأ له الدخ[7]،

---

(١) في الجواهر والدرر (٢١٦/أ)، وجمان الدرر (١٠٣/أ) «ووجد أنه إياه».

(٢) القطيفة: هي كساء له خمل ـ النهاية (٤/ ٨٤).

(٣) زمزمة: صوت خفي لا يكاد يفهم ـ النهاية (٢/ ٣١٣).

(٤) من ثار الشيء يثور، إذا انتشر وارتفع ـ النهاية (١/ ٢٢٩).

الثور: الهيجان والوثب ـ القاموس (١/ ٣٩٨)، مادة «ث و ر».

(٥) أخرجه البخاري في مواضع عديدة: أنظر فتح الباري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام (٣/ ٢١٨ ح ١٣٥٥) من طريق يونس بن يزيد:

وكتاب الشهادات، باب شهادة المختبىء (٥/ ٢٤٩ ح ٢٦٣٨)؛ وكتاب الأدب، باب قول الرجل للرجل اخسأ (١٠/ ٥٦١ ح ٦١٧٤):

كلا الحديثين من طريق شعيب بن أبي حمزة:

وكتاب الجهاد، باب ما يجوز من الإحتيال والحذر مع من يخشى معرته (٦/ ١٦٠ ح ٣٠٣٣) من طريق عقيل بن خالد:

وباب كيف يعرض الإسلام على الصبي (٦/ ١٧١ ح ٣٠٥٦) من طريق معمر بن راشد:

كلهم عن الزهري، عن سالم، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

وأخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد (٤/ ٢٢٤٤ ح ٢٩٣١) معلقاً على سالم.

(٦) الإضافة من الجواهر والدرر وجمان الدرر.

(٧) أخرجه البخاري في عدة مواضع: أنظر فتح الباري.

وغير ذلك مما تضمنته الأخبار الدالة على وجوده في عصر النبي ﷺ[1] ثم بقاءه بعد النبي ﷺ وغزوه مع المسلمين[2] وحجه، واعتماره، وتزوجه بالمدينة، وولد له بها[3] وفي ذلك قصص له مع أبي سعيد الخدري[4]، ومع ابن عمر[5]

= كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (٣/ ٢١٨ ح ١٣٥٤) من طريق يونس:

وكتاب الجهاد، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي (٦/ ١٧١ ح ٣٠٥٥) من طريق معمر:

وكتاب القدر، باب ما يحول بين المرء وقلبه (١١/ ٥١٣ ح ٦٦١٨) من طريق معمر:

وكتاب الأدب، باب قول الرجل للرجل اخسأ (١٠/ ٥٦٠ ح ٦١٧٣) من طريق شعيب بن أبي حمزة:

كلهم عن الزهري عن سالم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

وأخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد (٤/ ٢٢٤٤ ح ٢٩٣٠) من طريق يونس عن الزهري به.

(١) تدل عليه رواية الشيخين التي تقدم تخريجه الآن.

(٢) يدل عليه ما أخرجه أبو داود (٤/ ١٢١)، وما ذكره أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ٢٢، ٢٨٧ و ٢/ ١٠٧).

(٣) تدل على الجميع رواية أبي سعيد الخدري عند مسلم (٤/ ٢٢٤١ ح ٢٩٢٧) والترمذي (٤/ ٥١٦) وأحمد (٣/ ٧٩، ٩٧).

(٤) قصة ابن صياد مع أبي سعيد الخدري؛ أخرجه مسلم والترمذي وأحمد:

أما مسلم ففي كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد (٤/ ٢٢٤١ ح ٢٩٢٧) من طريق داود بن أبي هند ومن طريق سعيد بن إياس الجريري ومن طريق أبي معتمر؛

والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في ذكر ابن صياد (٤/ ٥١٦ ح ٢٢٤٦) من طريق سعيد بن إياس الجريري؛

وأحمد في المسند (٣/ ٧٩) من طريق عوف بن أبي جميلة؛

و (٣/ ٩٧) من طريق سعيد بن إياس الجريري:

كلهم عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

كلهم عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وسعيد بن إياس الجريري ثقة، اختلط قبل موته بثلاث سنين مات ١٤٤ هـ. (التقريب ١/ ٢٩١).

(٥) وقصته مع ابن عمر رضي الله عنهما:

[رضي الله عنهما] وكان هو يتبرأ من ذلك إذا بلغه أن الناس يرمونه (بأنه)[1] الدجال.

ويستدل بأنه غيره بالأمور التي هو متصف بها، إذ ذاك مما يخالف صفات جال، لكن ظهرت عليه مخايل تنبيء على صدق فراستهم فيه، حتى أنه كان يرمز أحياناً ويكاد يصرح بأنه هو، ولذلك كان جماعة من الصحابة [رضي الله عنهم] يجزمون بأنه هو، كما في الصحيحين عن عمر، وعن جابر [رضي الله عنهما][2]

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي ذر [رضي الله عنه] قال: لأن أحلف عشر مرار أن ابن صياد هو الدجال، أحب إلى من أن أحلف أنه ليس به[3]. وسنده صحيح[4].

= أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما جاء في ذكر ابن صياد (٤/٢٢٤٦ ح ٢٩٣٢) من طرق إلى أيوب بن موسى وعبد الله بن عون:

كلاهما عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(١) في الجواهر والدرر (٢١٦/ أ) وجمان الدرر)١٠٣/ أ) «باسم».

(٢) البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب من رأى ترك النكير من النبي ﷺ حجة لا من غير الرسول (١٣/ ٣٢٣ ح ٧٣٥٥) من طريق عبيد الله بن معاذ.

ومسلم، كتاب الفتن أشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد (٤/ ٢٢٤٣ ح ٢٩٢٩)؛

وأخرج أيضاً أبو داود، كتاب الملاحم ، باب في خبر ابن صياد (٤/ ١٢١ ح ٤٣٣١):

كلاهما عن عبيد الله بن معاذ، عن أبيه، عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، عن عمر رضي الله عنهما.

(٣) مسند أحمد (٥/ ١٤٨)، رجاله ثقات إلا الحارث بن حصيرة فهو صدوق يخطىء، رمى بالرفض. (التقريب ١/ ١٤٠).

والحديث طويل فإنه زاد بعد اللفظ المذكور: قال: وكان رسول الله ﷺ بعثني إلى أمه، قال: سلهاكم حملت به؟ قال: فأتيتها فسألتها، فقالت: حملت به اثنى عشر شهراً..... الحديث.

(٤) صححه الحافظ أيضاً في فتح الباري (١٣/ ٣٢٩) مع أن في الإسناد الحارث بن حصيرة وقد قال فيه: صدوق يخطىء رمى بالرفض. =

ومن حديث ابن مسعود [رضي الله عنه] قال: لأن أحلف تسعاً[1] أن ابن صياد هو الدجال أحب إلي من أن أحلف واحدة (أنه ليس به[2])[3]. /[١٠٣/ب].

أخرجه الطبراني[4].

وقد ثبت أن أبا ذر [رضي الله عنه] من أصدق الناس لهجة، وأن عمر [رضي الله عنه] ينطق الحق على لسانه فلا يقدمان على الحلف بأن ابن صياد الدجال، إلا بعد وضوح ذلك لهما.

ولكن توقف النبي ﷺ في ذلك في قوله لعمر [رضي الله عنه] لما أراد قتله: «إن يكن هو فلن تسلط عليه»[5] يقتضي /[١٢/ب] عدم الجزم.

ولعل النبي ﷺ أمر بأن يفصح بحاله فاستمر على التردد.

وفي تقريره تميماً [رضي الله عنه] على قصة الجساسة، وما ذكر معها، مما يقوى التردد فيه، ومع ذلك ففي قول من قال في الحديث الذي أخرجه أبو داود كما تقدم[6] أنه ابن صياد ولو أسلم، ولو دخل المدينة، ولو مات، إشارة إلى أن أمره ملتبس، وأنه جائز أن يكون ما ظهر من أمره إذ ذاك، لا ينافي ما يقع

= قال العقيلي بعد أن ذكر حديث أبي ذر في إرساله إلى أمه وسؤاله مدة حملها: ولا يتابع الحارث بن حصيرة على هذا. الضعفاء الكبير (١/ ٢١٧).

(١) في الأصل «سبعاً» والتصحيح من الجواهر والدرر وجمان الدرر ومسند أبي يعلى.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥/ ٤٧٩ ح ٣٠٥) في حديث طويل.

قال الهيثمي: رجال أبي يعلى رجال الصحيح. مجمع الزوائد (٨/ ٥).

(٣) ما بين المعكوفين لم يذكر في مسند أبي يعلى.

(٤) المعجم الكبير (١٠/ ١٣٤) من طريق الأعمش، مثل رواية أبي يعلى.

وفيه: إسماعيل بن عياش وهو صدوق في روايته عن أهل بلده، مختلط في غيرهم. (التقريب ١/ ٧٣).

وجعفر بن الحارث الواسطي، هو صدوق كثير الخطأ. (التقريب ١/ ١٣٠).

(٥) هذا طرف من حديث صحيح، مضى تخريجه في (ص٣٢):

(٦) في (ص٣٠). من حديث جابر رضي الله عنه.

منه بعد خروجه في آخر الزمان، وحينئذ فيحتمل في طريق الجمع بين خبر تميم الداري وما عرف /[٢١٦/ب] من حال ابن صياد، أن الله سبحانه وتعالى أخرجه إلى الجزيرة المذكورة على الصفة المذكورة في ذلك الوقت، حتى رأه تميم ومن معه، وأخبر النبي ﷺ بما سمع منه في ذلك ليكون سوعظة وتحذيراً من فتنته إذا خرج.

وفيه إشارة إلى أن أموره ملتبسة، غير متضحة. ويحتمل أن يكون الله سبحانه وتعالى أظهر لأولئك مثالاً على صفته بما يؤل إليه حاله، بعد أن يتحول من المدينة الشريفة التي من شأنها أن تنفى[١] خبثها[٢]، وأنه يسجن في تلك الجزيرة إلى أن يأذن الله تعالى في خروجه في الوقت الذي يريده، ويكون ذلك من جملة الأمور التي يستمر بها خفاء حاله، وعدم الوقوف على حقيقة أمره، لما يريده الله تعالى من الإفتتان به في أول أمره وفي آخره.

وقد اختلف في الوقت الذي فقد فيه، فأخرج أبو داود من طريق الأعمش[٣]، عن سالم بن أبي الجعد[٤]، عن جابر بن عبد الله [رضي الله

---

(١) تنفى: أي تخرج عنها، وهو من النفي أي الإبعاد عن البلد، يقال: نفيته أنفيته نفياً، إذا أخرجته من البلد وطردته. (النهاية ٥/ ١٠١).

(٢) خبثها: الخَبَث ـ بفتحتين ـ النجس. (النهاية ٢/ ٤).

(٣) هو سليمان بن مهران، الأسدي، الكاهلي، أبو محمد الكوفي.

ثقة حافظ، عارف بالقراءة ورع لكنه يدلس، من الخامسة، مات ١٤٧ هـ وكان مولده أول إحدى وستين/ع.

وهو في المرتبة الثانية من مراتب التدليس، وهي المرتبة التي احتمل الأئمة تدليسهم، وأخرجوا لهم في الصحيح لإمامتهم وقلة تدليسهم في جنب ما رووا كالثورى.

أو كانوا لا يدلسون إلا عن ثقة كابن عيينة، وعددهم ثلاثة وثلاثون.

التقريب (١/ ٣٣١)، تهذيب الكمال (١/ ٥٤٦)، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٢٢)، تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس (ص٦٧).

(٤) هو ابن رافع، الغطفاني، الأشجعي مولاهم، الكوفي.

ثقة، وكان يرسل كثيراً، من الثالثة، مات سنة ٩٨ هـ أو بعدها/ع. =

عنهما] قال: فقدنا ابن صياد يوم الحرة[١]. وسنده /[١٠٤/أ] صحيح[٢].

(وجزم[٣] جماعة /[١٣/أ] بأنه مات في هذا الحدود، ولكن وقع لي أمر يقتضي أنه لم يمت، وإن كان فقد)[٤].

فأخرج أبو نعيم في أوائل تاريخ أصبهان له من طريق جعفر بن سليمان الضُبَعي[٥]، عن شبيل بن عزرة[٦] قال: حدثني حسان بن عبد الرحمن[٧]، عن

= حديثه عن عمر وعثمان وعلي وعائشة وابن مسعود وثوبان وكعب بن مرة وشرحبيل بن السمط وأم سلمة وعمرو بن عنبسة وأبي الدرداء وأبي أمامة مرسل، وحديثه عن جابر في الصحيحين.

التقريب (١/ ٢٧٩)، الجراح والتعديل (٤/ ١٨١)، تهذيب الكمال (١/ ٤٥٩)، ميزان الاعتدال (٢/ ١٠٩)، جامع التحصيل (ص٢١٧)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٣٢).

(١) يوم الحرة: هو يوم مشهور في الإسلام، أيام يزيد بن معاوية، لما انتهب المدينة عسكره من أهل الشام الذين ندبهم لقتال أهل المدينة من الصحابة والتابعين، وأمّر عليهم مسلم بن عقبة المري في ذي الحجة سنة ٦٣ هـ وعقيبها هلك يزيد.

والحرة: أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة، وكانت الوقعة بها.

(النهاية ١/ ٣٦٥).

(٢) السنن لأبي داود (٤/ ١٢١ ح ٤٣٣٢).

(٣) في الجواهر والدرر (٢١٦/ب) «صرح».

(٤) مابين المعكوفين ساقط من جمان الدرر.

(٥) هو الضُبَعي ـ بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة ـ أبو سليمان البصري صدوق زاهد، لكنه كان يتشيع، من الثامنة، مات ١٧٨ هـ/ بخ م عه.

التقريب (١(١٣١)، تهذيب الكمال (١(١٩٦)، تهذيب التهذيب (٢(٩٥).

(٦) هو شبيل ـ بالتصغير ـ بن عزرة، الضبعي، أبو عمر البصري، النحوي صدوق يهم، من الخامسة / د.

التقريب (١/ ٣٤٦)، تهذيب الكمال (٢/ ٥٧٢)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣١٠).

(٧) هو الضُبَعي، قدم أصبهان مع أبي موسى، يعد في البصريين، قال أبو الشيخ: وله حديث لم يحدث به غيره. قال البخاري: حسان عن النبي ﷺ مرسل.

التاريخ الكبير (٣/ ٣١)، الجرح والتعديل (٣/ ٢٣٦)، طبقات المحدثين بأصبهان والواردين بها (١/ ٣٦٢)، ذكر أخبار أصبهان (١/ ٢٨٧)، أسد الغابة (٢/ ٨)، الإصابة (١/ ٣٩٤).

أبيه[1]، قال: لما افتتحنا أصبهان[2]، كان بين عسكرنا وبين اليهودية[3] - يعني بلداً بأصبهان - فرسخ[4]، فكنا نأتيها فنتمار[5] منها فأتيتها يوماً، فإذا اليهود يزفنون[6]، ويضربون، فأتيت صديقاً لي منهم، فقلت: ما شأنكم؟ أتريدون أن تنزعوا يداً من طاعة [الله][7]؟ فقال: لا، ولكن ملكنا الذي[8] نستفتح به على العرب، يدخل المدينة غداً، فذكر القصة.

وفيها أنه بات هناك، فلما أصبح رأي اليهود مجتمعين، وبينهم رجل، عليه[9] من ريحان[10] وهم حوله يزفنون ويضربون، قال: فنظرت فإذا هو ابن

(١) هو عبد الرحمن، أبو حسان، الضبعي، البصري، قدم أصفهان مع أبي موسى روى عنه ابنه حسان، ذكر أخبار أصبهان (٢/ ١٠٧).

(٢) أصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن من بلاد فارس وهو إسم للأقليم بأسره، اختلف في سبب تسميته.

معجم ما استعجم (١/ ١٦٣)، معجم البلدان (١/ ٢٠٦).

(٣) اليهودية: نسبة إلى يهود في موضعين: أحدهما محلة بجرجان، والآخر بأصبهان، وهو موضع إلى جنب جيّ مدينة أصبهان، كانت العمارات متصلة والآن خرب ما بين جيّ واليهودية، ومدينة أصبهان العظمى هي اليهودية. معجم البلدان (٥/ ٤٥٣ - ٤٥٤).

(٤) فرسخ: كل شيء دائم كثير لا ينقطع، والفرسخ من المسافة المعلومة من الأرض مأخوذ منه. قال الزبيدي: هو ثلاثة أميال هاشمية أو إثنا عشر ألف ذراع أو عشرة آلاف ذراع. (النهاية ٣/ ٤٢٩)، (تاج العروس: مادة فرسخ)، (القاموس: فرسخ).

(٥) نمتار: أي نجلب الميرة: وهو الطعام.

النهاية (٤/ ٣٧٩)، (القاموس: م ي ر).

(٦) يزفنون: أي يرقصون من زَفَن يَزْفِنُ. (القاموس ٤/ ٢٣٣).

(٧) الزيادة من جمان الدرر (١٠٤/ أ).

(٨) في الأصل «التي» والتصحيح من أخبار أصبهان والجواهر والدرر وجمان الدرر

(٩) قبة: بيت صغير مستدير من الخيام وهو من بيوت العرب. النهاية (٤/ ٣).

(١٠) ريحان: هو كل نبت طيب الريح من أنواع المشموم. النهاية (٢/ ٢٨٨).

صياد، فلم نره بعد[1]، انتهى.

فإن ثبت هذا الأثر فلعله لما خرج من المدينة النبوية، صحبه العسكر الواصل إلى أصبهان، ودخلها أحد منها إلى المقر الذي يحبس فيه إلى أن يؤذن له في الخروج.

وقد أخرج أحمد في مسنده، بسند حسن، عن أنس [رضي الله عنه] عن النبي ﷺ قال: «يخرج الدجال من يهودية أصبهان»[2].

وأخرج الطبراني من حديث عمران بن حصين [رضي الله عنه] رفعه قال: «يخرج الدجال من قبل أصبهان»[3].

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب في أمره، ونسأل الله تعالى أن يعيذنا من فتنته، إنه سميع بصير.

٣) أسأل المعلِّق ـ وليتَّق الله في الجواب ـ: هل لو تواتر الحديث حقّاً؛ أكنت أخذت به؟

أقول لك: لا وألف لا، وليس هٰذا تجنِّياً عليك، ولكن من فمك أدينك.

نقد رددت الأحاديث المتواترة، ولكن بغير أسلوب ردِّ خبر الآحاد؛ لأنك

---

(١) كتاب ذكر أخبار أصبهان (١/ ٢٢، ٢٨٧؛ ٢/ ١٠٧).

(٢) المسند (٣/ ٢٢٤) وزاد فيه «معه سبعون ألفاً من اليهود عليهم التيجان».

وفي إسناده: محمد بن مصعب هو صدوق كثير الغلط. (تقريب ٢/ ٢٠٩) وبقية رجاله ثقات.

والحديث له شاهد من حديث عائشة، أخرجه أيضاً الإمام أحمد في المسند (٦/ ٧٥) وفيه: الحضرمي بن لاحق. قال الحافظ: لا بأس به. (التقريب ١/ ١٨٥) وبقية رجاله ثقات.

(٣) المعجم الكبير (١٨/ ١٥٤) وفيه: شيخ الطبراني محمد بن حيوة الجوهري الأهوازي، وشيخ شيخه: محمد بن منصور النحوي، لم أعثر على ترجمتهما.

وفيه: محمد بن الزبرقان، هو صدوق، ربما وهم. (التقريب ٢/ ١٦١) وبقية رجاله ثقات.

لو استخـدمت نفس الأسلوب؛ لانكشفْتَ أمـام القراء، وعرفوا أنهم أمام من يحاول هدم ركن الإسلام الثاني، وهو السنة.

فماذا فعلت لرد الأخبار المتواترة؟

لقـد لجـأت إلى طريقة المتكلِّمين، وهي التأويل، فنزول عيسى عليه السـلام عنـدك رمـز لانتصـار الخير على الشـر[1]! وكذٰلك خروج المهدي[2] والدجَّال رمز لانتصار الشر على الخير[3]! وما دابَّة الأرض إلا الجراثيم[4] المسببة للأمراض بزعمك!!

أليست أحـاديث نزول عيسى عليه السـلام متـواتـرة؟ وكذٰلك أحاديث الدجال؟ وخروج المهدي؟

نعم؛ هي كذٰلك، وهٰذا ما يشهد به أهل الاختصاص.

فهل قبلت التواتر أم رددْته بحجة أن ظاهر الأحاديث غير مراد؟!

سأسوق مثالين اثنين أحدهما قديم، والآخر حديث، يبيِّنان موقف بعض الفقهاء من الحديث وجهلهم بالسنَّة، وقد ساقهما شيخنا حفظه الله في كتابه «الحديث حجَّة بنفسه في العقائد والأحكام»، فقال:

الأول: قوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[5]؛ فهو مع كونه حديثاً صحيحاً مخرَّجاً في «الصحيحين»؛ فقد ردَّه الحنفيَّة بدعوى أنه مخالف لظاهر القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿فاقْرَؤوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[6]، فتأوَّلوه لكونه حديث

(١) «نهاية البداية والنهاية» (ص ١٥٨).

(٢) «نهاية البداية والنهاية» (ص ٣٧).

(٣) «نهاية البداية والنهاية» (ص ١١٨ و١١٩ و١٤٨ و١٥٢).

(٤)

(٥) متفق عليه، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٣٨٩).

(٦) المزمل: ٢٠.

آحاد بزعمهم، مع أن أمير المؤمنين في الحديث ـ وهو الإمام البخاري ـ صرَّح في مطلع كتابه «جزء القراءة» بأنه حديث متواتر عن رسول الله ﷺ.

ترى؛ ألم يكن من الواجب على هٰؤلاء أن يستفيدوا من علم هٰذا الإمام المختص بالحديث، ويُغيِّروا رأيهم فيه أنه آحاد، ويضمُّوه إلى الآية ويخصِّصوها به؟! هٰذا مع العلم بأن الآية الكريمة المذكورة هي في موضوع صلاة الليل وليست في موضوع القراءة المفروضة في الصلاة[1].

والثاني: حديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وهو مرويٌّ في الصحيحين أيضاً؛ فقد سُئِلت عنه منذ سنين مشيخة الأزهر؟ فأجاب أحدهم في «مجلة الرسالة» بأنه حديث آحاد، وأن مدار طرقه على وهب بن منبه وكعب الأحبار[2].

قال شيخنا:

«والحقيقة التي يشهد بها أهل الاختصاص والمعرفة بحديث رسول الله ﷺ أنه حديث متواتر، وقد كنت تتبَّعت أنا شخصياً طرقه إلى النبي ﷺ، فرأيته قد رواه عنه عليه الصلاة والسلام نحو أربعين صحابيّاً، أسانيد عشرين منهم على الأقل صحيحة، وبعضها له عند بعضهم أكثر من طريق واحد صحيح في الصحيحين والسنن والمسانيد والمعاجم وغيرها من كتب السنة، ومن الغريب أن كل هٰذه الطرق ليس فيها ذكر مطلقاً لوهب وكعب».

قال شيخنا:

«وقد كنت كتبت خلاصة للتَّتبُّع المشار إليه في صفحتين أرسلتهما إلى «الرسالة» يومئذ؛ راجياً أن تنشرهما؛ خدمة للعلم، ولكن لم يكتب لهما النشر!!

(١) «الحديث حجة بنفسه» (ص ٦٣ ـ ٦٤).

(٢) «الحديث حجة بنفسه» (ص ٦٤).

فهٰذان المثالان من مئات الأمثلة تبيِّن لنا أن الحديث النبويّ لم ينل من أهل العلم العناية الواجبة عليهم على اعتبار أنه الأصل الثاني للشريعة الإسلامية الذي بدونه لا يمكن أن يُفهم الأصل الأول فهماً صحيحاً كما أراده الله تبارك وتعالى، فوقعوا بسبب ذٰلك في هٰذا الجهل الفاضح بأحاديث النبي ﷺ، وهٰذا الانحراف المكشوف عن التصديق بها، وهي قطعاً مما جاء به عليه السلام، فأخذوا بعضه وتركوا بعضه، ﴿فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلك إلَّا . . . ﴾»[1].

قال شيخنا:

«والخلاصة أنه يجب على المسلم أن يؤمن بكل حديث ثبت عن رسول الله ﷺ عند أهل العلم به؛ سواء كان في العقائد أو الأحكام، وسواء أكان متواتراً أم آحاداً، وسواء أكان الآحاد عنده يفيد القطع واليقين أو الظن الغالب، فالواجب في كل ذٰلك الإيمان به والتسليم له، وبذٰلك يكون قد حقَّق في نفسه الاستجابة المأمور بها في كثير من الآيات؛ كقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا اسْتَجيبوا للهِ وللرَّسولِ إذا دَعاكُمْ لِما يُحييكُمْ واعْلَموا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَينَ المَرْءِ وقَلْبِهِ وأَنَّهُ إليهِ تُحْشَرونَ﴾[2].

وأرجو الله أن ينفع بهٰذه الكلمة، ويجعلها خالصة لوجهه، ناصرة لكتابه، ناصرة لسنَّة نبيِّه صلى الله عليه وسلم تسليماً»[3].

إن الجهل بالسنة هو سبب ادِّعاء من ادَّعى أن حديث الآحاد لا يفيد العلم؛ قال ابن القيم رحمه الله:

«فإذا قالوا: أخباره ﷺ وأحاديثه الصحيحة لا تفيد العلم؛ فهم مخرون

(١) «الحديث حجة بنفسه» (ص ٦٤ ـ ٦٥).

(٢) الأنفال: ٢٤.

(٣) «الحديث حجة بنفسه» (ص ٦٥).

عن أنفسهم أنهم لم يستفيدوا منها العلم، فهم صادقون فيما يخبرون به عن أنفسهم، كاذبون في إخبارهم أنها لا تفيد العلم لأهل الحديث والسنة»[1].

٤) وصف المعلِّق تأويلاته بأنها إشارات ضوء تهدي إلى الحق، وتدلُّ على سواء السبيل!! وهٰكذا انقلبت المفاهيم، أو أراد المعلِّق أن يقلبها!! أصبح الخطأ صواباً والصواب خطأً، والهدى ضلالاً والضلال هدىً، أصبح كلام رسول الله ﷺ كله مجازاً وليس حقيقة، غدت الظلمة نوراً وضوءاً والنور والضوء ظلمة، أصبح يُشار للجهلة بأنهم علماء وللعلماء أنهم جهلة ضالون.

وهٰكذا؛ فكلماتك إشارات ضوء، ولكنه ضوء خادع كالسراب، يحسبه الظمآن ماء لشدة عطشه.

وما كلماتك إلا كالعرش الذي رآه ابن صياد على الماء، فأراد بدجله أن يظنَّ رسول الله ﷺ ومن معه أنه (أي: ابن صياد) يرى عرش الرحمٰن، وإذا برسول الله ﷺ يخيِّب ظنَّه بأنه إنما يرى عرش إبليس[2].

أقول لك هٰذا مع علمي أن ابن صياد عندك حديث خرافة[3].

وهٰكذا وصفت أيها المعلِّق كلماتك بأنها إشارات ضوء يهدي إلى الحق، وأقول لك: بل هي إشارات ضوء خادعة، تضل عن سواء السبيل.

٣ ـ ذكر أسماء العلماء الذين حكموا بتواتر أحاديث المهدي:

ذكر كثير من العلماء أن أحاديث المهدي تواترت تواتراً معنوياً ومن هٰؤلاء العلماء:

---

(١) «الحديث حجة بنفسه» (ص ٦٢).

(٢) إشارة إلى الحديث الذي رواه مسلم عندما سأل رسول الله ﷺ ابن صياد: «ماذا ترى؟». فقال: أرى عرشاً على الماء. وسيأتي بتمامه إن شاء الله.

(٣) «نهاية البداية» (ص ١٠٤).

أ ـ الحافظ أبو الحسين محمد بن الحسين الآبري السجزي: صاحب كتاب «مناقب الشافعي»، المتوفى سنة ثلاث وستين وثلاث مئة من الهجرة.

قال رحمه الله في محمد بن خالد الجندي راوي حديث: «لا مهدي إلا عيسى بن مريم»:

«محمد بن خالد هٰذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل، وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هٰذه الأمة ويصلِّي عيسى خلفه».

وقد نقل كلامه هٰذا وارتضاه طائفة من العلماء؛ منهم:

١) ابن القيم في «المنار المنيف» وسكت عليه.

٢) الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» في ترجمة محمد بن خالد الجندي، وسكت عليه، ونقل عنه ذٰلك وسكت عليه أيضاً في «فتح الباري» في (باب نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام).

٣) السيوطي في جزء «العرف الوردي في أخبار المهدي»، وسكت عليه.

٤) مرعي بن يوسف في كتابه «فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر».

٥) صدِّيق حسن خان في كتابه «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة».

ب ـ محمد البرزنجي: المتوفَّى سنة ١١٠٣هـ، في كتابه «الإشاعة لأشراط الساعة»، فقال بعد أن ذكر أنه أول الأشراط العظام، وأن الأحاديث

الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر:

«**تنبيه**: قد علمت أن أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان وأنه من عترة الرسول ﷺ من ولد فاطمة بلغت حدّ التواتر المعنوي، فلا معنى لإنكارها».

وقال في ختام كتابه المذكور بعد الإشارة إلى بعض أمور تجري في آخر الزمان:

«وغاية ما ثبت بالأخبار الصحيحة الكثيرة الشهيرة التي بلغت التواتر المعنوي وجود الآيات العظام التي منها - بل أولها - خروج المهدي، وأنه يأتي في آخر الزمان، من ولد فاطمة، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً»[1].

ج - **محمد السفاريني**: المتوفى سنة ١١٨٨هـ، في كتابه «لوامع الأنوار البهية»؛ قال:

«وقد كثرت بخروجه - يعني: المهدي - الروايات حتى بلغت حدَّ التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عدَّ من معتقداتهم».

ثم ذكر بعض الآثار والأحاديث في خروج المهدي وأسماء بعض الصحابة الذين رووها، ثم قال:

«وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذُكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم: ما يفيد مجموعه العلم القطعي؛ فالإيمان بخروج المهدي واجب؛ كما هو مقرَّر عند أهل العلم ومدوَّن في عقائد أهل السنة والجماعة»[2].

---

(١) «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» (ص ١٧٢ و١٧٣).

(٢) «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» (ص ١٧٣).

د ـ **القاضي محمد بن علي الشوكاني**: المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، وهو صاحب التفسير المشهور، ومؤلف «نيل الأوطار»؛ قال في كتابه «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي والدجال والمسيح»:

«والأحاديث التي أمكن الوقوف عليها خمسون حديثاً، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك، ولا شبهة بل يصدق وصف المتواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحرَّرة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرِّحة بالمهدي؛ فهي كثيرة جدّاً، لها حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذٰلك».

وقال في مسألة نزول المسيح ﷺ:

«فتقرَّر أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، والأحاديث الواردة في الدجال متواترة، والأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه الصلاة والسلام متواترة».

نقل ذٰلك عنه الشيخ صدِّيق في «الإذاعة»[1].

هـ ـ **صدِّيق حسن خان القنوجي**: المتوفَّى سنة ١٣٠٧هـ؛ قال في كتابه «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»:

«والأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جدّاً، تبلغ حدَّ التواتر المعنوي، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد...».

إلى أن قال:

(١) «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» (ص ١٧٣ و١٧٤)

«لا شك أن المهدي يخرج في آخر الزمان؛ من غير تعيين لشهر وعام؛ لما تواتر من الأخبار في الباب، واتفق عليه جمهور الأمة خلفاً عن سلف؛ إلا من لا يُعتدُّ بخلافه. . .».

إلى أن قال:

«فلا معنى للريب في أمر ذٰلك الفاطمي الموعود المنتظر المدلول عليه بالأدلَّة، بل إنكار ذٰلك جرأةٌ عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلى حدِّ التواتر»[1].

و ـ محمد بن جعفر الكتاني: المتوفى سنة ١٣٤٥هـ؛ قال في كتابه «نظم المتناثر من الحديث المتواتر».

«والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، وكذا الواردة في الدجَّال، وفي نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام»[2].

ز ـ الحافظ السخاوي: جاء في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ص ١٤٤) ما نصه:

«وقد نقل غير واحد عن الحافظ السخاوي أنها متواترة، والسخاوي ذكر ذٰلك في «فتح المغيث»، ونقله عن أبي الحسين الآبري، وفي تأليف لأبي العلاء إدريس بن محمد بن إدريس الحسيني العراقي في المهدي هٰذا أن أحاديثه متواترة أو كادت».

وفي شرح الرسالة للشيخ جسوس ما نصه:

---

(١) «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» (ص ١٧٤).

(٢) «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» (ص ١٧٥).

«ورد خبر المهدي في أحاديث ذكر السخاوي أنها وصلت إلى حد التواتر»[1].

٤ ـ أقوال الناس في المهدي:

كثير هم الذين يتسترون بالدين لتنفيذ مآربهم، فترى أحدهم يلجأ لأحاديث من أحاديث رسول الله فيفسرها تفسيراً يسير مع هواه؛ لتتعلّق به أفئدة الناس، فإذا رأى أنه تمكّن من قلوب الناس؛ ألقى حولهم أحابيله، وطرح آراءه، التي تنفّذ مآربه.

ولقد صادفت عقيدة المهدي هوىً في نفوس الكثيرين، فادَّعى العديدون أنهم ذٰلك الرجل، فكان والحالة هٰذه لا بدَّ من بيان حقيقة المهدي رضي الله عنه؛ ليُعرف من أخبر عنه رسول الله ﷺ أنه المهدي.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «المنار المنيف في الصحيح والضعيف»:

«اختلف الناس في المهدي على أربعة أقوال:

أحدها: أنه المسيح بن مريم، وهو المهدي على الحقيقة.

واحتج أصحاب هٰذا القول بحديث محمد بن خالد الجندي: «لا مهدي إلا عيسى»[2]، وقد بيَّنَّا حاله، وأنه لا يصح، ولو صحَّ؛ لم يكن فيه حجَّة؛ لأن

---

(١) «عقد الدرر في أخبار المنتظر»، يوسف بن يحيى المقدسي، (ص ١٦)، وهو بتعليق الشيخ مهيب بن صالح البوريني.

(٢) قال شيخنا حفظه الله في «السلسلة الضعيفة» (١ / رقم ٧٧): «منكر. أخرجه ابن ماجه والحاكم وابن عبدالبر في «جامع العلم» وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» والسلفي في «الطيوريات» من طريق محمد بن خالد الجندي عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس مرفوعاً =

= بلفظ: «لا يزداد الأمر إلا شدَّة، ولا الدنيا إلا إدباراً، ولا الناس إلا شحّاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدي إلا عيسى بن مريم»».

قال شيخنا: «قلت: وهٰذا إسناد ضعيف، فيه علل ثلاث:

الأولى: عنعنة الحسن البصري؛ فإنه قد كان يدلِّس.

الثانية: جهالة محمد بن خالد الجندي؛ فإنه مجهول كما قال الحافظ في «التقريب» تبعاً لغيره كما يأتي.

الثالثة: الاختلاف في سنده.

قال البيهقي: «قال أبو عبدالله الحافظ: محمد بن خالد مجهول، واختلفوا عليه في إسناده، فرواه صامت بن معاذ؛ قال: ثنا يحيى بن السكن: ثنا محمد بن خالد... فذكره. قال صامت: عدَلْت إلى الجَنَد مسيرة يومين من صنعاء، فدخلت على محدِّث لهم، فوجدت هٰذا الحديث عنده عن محمد بن خالد عن أبان بن أبي عياش عن الحسن مرسلًا».

قال البيهقي: «فرجع الحديث إلى رواية محمد بن خالد الجندي، وهو مجهول، عن أبان بن أبي عياش، وهو متروك، عن الحسن عن النبي ﷺ، وهو منقطع.

والأحاديث في التنصيص على خروج المهدي أصح ألبتة إسناداً».

نقله في «التهذيب».

وقال الذهبي في «الميزان»: إنه خبر منكر، ثم ساق الرواية الأخيرة عن ابن أبي عياش عن الحسن مرسلًا، ثم قال: «فانكشف ووهي».

وقال الصغاني: «موضوع»؛ كما في «الأحاديث الموضوعة للشوكاني.

ونقل السيوطي في «العرف الوردي في أخبار المهدي» عن القرطبي أنه قال في «التذكرة»[أ]: «إسناد ضعيف، والأحاديث عن النبي ﷺ في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هٰذا الحديث، فالحكم بها دونه»».

قال شيخنا: «وقد أشار الحافظ في الفتح إلى ردِّ هٰذا الحديث لمخالفته لأحاديث المهدي».

قال شيخنا: «وهٰذا الحديث تستغلُّه الطائفة القاديانية في الدعوة لنبيهم المزعوم ميرزا غلام

(أ) «التذكرة» (ص ٧٠١).

عيسى أعظم مهديٍّ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين الساعة، وقد دلَّت السنة الصحيحة عن النبي ﷺ على نزوله على المنارة البيضاء شرقي دمشق[1]، وحكمه بكتاب الله[1]، ووضعه الجزية[1]، وإهلاك أهل الملل في زمانه[1]، فيصح أن يُقال: لا مهدي في الحقيقة سواه، وإن كان غيره مهديّاً؛ كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا ما وقى وجه صاحبه، وكما يصح أن يقال: إنما المهدي عيسى ابن مريم؛ يعني: المهدي الكامل المعصوم»[2].

والقول الثاني: أنه المهدي الذي وليَ من بني العباس، وقد انتهى زمانه.

قال ابن القيِّم:

«واحتج أصحاب هٰذا القول بما رواه أحمد في «مسنده»: حدثنا وكيع عن شريك عن علي بن زيد عن أبي قلابة عن ثوبان؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان؛ فأْتُوها ولو حبواً على الثلج؛ فإن فيها خليفة الله المهدي)[3]».

= أحمد القادياني الذي ادَّعى النبوَّة، ثمَّ ادَّعى أنه هو عيسى بن مريم المبشر بنزوله في آخر الزمان، وأنه لا مهدي إلا عيسى؛ بناء على هٰذا الحديث المنكر، وقد راجت دعواه هٰذه على كثيرين من ذوي الأحلام الضعيفة، شأن كل دعوة باطلة، لا تعدم من يتبنَّاها ويدعو إليها، وقد أُلِّفت كتب كثيرة في الرد على هٰؤلاء الضلَّال، ومن أحسنها رسالة الأستاذ الفاضل المجاهد أبي الأعلى المودودي في الرد عليها، وكتابه الآخر الذي صدر أخيراً بعنوان «البيانات»؛ فقد بيَّن فيهما حقيقة القاديانيين، وأنهم مرقوا من دين الإسلام بأدلَّة لا تقبل الشك، فليرجع إليهما من شاء».

قال شيخنا: «تنبيه: قوله في هٰذا الحديث: «ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»: هٰذه الجملة منه صحيحة ثابتة عنه ﷺ من حديث عبدالله بن مسعود خرَّجه مسلم وأحمد».

(1) وقد مرَّت أدلَّة ذٰلك كله في باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام.

(2) «المنار المنيف» لابن القيم (ص ١٤٥).

(3) «ضعيف الجامع» (رقم ٥٠٦).

قال ابن القيم:

«وروى ابن ماجه من حديث الثوري عن خالد عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان عن النبي ﷺ نحوه، وتابعه عبدالعزيز بن المختار عن خالد، وفي «سنن ابن ماجه» عن عبدالله بن مسعود؛ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلما رآهم النبي ﷺ؛ اغرورقت عيناه، وتغيَّر لونه. فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟ قال: (إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير، فلا يعطونه، فيقاتلون، فيُنصَرون، فيُعطون ما سألوا، فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها قسطاً كما ملؤوها جوراً، فمَن أدرك ذلك منكم؛ فليأتهم ولو حبواً على الثلج)».

قال رحمه الله:

«وهٰذا والذي قبله لو صح لم يكن فيه دليل على أن المهدي الذي تولى من بني العباس هو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، بل هو مهدي من جملة المهديين، وعمر بن عبدالعزيز كان مهديّاً، بل هو أولى باسم المهدي منه».

ثم قال رحمه الله:

«وقد قال رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي»[1]، وقد ذهب الإمام أحمد ـ في إحدى الروايتين عنه ـ

(١) يشير رحمه الله للحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن العرباض بن سارية رضي الله عنه؛ قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منه القلوب، فقال رجل: يا رسول الله! كأن هٰذه موعظة =

وغيره إلى أن عمر بن عبدالعزيز منهم، ولا ريب أنه كان راشداً مهديّاً، ولكن ليس بالمهدي الذي يخرج في آخر الزمان؛ فالمهدي في جانب الخير والرشد كالدَّجَّال في جانب الشر والضلال، وكما أن بين يدي الدجَّال الأكبر صاحب الخوارق دجَّالين كذَّابين؛ فكذٰلك بين يدي المهدي الأكبر مهديُّون راشدون»[1].

القول الثالث: هو قول أهل السنة والجماعة، وهو القول الصواب إن شاء الله، الذي تؤيده الأحاديث الصحيحة، والتي سبق وأوردناها.

قال ابن القيم رحمه الله:

«القول الثالث: أنه رجل من أهل بيت النبي ﷺ، من وَلَد الحسين بن علي، يخرج في آخر الزمان، وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً، فيملؤها قسطاً

= مودِّع، فأوصنا، فقال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشيّاً؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسَّكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[أ].

قال شيخنا: «وسنده صحيح. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في «اتباع السنن واجتناب البدع»».

تنبيه: قوله: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين.

قال شيخنا: «قال الشيخ القاري: فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي، فالإضافة إليهم إما لعملهم بها، أو لاستنباطهم واختيارهم إياها».

وقوله: «عضوا عليها بالنواجذ».

قال المنذري: «أي اجتهدوا على السنة، والزموها، واحرصوا عليها كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه خوفاً من ذهابه وتفلُّته».

(١) «المنار المنيف» (ص ١٤٨).

(أ) وهو في «المشكاة» (المجلد الأول / رقم ١٦٥).

وعدلاً، وأكثر الأحاديث على هٰذا تدل»[1].

القول الرابع: قول الرافضة ومن على شاكلتهم من الدجاجلة:

لقد صدق القائل: «ما رأيت أكذب من الرافضة»؛ فما تركوا جزئية من دين الله؛ إلا حرَّفوها ووضعوا بدلاً منها أضاليل وأكاذيب، ولا أظنُّ أن أحداً يخشى الله ويتّقيه ويعلم أنـه ملاقيه فيكذب مثل هٰذا الإفك، أعاذنا الله وإياكم من إفكهم وضلالهم.

قال ابن القيم رحمه الله:

«وأما الإمامية؛ فلهم قول رابع، وهو أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر، من ولد الحسين بن علي، لا من ولد الحسن، الحاضر في الأمصار، الغائب عن الأبصار، الذي يورث العصا، ويختم الفضا، دخل سرداب سامراء طفلاً صغيراً من أكثر من خمس مئة سنة[2]، فلم تره بعد ذٰلك عين، ولم يحسَّ فيه بخبر ولا أثر، وهم ينتظرونه كل يوم، يقفون بالخيل على باب السرداب، ويصيحون به أن يخرج إليهم: اخرج يا مولانا، اخرج يا مولانا، ثم يرجعون دون طائل»[3].

وأما الذين ادَّعوا أنهم هم المهدي وهم دجاجلة؛ فكثيرون؛ منهم:

أ ـ مهدي المغاربة محمد بن تومرت:

قال ابن القيِّم رحمه الله:

(١) «المنار المنيف» (ص ١٤٨).

(٢) هٰذا في زمن ابن القيم رحمه الله، وقد مضى الآن أكثر من ألف سنة ولم يخرج مهديهم من سردابه.

(٣) «المنار المنيف» (ص ١٤٩ ـ ١٥٠).

«هو رجل كذاب ظالم متغلِّب بالباطل، ملك بالظلم والتغلُّب والتحيُّل، فقتل النفوس، وأباح حريم المسلمين، وسبى ذراريهم، وأخذ أموالهم، وكان شرّاً على الملَّة من الحجاج بن يوسف بكثير، وكان يودع بطن الأرض في القبور جماعة من أصحابه أحياء، يأمرهم أن يقولوا للناس إنه المهدي الذي بشّر به النبي ﷺ، ثم يزدِم عليهم ليلاً لئلا يكذِّبوه بعد ذٰلك، وسمَّى أصحابه الجهميَّة بـ (الموحدين)، وهم نفاة صفات الرب وكلامه وعلوِّه على خلقه واستوائه على عرشه ورؤية المؤمنين له بالأبصار يوم القيامة، واستباح قتْل من خالفهم من أهل العلم والإيمان، وتسمَّى بالمهدي المعصوم»[1].

ب ـ المهدي الملحد عبيدالله بن ميمون القدَّاح:

قال ابن القيِّم رحمه الله:

«كان جدُّه يهوديّاً من بيت مجوسي، فانتسب بالكذب والزور إلى أهل البيت، وادَّعى أنه المهدي الذي بشَّر به النبي ﷺ، وملك وتغلَّب واستفحل أمره، إلى أن استولت ذريته الملاحدة المنافقون ـ الذين كانوا أعظم الناس عداوة لله ولرسوله ـ على بلاد المغرب ومصر والحجاز والشام، واشتدت غربة الإسلام ومحنته ومصيبته بهم، وكانوا يدَّعون الإلٰهية، ويدَّعون أن للشريعة باطناً يخالف ظاهرها».

ثم قال رحمه الله:

«والمقصود أن هٰؤلاء لهم مهدي، وأتباع ابن تومرت لهم مهدي، والرافضة الاثني عشرية لهم مهدي، فكل هٰذه الفرق تدَّعي في مهديِّها الظلوم والغشوم والمستحيل المعدوم: أنه الإمام المعصوم، والمهدي المعلوم، الذي بشَّر به

(١) «المنار المنيف» (ص ١٥٠ ـ ١٥١).

النبي ﷺ وأخبر بخروجه، وهي تنتظره كما تنتظر اليهود القائم الذي يخرج في آخر الزمان، والنصارى تنتظر المسيح يأتي قبل يوم القيامة فيقيم دين النصرانية ويُبطل سائر الأديان، ومنتظر اليهود الدجال الذي يتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفاً[1]، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم»[2].

ثانياً: العمل بالحديث الضعيف ـ وخاصة في الغيبيَّات ـ يقود إلى الضلال:

كثير هم الذين ادَّعوا أنهم المهدي، وأيَّد بعضهم دعواه برؤيا منامية رآها أو رئيت له، وبعضهم اعتمد على بعض الصفات الخلقية الموجودة فيه، فتوهَّم أنه المهدي، والبعض اعتمد بالإضافة إلى ما سبق على حديث ضعيف لا يثبت سنداً إلى رسول الله ﷺ.

ولعلَّ مما ابتُلِيَت به هٰذه الأمة هو رواج الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فلا يكاد أحدهم يسمع بحديث من هٰذه الأحاديث؛ إلا ويبادر للعمل به قبل أن يتحقَّق من صحَّته، ويزيد الطين بلَّة أن يسكت أهل العلم بالحديث على ضعفه، فيتوهَّم عوامُّ الناس أنهم إنما سكتوا عليه لأنه صحيح، فيبادروا للعمل به.

والواجب على المسلم أن يعبد الله على بصيرة، ولا يكون ذٰلك إلا بتلقِّي العلم الصحيح من أهله ومصادره، وأول ذٰلك أن لا يعمل بحديث؛ إلا إذا تيقَّن صحَّته، وأفرغ جهده في تحرِّي ذٰلك.

---

(١) يشير إلى حديث مسلم: «يتبع الدجال سبعون ألفاً من يهود أصبهان عليهم الطيالسة»، وسيأتي.

(٢) «المنار المنيف» (ص ١٥١ ـ ١٥٣).

وإن أخطر ما ينتج عن العمل بالأحاديث الضعيفة هو الابتداع في دين الله.

قال الشاطبي رحمه الله في كتابه العظيم «الاعتصام» مبيِّناً أن من طرق المبتدعة الاعتماد على الأحاديث الواهية، فقال:

«ومنها اعتمادهم على الأحاديث الواهية والمكذوب فيها على رسول الله ﷺ، والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها؛ كحديث الاكتحال يوم عاشوراء، وإكرام الديك الأبيض، وأكل الباذنجان بنيته، وأن النبي ﷺ تواجد واهتزَّ عند السماع حتى سقط الرداء عن منكبيه. . . وما أشبه ذلك؛ فإن أمثال هذه الأحاديث ـ على ما هو معلوم ـ لا ينبني عليها حكم، ولا تُجعل أصلاً في التشريع أبداً، ومن جعلها كذلك؛ فهو جاهل ومخطىء في نقل العلم، فلم يُنقل الأخذ بشيء منها عمَّن تعتد به في طريقة العلم ولا طريقة السلوك»[1].

فحذار أخي المسلم أن تنزلق في طريق الكذب على رسول الله ﷺ بجعل عبادتك لربك قائمة على الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ.

ومن الفتن التي وقعت مع مطلع هذا القرن الهجري المبارك فتنة جهيمان التي وقعت أحداثها في الحرم المكي.

وإنما كان سبب هذه الفتنة الاعتماد على ما سبق ذكره من المنامات والأحاديث الضعيفة في إثبات أن أحدهم وهو المدعو محمد بن عبدالله القحطاني هو المهدي؛ فلقد رأوا أن فيه بعض الصفات التي ذكرها رسول الله ﷺ، وذكر الكثيرون أنهم رأوا في منامهم أنه المهدي المبشَّر بظهوره، ثم وقفوا

---

(١) «الاعتصام» (١ / ٢٢٤، ٢٢٥).

على حديث ضعيف يبيِّن أن رجلاً يبايَع وهو كاره[1]، ويبعث له جيش يخسف به، فظنُّوا أنه صاحبهم، فكانت عاقبة الجهل بدين الله: أن وقعت هٰذه الفتنة

---

(١) الحديث المذكور والذي كان العمل به سبباً لهٰذه الفتنة أعاذنا الله وإياكم من الفتن هو ما رواه أحمد وأبو داود عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، فيبعث إليه جيش من الشام، فيخسف بهم بالبيداء، فإذا رأى الناس ذٰلك؛ أتته أبدال الشام وعصائب العراق فيبايعونه، ثم ينشأ رجل من قريش، أخواله كلب، فيبعث إليه المكيُّ بعثاً، فيظهرون عليهم، وذٰلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل في الناس سنة نبيهم ﷺ ويُلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض، ويمكث تسع سنين أو سبع».

قال شيخنا: «ضعيف. رواه أحمد وأبو داود ومن طريقهما ابن عساكر من طريق هشام عن قتادة عن أبي الخليل عن صاحب له عن أم سلمة مرفوعاً».

قال شيخنا: «قلت: ورجاله كلُّهم ثقات؛ غير صاحب أبي خليل، ولم يُسمَّ؛ فهو مجهول».

قال شيخنا: «ثم أخرجه أبو داود والطبراني في «الأوسط» من طريق أبي العوام؛ قال: نا قتادة عن أبي الخليل عن عبدالله بن الحارث عن أم سلمة عن النبي ﷺ بهٰذا.

وقال الطبراني: لم يرو هٰذا الحديث عن قتادة إلا عمران».

قال شيخنا: «قلت: فسمى الرجل المجهول عبدالله بن الحارث، وهو ابن نوفل المدني، وهو ثقة محتج به في «الصحيحين»، لكن في الطريق إليه أبو العوام، وهو عمران بن داوَر القطان، وفيه ضعف من قبل حفظه.

قال البخاري: صدوق يهم.

وقال الدارقطني: كان كثير المخالفة والوهم.

واعتمد الحافظ في «التقريب» قولَ البخاري فيه، فزيادته على الثقة مما لا تطمئن النفس لها.

وقد أخرجه من طريقه الحاكم، ولفظه: «يبايع لرجل من أمتي بين الركن والمقام كعدَّة أهل بدر، فيأتيه عصب العراق وأبدال الشام، فيأتيه جيش من الشام، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم، ثمَّ يسير إليه رجل من قريش أخواله كلب، فيهزمهم الله. قال: وكان يُقال: إن الخائب يومئذ من خاب عن غنيمة كلْب». =

. . . .

= وسكت عليه الحاكم.

وقال الذهبي: أبو العوام عمران ضعَّفه غير واحد، وكان خارجيّاً».

قال شيخنا: «ثم رأيت الحديث في «موارد الظمآن» من طريق أبي يعلى عن محمد بن يزيد بن رفاعة: حدثنا وهب بن جرير: حدثنا هشام بن أبي عبدالله عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن مجاهد عن أم سلمة به».

قال شيخنا: «وهٰذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين؛ غير ابن رفاعة، وهو أبو هشام الرفاعي؛ فإنه ضعيف، وقد زادَ في السند مجاهداً، فلا يُعتدُّ بزيادته».

قال شيخنا: «ثم وجدت له متابعاً أخرجه الطبراني في «الأوسط» من طريق عبيدالله بن عمرو عن معمر عن قتادة عن مجاهد قه، وقال: قال عبيدالله بن عمرو: فحدثت به ليثاً، فقال حدَّثني به مجاهد.

وقال الطبراني: لم يرو هٰذا الحديث عن معمر إلا عبيد الله».

قال شيخنا: «قلت: وهو ثقة كسائر رجاله».

قال شيخنا: «ولكنهم قد اختلفوا في إسناده على قتادة على وجوه أربعة:

الأول: قتادة عن أبي الخليل عن صاحب له عن أمّ سلمة، وهو رواية هشام الدستوائي عنه.

الثاني: مثله؛ إلا أنه سمَّى الصاحب بـ(عبدالله بن الحارث).

الثالث: مثله؛ إلا أنه سمَّاه مجاهداً.

الرابع: مثله؛ إلا أنه أسقط بين قتادة ومجاهد أبا الخليل».

وقال شيخنا: «وهٰذا اختلاف شديد، فلا بدَّ من النظر والترجيح، ومن الظاهر أن الوجوه الثلاثة متفقة على أن بين قتادة وأم سلمة واسطتين؛ بخلاف الرابع؛ فبينهما واسطة فقط؛ فهو بهٰذا الاعتبار مرجوح؛ لمخالفته لرواية الجماعة».

قال شيخنا: «ثم أمعنَّا النظر في الوجوه الثلاثة، فمن الواضح جدّاً أن الثالث منها ساقط الاعتبار؛ لضعف ابن رفاعة، والوجه الثاني قريب منه؛ لسوء حفظ عمران كما سبق، فبقي الوجه الأول هو الراجح من بين جميع الوجوه، ولما كان مداره على صاحب أبي الخليل غير مسمًّى في طريق معتبر سالم من علة؛ كان هو العلَّة، والله أعلم».

قال شيخنا: «وقد جاء الحديث من طرق أخرى عن أم سلمة وغيرها مختصراً، ليس فيه قصة =

العمياء، والتي استُحِلَّ فيها البيت الحرام، وهٰذا الاستحلال هو بداية هلاك العرب؛ كما بلَّغ الصادق المصدوق.

روى الإمام أحمد عن سعيد بن سمعان؛ قال: سمعت أبا هريرة يُخبر أبا قتادة: أن رسول الله ﷺ قال:

«يُبايَعُ لرجلٍ ما بين الركن والمقام، ولن يستحلَّ البيت إلا أهله، فإذا استحلُّوه؛ فلا يُسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة، فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً، وهم الذين يستخرجون كنزه»[1].

أرادوا الخير فما أصابوه، وصدق ابن مسعود رضي الله عنه إذ يقول: «وكم من مريد للخير لن يصيبه»[2]؛ فإصابة الخير تقتضي الاتباع وليس الابتداع.

= البيعة والأبدال ولا بعث كلْب، وهو مخرَّج في «الصحيحة» (١٩٢٤)»[أ].

ولفظه المشار إليه: «طائفة من أمتي يخسف بهم، يُبعثون إلى رجلٍ، فيأتي مكة، فيمنعه الله منهم، ويُخسف بهم، مصرعهم واحد، ومصادرهم شتى، إن منهم من يكره فيجيء مكرها»[ب].

على أنه لو صح الحديث؛ فليس فيه حجَّة لأولٰئك الذين خرجوا، فهم لم يقيموا الدليل الصحيح على أنه المهدي غير الاحتمالات، وهٰذا لا يجوز شرعاً أبداً في مثل هٰذه الأمور».

(١) «السلسة الصحيحة» (٢ / رقم ٥٧٩).

(٢) جاء هٰذا القول لابن مسعود في قصة أخرجه الدارمي في «سننه»، ولكثرة ما في القصة من فوائد آثرت نقلها كاملة؛ فهي سيف صقيل مسلَّط على رقاب المبتدعة والذين يظنون أنهم سبقوا إلى خير قصَّر عنه رسول الله ﷺ:

روى الدارمي عن عمر بن يحيى؛ قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه؛ قال: «كنا نجلس على باب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قبل صلاة الغداة، فإذا خرج؛ مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرَجَ إليكم أبو عبدالرحمٰن بعد؟ قلنا: لا. فجلس معنا حتى

(أ) «السلسلة الضعيفة» (رقم ١٩٦٥).

(ب) «السلسلة الضعيفة» (رقم ١٩٢٤).

= خرج، فلما خرج؛ قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبدالرحمٰن! إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أرَ والحمد لله إلا خيراً. قال: فما هو؟ فقال: إن عشت؛ فستراه. قال: رأيت في المسجد قوماً حِلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مئة! فيكبِّرون مئة، فيقول: هلِّلوا مئة! فيُهلِّلون مئة، ويقول: سبِّحوا مئة! فيسبحون مئة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظارَ رأيك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدُّوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقةً من تلك الحِلَق، فوقف عليهم، فقال: ما هٰذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبدالرحمٰن! حصى نَعُدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدوا سيئاتكم؛ فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحَكُم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكمْ! هٰؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وعلى آله وسلم متوافرون، وهٰذه ثيابه لَمْ تَبْلَ، وآنيتُه لم تُكْسَر، والذي نفسي بيده؛ إنَّكم لعلى ملةٍ هي أهدى من ملةِ محمد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبدالرحمٰن ما أردنا إلا الخير! قال: وكم من مُريدٍ للخير لن يُصيبه! إنَّ رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم حدثنا؛ قال: «إنَّ قَوْماً يَقْرؤونَ القُرْآنَ لَا يُجاوِزُ تراقِيَهُمْ يَمْرُقونَ مِنَ الإِسْلامِ كَما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، وآيم الله؛ ما أدري لعل أكثرهم منكم! ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: فرأينا عامة أولٰئك الحِلَق يُطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج»[1].

وهٰكذا فإن الاستدراك على رسول الله ﷺ يؤدي إلى الضلال والهلاك.

فليس كل أمر يبدو لك أنه خير هو كذٰلك، ما لم يكن مشروعاً، وليس كل ما تسمعه منسوباً إلى رسول الله ﷺ هو من قوله حتى يثبت ذٰلك فتبادر عندها للعمل به، ولا يحملنَّك إحسان الظن بشيوخك أن تتعبَّد الله بكل حديث تسمعه منهم قبل أن تتأكَّد من صحته.

وأسوق الآن قصتين وقعتا لعالمين من علماء الحديث الجهابذة تبيِّن الأولى كيف يكون الاتباع الحق، وتبيِّن الثانية وجوب ترك العمل بالحديث فوراً عندما يتبيَّن أنه مكذوب على رسول الله ﷺ.

القصة الأولى:

روى الهروي في «ذم الكلام»: «أن عبدالله بن المبارك ضلَّ في بعض أسفاره في طريق، وكان قد بلغه أن من اضطرَّ في مفازة فنادى: عباد الله! أعينوني؛ أُعين. قال: فجعلتُ أطلب الجزء

(1) «سنن الدارمي» (١ / ٦٨).

ولعلَّ فيما حصل عبرة للشباب أن ينهلوا من منبع العلم الصافي، ويتَّئدوا في فهم سنة رسول الله ﷺ وهم يسيرون على خطى رسول الله ﷺ ليقيموا حكم الله في الأرض.

ثالثاً: المهدي مجدِّد من المجدِّدين:

يخرج المهدي رضي الله عنه وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً، وعطِّلت

= أنظر إسناده».

قال الهروي: «فلم يستجز أن يدعو بدعاء لا يرى إسناده».

قال شيخنا: «قلت: فهٰكذا فليكن الاتباع»(أ).

القصة الثانية:

قال ابن الجوزي رحمه الله تعليقاً على حديث موضوع في فضل فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين من آل عمران: «كنت قد سمعت هٰذا الحديث في زمن الصبا، فاستعملته نحواً من ثلاثين سنة لحسن ظنِّي بالرواة، فلما علمت أنه موضوع؛ تركته، فقال لي قائل: أليس هو استعمال خير؟ قلت: استعمال الخير ينبغي أن يكون مشروعاً، فإذا علمنا أنه كذب؛ خرج عن المشروعية».

قال شيخنا: «أقول: وإذا خرج عن المشروعية؛ فليس من الخير في شيء؛ فإنه لو كان خيراً لبلَّغه ﷺ أمَّته، ولو بلَّغه لرواه الثقات، ولم يتفرَّد بروايته مَن يروي الطامات عن الأثبات».

وإن فيما حكاه ابن الجوزي عن نفسه لعبرة بالغة، فإنها حال أكثر علماء هٰذا الزمان ومَن قبله، من الذين يتعبَّدون الله بكل حديث يسمعونه من مشايخهم دون أي تحقُّق منهم لصحته، وإنما هو مجرَّد حسن الظن بهم، فرحم الله امرأ رأى العبرة بغيره فاعتبر»(ب).

ومن الكلام الحسن الجميل في هٰذا المجال قول العلامة الشوكاني في «تحفة الذاكرين»: «السنة لا تثبت بمجرَّد التجربة، ولا يخرج الفاعل للشيء معتقداً أنه سنَّة عن كونه مبتدعاً، وقبول الدعاء لا يدلُّ على أن سبب القبول ثابت عن رسول الله ﷺ؛ فقد يجيب الله الدعاء من غير توسُّل بسنَّة، وهو أرحم الراحمين، وقد تكون الاستجابة استدراجاً»(ج).

(أ) «السلسلة الضعيفة» (رقم ٦٥٥).

(ب) «السلسلة الضعيفة» (رقم ٦٩٨).

(ج) «السلسلة الضعيفة» (رقم ٦٥٥).

أحكـام الله عزَّ وجلَّ في الأرض، فيملؤها قسطاً وعدلاً، ويُعيد حكم الله في الأرض، وهو بهٰذا يجدِّد لهٰذه الأمة أمر دينها.

واقتضت حكمة الله عزَّ وجلَّ أن يتواكب ظهور المهدي مع نزول عيسى عليه السلام، فيجتمع مجدِّدان في وقت واحد، أحدهما نبيٌّ والآخر من عترة نبيِّنا ﷺ.

وأقـول للذين ضاقت صدورهم عن قبول عقيدة خروج المهدي ونزول عيسى عليه السلام فردُّوها أو أوَّلوها:

هلَّا قبلتم هٰذه العقائد المتواترة على ضوء حديث التجديد؟

فإذا اتسعت صدوركم لقبول هٰذا الحديث؛ فانظروا من خلاله إلى ظهور مجدِّدين بشَّر بهم رسول الله ﷺ، بل هم أعظم المجدِّدين.

أما أن تقبلوا حديث التجديد وتردُّوا العقائد المتواترة التي يمكن فهمها من خلال حديث التجديد؛ فهٰذا اتباع للهوى، ونكوب عن طريق الهدى والرشاد.

روى أبو داود والحاكم والبيهقي في «المعرفة» عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ؛ قال:

«إن الله يبعث لهٰذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدِّد لها دينها»[1].

رابعاً: الاعتقاد بظهور المهدي يدعو للعمل لا للتواكل:

يظنُّ كثير من النـاس أن دولـة الإسـلام لن تقـوم لهـا قائمة إلا بظهور المهدي، فتواكلوا عن العمل، ورفعوا أيديهم بالدعاء أن يعجِّل الله ظهوره، وبعضهم لما رأى تواكل الناس عن العمل؛ أنكر ظهور المهدي؛ ليحثَّ الناس

---

(١) «صحيح الجامع الصغير» (رقم ١٨٧٠)، «السلسلة الصحيحة» (رقم ٥٩٩).

على العمل من خلال هٰذا الإنكار، وآخرون أنكروا عقيدة المهدي لما رأوا أنها استُغلّت استغلالاً بشعاً من بعض الجهلة الأدعياء، فحاولوا طمس هٰذه العقيدة وإزالتها من قلوب الناس؛ ليردعوا مَن تسوِّل له نفسه من هٰؤلاء الأدعياء أن يدَّعي أنه المهدي.

وأيّاً كان الدافع لكل فئة من الفئات السابقة؛ فقد انحرفوا عن جادة الصواب بإنكار عقيدة ثابتة بالأحاديث الصحيحة، بل نقل تواترها الكثير من أهل العلم.

فالإسلام ـ كما هو معلوم ـ لا يعالج الانحراف بانحراف مثله، والإسلام ليس فيه تلك القاعدة الضالة «الغاية تبرر الوسيلة»، بل كان الواجب على هٰؤلاء المنكرين أن يبيِّنوا للناس صحة هٰذه العقيدة، ويبيِّنوا في الوقت ذاته شعوذة المشعوذين ودجل الدجَّالين، فيثبتوا العقيدة في النفوس، ويذبُّوا الزيف والخداع عن أحاديث رسول الله ﷺ.

ولشيخنا حفظه الله تعليق نفيس على حديث من أحاديث المهدي، وهو: «لتملأنَّ الأرض جوراً وظلماً، فإذا مُلئت جوراً وظلماً بعث الله رجلاً مني اسمه اسمي، فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»، وأنقل التعليق كاملاً لما فيه من الفوائد:

قال حفظه الله:

«واعلم يا أخي المسلم أن كثيراً من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هٰذا الموضوع:

فمنهم من استقرَّ في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي، وهٰذه خرافةٌ وضلالةٌ ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامة، وبخاصة الصوفية

منهم، وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يشعر بذلك مطلقاً، بل هي كلها لا تخرج عن أن النبيَّ ﷺ بشَّر المسلمين برجلٍ من أهل بيته، ووصفه بصفات بارزة، أهمها أنه يحكم بالإسلام، وينشر العدل بين الأنام؛ فهو في الحقيقة من المجدِّدين الذين يبعثهم الله في رأس كل مئة سنة؛ كما صحَّ عنه ﷺ، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم والعمل به لتجديد الدين؛ فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل العكس هو الصواب؛ فإن المهدي لن يكون أعظم سعياً من نبينا محمد ﷺ، الذي ظلَّ ثلاثاً وعشرين عاماً وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام وإقامة دولته.

فماذا عسى أن يفعل المهدي؟! لو خرج اليوم، فوجد المسلمين شيعاً وأحزاباً، وعلماءهم - إلا القليل منهم - رؤوساً؛ لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام؛ إلا بعد أن يوحِّد كلمتهم، ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد، الله أعلم به.

فالشرع والعقل يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي؛ لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج؛ فقد قاموا هم بواجبهم، والله يقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾[1].

ومنهم - وفيهم بعض الخاصة - من علم أن ما حكيناه عن العامة أنه خرافة، ولكنَّه توهَّم أنها لازمة لعقيدة خروج المهدي، فبادر إلى إنكارها، على حدِّ قول من قال: «وداوني بالتي كانت هي الداء»، وما مثلهم إلا كمثل المعتزلة

(١) التوبة: ١٠٥.

الذين أنكروا القدر لما رأوا أن طائفة من المسلمين استلزموا منه الجبر؛ فهم بذٰلك أبطلوا ما يجب اعتقاده، وما استطاعوا أن يقضوا على الجبر.

وطائفة منهم رأوا أن عقيدة المهدي قد استغلت عبر التاريخ الإسلامي استغلالاً سيئاً، فادَّعاها كثير من المغرضين أو المهبولين، وجرت من جرَّاء ذٰلك فتن مظلمة، كان من آخرها فتنة مهدي جهيمان السعودي في الحرم المكي، فرأوا أن قطع دابر هٰذه الفتن إنما يكون بإنكار هٰذه العقيدة الصحيحة.

وما مثل هٰؤلاء إلا كمثل من ينكر عقيدة نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان التي تواتر ذكرها في الأحاديث الصحيحة؛ لأن بعض الدجاجلة ادَّعاها مثل ميرزا غلام أحمد القادياني، وقد أنكرها بعضهم فعلاً صراحة ـ كالشيخ شلتوت ـ، وأكاد أقطع أن كل من أنكر عقيدة المهدي ينكرها أيضاً، وبعضهم يظهر ذٰلك من فلتات لسانه، وإن كان لا يبين، وما مثل هٰؤلاء المنكرين جميعاً عندي؛ إلا كما لو أنكر رجل ألوهية الله عز وجل بدعوى أنه ادَّعاها بعض الفراعنة ﴿فهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾»[1].

خامساً: لا يجوز المبادرة لتكفير من أنكر ظهور المهدي أو نزول عيسى:

ينكر كثير من الناس ـ ومنهم بعض أهل العلم ـ ظهور المهدي بنوع من التأويل أو لشبهة تعرض له، فيبادر آخرون إلى تكفيرهم بهٰذا الإنكار.

وليس لنا أن نطلق التكفير على هٰؤلاء حتى نعمل على إزالة شبههم وتأويلاتهم الفاسدة، ويمكن أن يُقال بدل ذٰلك: إنهم على ضلال بإنكارهم هٰذا.

والذين يلجؤون للتكفير عمدتهم واهية، وهو اعتمادهم على حديث

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (٤ / ٤٢ ـ ٤٣ / حديث ١٥٢٩).

باطل، بل موضوع، يبيِّن أن من ينكر بعض الأشياء، ومنها خروج المهدي؛ فقد كفر[1].

---

(١) الحديث المشار إليه هو: «مَن أنكر خروج المهدي؛ فقد كفر بما أنزل على محمد، ومَن أنكر نزول عيسى بن مريم؛ فقد كفر، ومن أنكر خروج الدجال؛ فقد كفر، ومن لم يؤمن بالقدر خيره وشره؛ فقد كفر؛ فإن جبريل عليه السلام أخبرني بأن الله تعالى يقول: مَن لم يؤمن بالقدر خيره وشره؛ فليتخذ ربّاً غيري».

قال شيخنا: «باطل. رواه أبو بكر الكلاباذي في «مفتاح معاني الآثار»: ثنا محمد بن الحسن بن علي: ثنا أبو عبدالله الحسين بن محمد بن أحمد: ثنا إسماعيل بن أبي إدريس: ثنا مالك بن أنس: ثنا محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً».

قال شيخنا: «قلت: وهٰذا حديث باطل، المتهم به شيخ الكلاباذي محمد بن الحسن أو شيخه الحسين بن محمد بن أحمد؛ فقد جاء في الميزان: «محمد بن الحسن بن علي بن راشد الأنصاري، عن ورَّاق الحميدي، فذكر حديثاً موضوعاً في الدعاء عند الملتزم».

وأقرَّه الحافظ في «اللسان»، وزاد عليه فقال: «ووجدت في «كتاب معاني الأخبار» للكلاباذي خبراً موضوعاً».

ثم ذكره بإسناده كما نقلناه عنه؛ إلا أنه وقع فيه عنده تحريفٌ في بعض الأسماء، وقال عقبه مشيراً إلى الأنصاري هٰذا الذي ترجمه الذهبي: «وقد غلب على ظنِّي أنه هٰذا، وشيخه ما عرفته بعد البحث عنه».

وقال في ترجمة شيخه الحسين بن محمد بن أحمد: «عن إسماعيل بن أبي أويس عن مالك بخبر باطل مضى ذكره في ترجمة محمد بن الحسن بن علي بن راشد»».

قال شيخنا: «وقوله: «مضى» سبْق قلم منه رحمه الله، والصواب: «يأتي»؛ كما هو ظاهر.

وقول المصحح في تعليقه على «اللسان»: «هٰكذا في الأصل، ولكن كيف يمكن مضيُّه من قبل ولم يأت إلى الآن مَن اسمه محمد؟! فلعلَّه تصحيف اسم آخر»».

قال شيخنا: «لا تصحيف، ولو رجع إلى ترجمة محمد بن الحسن المشار إليه؛ لوجد فيها الحديث، ولعلم أن الخطأ من قوله: «مضى»، والله أعلم»[أ].

(أ) «السلسلة الضعيفة» (٣ / رقم ١٠٨٢).

قال شيخنا تعليقاً على هٰذا الحديث في «السلسلة الضعيفة» (٣ / ٢٠٢):

«واعلم أن الإيمان بكل ما ذكر في هٰذا الحديث من خروج المهدي ونزول عيسى وبالقدر خيره وشرِّه؛ كل ذٰلك واجب الإيمان به؛ لثبوته في الكتاب والسنة، ولكن ليس هناك نصٌّ في أن «من أنكر ذٰلك؛ فقد كفر».

ومن أجل هٰذا أوردت الحديث وبيَّنت وضعه، وهو ظاهر الوضع، وكأنه من وضع بعض المحدِّثين أو غيره من الجهلة، وضعه ليقيم به الحجَّة على منكري ذٰلك من ذوي الأهواء والمعتزلة، ولن تقوم الحجَّة على أحد بالكذب على رسول الله ﷺ والافتراء على الله تعالى، فقاتل الله الوضَّاعين ما أجرأهم على الله عز وجل.

والتكفير ليس بالأمر السهل، نعم؛ من أنكر ما ثبت من الدين بالضرورة بعدما قامت الحجة عليه؛ فهو الكافر الذي يتحقَّق فيه معنى (كفر)، وأما من أنكر شيئاً لعدم ثبوته عنده، أو لشبهة من حيث المعنى؛ فهو ضالٌّ، وليس بكافر مرتدٍّ عن الدين، شأنه في ذٰلك شأن من يُنكر أي حديث صحيح عند أهل العلم، والله أعلم».

سادساً: المهدي يمكن أن يكون من الخلفاء الاثني عشر الذين تجتمع عليهم الأمة:

اختلف العلماء على قولين حول تفسير حديث رسول الله ﷺ في الخلفاء الاثني عشر من قريش؛ أهم على التتابع أم متفرقين؟

فذهب البيهقي وطائفة معه أنهم على التتابع.

وذهب ابن كثير على أنهم متفرقون

واحتجَّ البيهقي رحمه الله بما رواه الشيخان عن جابر بن سَمُرة؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يكـون اثنا عشر أميراً»، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي. إنه قال: «كلهم من قريش»[1].

ثم قال رحمه الله:

«وليس في إثباته هٰذا العدد نفيُ الزيادة عليه، وقد قيل: أراد اثني عشر أميراً؛ كلهم تجتمع عليهم الأمة، ثم يكون الهرج».

ثم ذكر رحمه الله حديث جابر بن سمرة؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لا يزال هٰذا الـدين قائماً، حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليهم الأمة»، فسمعت كلاماً من النبي ﷺ لم أفهمه، فقلت لأبي: ما يقول؟ قال: «كلهم من قريش»[2].

وعن جابر بن سمرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تزال هٰذه الأمة مستقيم أمرها ظاهرة على عدوها ـ أو على غيرها ـ حتى يمضي منهم اثنـا عشر خليفة، كلهم من قريش»، فلما رجع إلى منزله؛ أتته قريش، فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: «يكون الهرج»[3].

ثم قال رحمه الله:

---

(١) أخرجه البخاري في (٩٣ ـ كتاب الأحكام، ٥١ ـ باب الاستخلاف)، ومسلم في (كتاب الإمارة، ٣٣ ـ باب الناس تبع لقريش).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٥٨٠).

(٣) نهاية البداية والنهاية. ص ١٧ مجلد (١)، وعزاه لأبي داود.

«ففي الرواية الأولى بيان العدد، وفي الرواية الثانية بيان المراد بالعدد، وفي الرواية الثالثة بيان وقوع الهرج ـ وهو القتل ـ بعدهم.

وقد وجد هٰذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبدالملك، ثم وقع الهرج والفتنة العظيمة؛ كما أخبر في هٰذه الرواية، ثم ظهر ملك العباسية، وإنما يزيدون على العدد المذكور في الخبر إذا تركت الصفة المذكورة فيه، أو عدَّ منهم من كان بعد الهرج المذكور فيه، وقد قال النبي ﷺ:

«لا يزال هٰذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان»[1].

وفي رواية معاوية؛ قال: قال النبي ﷺ:

«إن هٰذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحدٌ إلا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدين»[2].

والمراد بإقامة الدين ـ والله أعلم ـ إقامة معالمه، وإن كان بعضهم يتعاطى بعد ذٰلك ما لا يحل؛ لحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

(سيكون بعدي خلفاء يعملون ما يعلمون، ويفعلون ما يؤمرون، وسيكون بعدهم خلفاء يعملون بما لا يعلمون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن أنكر عليهم؛ برىء، ومن أمسك يده؛ سلم، ولكن من رضي وتابع)».

ثم ذكر رحمه الله أحاديث تؤيد ما ذهب إليه، ثم قال:

«وقد قيل إنه أراد اثني عشر خليفة، كلهم يعمل بالهدى ودين الحق، ثم يكونون متفرِّقين في الأمراء، فمن عدل منهم وعمل بالهدى ودين الحق؛ فهو من

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٧٧٠٢).

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٢٢٤٤).

جملة الاثني عشر».

وقد ردَّ كلام البيهقي رحمه الله في تتابع الأمراء ابن كثير رحمه الله، فقال في كتاب «البداية والنهاية» ما نصه:

«فهٰذا الذي سلكه البيهقي - وقد وافقه عليه جماعة - من أن المراد بالخلفاء الاثني عشر المذكورين في هٰذا الحديث هم المتتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبدالملك الفاسق الذي قدمنا الحديث فيه بالذم والوعيد؛ فإنه مسلك فيه نظر.

وبيان ذٰلك أن الخلفاء إلى زمن الوليد بن اليزيد هٰذا أكثر من اثني عشر، على كل تقدير.

وبرهانه أن الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي خلافتهم محققة بنص حديث سفينة: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»[1]، ثم بعدهم الحسن بن علي كما وقع؛ لأن علياً أوصى إليه، وبايعه أهل العراق، وركب وركبوا معه لقتال أهل الشام، حتى اصطلح هو ومعاوية؛ كما دلَّ عليه حديث أبي بكرة في «صحيح البخاري»، ثم معاوية، ثم ابنه يزيد بن معاوية، ثم ابنه معاوية بن يزيد، ثم مروان بن الحكم، ثم ابنه عبدالملك بن مروان، ثم ابنه الوليد بن عبدالملك، ثم سليمان بن عبدالملك، ثم عمر بن عبدالعزيز، ثم يزيد بن عبدالملك، ثم هشام بن عبدالملك، فهٰؤلاء خمسة عشر، ثم الوليد بن يزيد بن عبدالملك، فإن اعتبرنا ولاية الزبير قبل عبدالملك؛ صاروا ستة عشر، وعلى كل تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبدالعزيز.

فهٰذا الذي سلكه على هٰذا التقدير يدخل في الاثني عشر يزيد بن

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٣٣٤١).

معاوية، ويخرج منهم عمر بن عبدالعزيز الذي أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه، وعدُّوه من الخلفاء الراشدين، وأجمع الناس قاطبة على عدله، وأن أيامه كانت من أعدل الأيام، حتى الرافضة يعترفون بذٰلك.

فإن قال: أنا لا أعتبر إلا من اجتمعت الأمة عليه؛ لزمه على هٰذا القول أن لا يعدَّ علي بن أبي طالب ولا ابنه؛ لأن الناس لم يجتمعوا عليهما، وذٰلك أن أهل الشام بكمالهم لم يبايعوهما، وعدّ حبيب معاوية وابنه يزيد وابن ابنه معاوية بن يزيد، ولم يقيِّد بأيام مروان ولا ابن الزبير؛ كأن الأمة لم تجتمع على واحد منهما.

فعلى هٰذا نقول في مسلكه هٰذا عادّاً للخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان ثم معاوية ثم يزيد بن معاوية ثم عبدالملك ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبدالعزيز ثم يزيد ثم هشام؛ فهٰؤلاء عشرة، ثم من بعدهم الوليد بن يزيد بن عبدالملك الفاسق.

ولكن هٰذا لا يمكن أن يُسلك؛ لأنه يلزم منه إخراج علي وابنه الحسن من هٰؤلاء الاثني عشر، وهو خلاف ما نص عليه أئمة أهل السنة، بل والشيعة، ثم هو خلاف ما دلَّ عليه نصّاً حديث سفينة عن رسول الله ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً عضوداً»[1]، وقد ذكر سفينة تفصيل هٰذه الثلاثين سنة، فجمعها من خلافة الأربعة، وقد بيَّنَّا دخول خلافة الحسن، وكانت نحواً من ستة أشهر فيها أيضاً، ثم صار الملك إلى معاوية لما سلَّم الأمر إليه الحسن بن علي، وهٰذا الحديث فيه المنع من تسمية معاوية خليفة، وبيان أن الخلافة قد انقطعت بعد الثلاثين سنة لا مطلقاً، بل انقطع تتابعها، ولا ينفي وجود خلفاء

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٣٣٤١)

راشدين بعد ذلك؛ كما دلَّ عليه حديث جابر بن سمرة»[1].

ثم قال رحمه الله:

«قال شيخنا العلامة أبو العباس ابن تيمية: إن الاثني عشر الذين بشر الله بهم إبراهيم من نسل إسماعيل كما جاء في التوراة هم المذكورون في حديث جابر بن سمرة، وقرَّر شيخنا أنهم يكونون متفرِّقين في الأمة، ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا»[1].

وهٰذا الذي قرَّره ابن كثير هو ما تميل إليه النفس، وعلى هٰذا؛ فيحتمل أن يكون المهدي رضي الله عنه منهم.

* * * * *

(1) «البداية والنهاية» لابن كثير (٦ / ٢٥٠).

الفصل الثالث
الأشراط الكبرى

المبحث الأول

الدجَّال (الفتنة الكبرى)

آية عظمى من آيات الساعة المؤذنة بقيامها، بل هي الآية المتميزة بين الآيات، فكل آية من الآيات الأخرى تدعو الإنسان إلى الإيمان بربِّه، فطلوع الشمس من مغربها خرق لما يعرفه الإنسان من نواميس، فمن رآها طالعة من مغربها؛ آمن، ولا ينفع ذلك الإيمان، وكذلك الدابَّة التي تكلِّم الناس، ونزول عيسى ابن مريم، وغيرها من الآيات الكبرى يدعو ظهورها للإيمان؛ إلا الدجال؛ فإنه يدعو العبد للكفر.

فأيُّ فتنة أعظم من أن يدَّعي مخلوق أنه الربُّ، ويجري الله على يديه خوارق تفتن الناس خاصة، وظهوره يأتي والناس في بلاء ومحنة: سماءٌ لا تمطر، وأرض لا تنبت، وجوع شديد، وعطش كذلك، والناس بحاجة إلى منقذ، فتأتي هذه الفتنة لتقلب الموازين.

يرونه رأي عين أعور، فتعمى القلوب التي في الصدور؛ لما ترى من نزول المطر ووفرة الطعام.

وأي فتنة أعظم من أن ترى كل ما تملك من سائمة قد هلكت إن كذَّبته؟!
أو ترى السماء تمطر والأرض تنبت وتصبح مواشيك أعظم وأسمن ما كانت إن صدَّقته؟!

فما الموقف؟! إن ابتلاك الله به؛ فاثبت على تكذيبك إياه، وانج بنفسك، ولا تصدِّقْه فتهلك.

لا تنس أنك لن ترى الله حتى تموت، فكل من ادَّعى أنه ربُّك وأنت تراه؛ فهو دجَّال كذَّاب.

لا تنس أن من تراه أعور كذاب، وربك ليس كذٰلك، بل هو رب يتَّصف بكل صفات الكمال والجلال والعظمة.

كن على حذر؛ لتنجو منه، فمن نجا منه؛ فقد نجا.

وإذا كان الأمر كذٰلك؛ فتعرَّف عليه من خلال وصف رسول الله ﷺ له، فلا يدري أحدنا؛ لعلَّه يدركه أو يدركه أبناؤه.

أولاً: ظهوره والتعريف به:

١ - أعظم فتنة تمر بالبشر:

روى مسلم عن حميد بن هلال عن رهط منهم أبو الدهماء وأبو قتادة؛ قالوا: كنا نمر على هشام بن عامر، نأتي عمران بن حصين، فقال ذات يوم: إنكم لتجاوزون[1] إلى رجال ما كانوا بأحضر لرسول الله ﷺ مني، ولا أعلم بحديثه مني، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) أي: تمرون عني وتخلِّفوني وراءكم، وفي مسلم: «لتجاوزوني»، وهو في «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٥٨).

«ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر[1] من الدجَّال»[2].

٢ ـ دجَّال من دجاجلة كُثْر هو أعظمهم فتنة:

حذر رسـول الله ﷺ في أحاديث شتى من الدجالين والكذابين، وبيَّن أنهم يدَّعـون النبـوة، ولا نبي بعد نبينا ﷺ، ولا يختص الأمر بالرجال، فمن الدجالين الكذابين بعض النسوة.

روى أحمد والطبراني والضياء عن حذيفة:

«في أمتي كذابـون ودجـالون سبعة وعشرون، منهم أربعة نسوة، وإني خاتم النبيِّين، لا نبي بعدي»[3].

وروى أحمد ومسلم عن جابر بن سمرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم»[4].

وروى أحمد بسند صحيح على شرط الشيخين عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«بين يدي السـاعة قريب من ثلاثين دجَّالين كذَّابين؛ كلهم يقول: أنا نبي، أنا نبي»[5].

ورواه الشيخان والترمذي وأحمد من طرق أخرى عنه؛ بلفظ: «لا تقوم السـاعة حتى يبعث دجَّالون كذَّابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول

---

(١) أي: أكبر فتنة، وأعظم شوكة.

(٢) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٥٨).

(٣) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٤١٣٤).

(٤) «مختصر مسلم» (رقم ١١٩٦).

(٥) «السلسلة الصحيحة» (٤ / ٢٥١).

الله»[1].

وروى أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه عن ثوبان: أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله زوى[2] لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمّتي سيبلغ ما زوي لي منها، وإني أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض[3]، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلِكوا بسنة[4] عامة ولا يسلِّط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم[5]، وإن ربي عز وجل قال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاء؛ فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك: أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من أقطارها حتى يكون بعضهم يفني[6] بعضاً، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلِّين، وإذا وضع في أمتي السيف؛ لم يُرفع عنهم إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، حتى[7] تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون؛ كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيِّين؛ لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة[8] من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرُّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»[9].

(١) «السلسلة الصحيحة» (٤ / ٢٥١).

(٢) جمعها وضمَّها.

(٣) الذهب والفضة.

(٤) قحط وجذب يهلكهم جميعاً.

(٥) حوزتهم وحماهم.

(٦) يهلك بعضهم بعضاً.

(٧) رواية أبي داود: «وحتى»، وكذلك هي عند أحمد، أما الرواية المثبتة؛ فهي رواية عند أحمد أيضاً.

(٨) الواحد فأكثر.

(٩) وهو في «صحيح الجامع» (برقم ١٧٧٣).

٣ ـ علامات خروجه:

أ ـ قلة العرب:

روى أحمد ومسلم والترمذي عن أم شريك: أنها سمعت النبي ﷺ يقول:

«ليفرَّنَّ الناس من الدجَّال في الجبال». قالت أم شريك: يا رسول الله! فأين العرب يومئذ؟ قال: «هم قليل»[١].

ب ـ الملحمة وفتح القسطنطينية:

روى أحمد وأبو داود عن معاذ: أن رسول الله ﷺ قال:

«عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجَّال»[٢].

قال المناوي رحمه الله في «الفيض»:

«جعل المصطفى ﷺ كلَّ واحد منهما عين ما بعده، وعبَّر به عنه»[٣].

ج ـ الفتوحات:

روى أحمد ومسلم وابن ماجه عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة رضي الله عنهما؛ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة. قال: فأتى النبيَّ ﷺ قومٌ من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكَمَةٍ، فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد. قال: فقالت لي نفسي: ائتهم، فقم بينهم وبينه لا يغتالونه. قال: ثم

---

(١) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٥٧).

(٢) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٣٩٥٧)

(٣) «فيض القدير» (٤ / ٣٦٠ ـ ٣٦١).

قلت: لعلَّه نجيٌّ معهم، فأتيتهم، فقمت بينهم وبينه. قال: فحفظت منه أربع كلمات أعدُّهن في يدي. قال:

«تغزون جزيرة العرب، فيفتحها الله عز وجل، ثم فارس، فيفتحها الله عز وجـل، ثم تغزون الروم، فيفتحها الله، ثم تغزون الدجَّال فيفتحه الله».

قال: فقال نافع: يا جابر! لا نرى أن الدجال يخرج حتى تفتح الروم[1].

د ـ انحباس القطر والنبات:

ستكون بين يدي الدجال ثلاث سنوات عجاف، يلقى الناس فيها شدة وكرباً؛ فلا مطر، ولا نبات، يفزع الناس فيها للتسبيح والتحميد والتهليل، حتى يجزىء عنهم بدل الطعام والشراب، فبينما هم كذٰلك؛ إذ تناهى لأسماعهم أن إلٰهاً ظهر ومعه جبال الخبز وأنهار الماء، فمن اعترف به ربّاً؛ أطعمه وسقاه، ومن كذَّبه؛ منعه الطعام والشراب، فالمعصوم عندها من عصمه الله، وتذكّر لحظتها وصايا المصطفى ﷺ:

لن تروا ربكم حتى تموتوا، وأنتم ترون هٰذا الأفَّاك الدجَّال ولم تموتوا بعد.

الماثل أمامكم أعور، وربكم ليس بأعور، بل يتَّصف بكل صفات الكمال والجلال والعظمة.

فالثبات عباد الله عندها على الإيمان حتى تلقوا ربكم.

روى ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء عن أبي أمامة: أن رسول الله ﷺ قال في حديث طويل:

«... وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد؛ يُصيب الناس فيها

---

(١) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٢٨).

جوع شديد، يأمر الله السماء السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كلَّه فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء، فلا يبقى ذات ظلف إلا هلكت؛ إلا ما شاء الله. قيل: فما يُعيش الناس في ذٰلك الزمان؟ قال: التهليل والتكبير والتحميد، ويجزىء ذٰلك عليهم مجزأة الطعام»[1].

٤ ـ مكان خروجه:

روى أحمد والترمذي والحاكم وابن ماجه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ قال: حدَّثنا رسول الله ﷺ، فقال:

«إن الدجَّال يخرج من أرض بالمشرق، يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجانُّ المُطرَّقة»[2].

وأول ظهور أمره واشتهاره والله أعلم يكون بين الشام والعراق؛ ففي رواية مسلم عن النواس بن سمعان:

«. . . إنه خارج خلَّة[3] بين الشام والعراق»[4].

٥ ـ أتباعه:

أ ـ اليهود:

روى أحمد ومسلم عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٧٨٧٥).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (٤ / رقم ١٥٩١).

(٣) أي: في طريق.

(٤) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٤٨).

«يتبع الدجَّال من يهود أصبهان سبعون ألفاً، عليهم الطيالسة»[1].

ب ـ الكفار والمنافقون:

روى الشيخـان والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ليس من بلد إلا سيطؤه الـدجَّـال؛ إلا مكة والمدينة، وليس نُقب من أنقابها إلا عليه الملائكة حافِّين[2] تحرسها، فينزل بالسبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق»[3].

وروى أحمد والشيخان عن أنس:

«يجيء الدجال، فيطأ الأرض إلا مكة والمدينة، فيأتي المدينة، فيجد بكل نقب من أنقابها صفوفاً من الملائكة، فيأتي سبخة الجرف، فيضرب رواقه، فترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة»[4].

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٨٠١٦).

(٢) «تحوطها وتدور حولها.

(٣) «صحيح الجامع» (رقم ٥٤٣٠).

(٤) «صحيح الجامع» (رقم ٨٠٢٨).

فائدة: من الملاحظ أن أتباع الدجال هم اليهود والمنافقون.

واليهود كما هو معلوم يشبهون الله بخلقه، ويصفونه بأسوإ الصفات؛ فهو بخيل وفقير تعالى عما يقولون علوّاً كبيراً، وهو يتعب ويستلقي ليستريح؛ فلا غرو أن يتبعوا الدجال؛ فهم يصفون ربهم بصفات أسوأ من صفات الدجال.

أما المنافقون؛ فهم الذين في قلوبهم زيغ، فيتَّبعون ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فهم يتَّبعون الدجال بالتأويل، فيقولون مثلاً: إذا كان هٰذا الذي نراه قادراً على إنزال المطر بزعمهم أو قتل النفس وإحيائها؛ فلا نشك أنه ربنا؛ لأنه يحتمل أن يأتينا في غير صورته الحقيقة، ونسوا أو تناسوا أنهم لن يروا ربهم حتى يموتوا، وأن الله عندما رآه رسول الله ﷺ في المنام رآه في =

ج ـ جهلة الأعراب:

ودليل ذٰلك ما رواه ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء عن أبي أمامة وفيه:

«. . . وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك؛ أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني! اتَّبعه؛ فإنه ربُّك»[1].

د ـ مَن وجوههم كالمجانِّ المطرقة، ولعلَّهم الترك:

ودليل ذٰلك ما رواه أحمد والترمذي والحاكم وابن ماجه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

«إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة»[2].

ملاحظة: أضفت رقم (ج و د) من أتباع الدجال بعد اطِّلاعي على كتاب الأخ الفاضل يوسف بن عبدالله بن يوسف الوابل «أشراط الساعة»، فجزاه الله

أحسن صورة، وهٰذا من شؤم التأويل، وترك نصوص الكتاب والسنة، لأقوال الرجال.

أما المؤمن الحق؛ فيقول: ما بربنا خفاء، فما نراه أمامنا إنما هو الدجَّال؛ فنحن كما بلغنا رسولنا ﷺ لن نرى ربنا حتى نموت، وأن ربنا عزَّ وجلَّ ليس بأعور.

الا يتَّعظ أصحاب التأويل والذين يقدِّمون العقل على النقل بما يسمعون من أحاديث رسول الله ﷺ حتى لا يكونوا من أصحاب الدجَّال؟!

عذراً؛ فأنا أتكلَّم ونسيت أنهم ينكرون خروج الدجَّال بالكيَّة، ويعتبرونه رمزاً لانتصار الشرِّ على الخير.

(١) «صحيح الجامع» (٧٨٧٥).

(٢) سبق ذكره.

عني وعن المسلمين خيراً، وكان الأخ يحيى كاظم حفظه الله قد أهدى إليَّ هٰذا الكتاب، وأنا بصدد كتابة فهارس كتابي، فتصفحته، واستفدت منه ما ذكرت.

٦ ـ هلاكه:

أ ـ في بلاد الشام حرسها الله:

روى أحمد ومسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«يأتي المسيح من قبل المشرق، وهمته المدينة، حتى ينزل دُبُرَ أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهناك يهلك»(١).

ب ـ قاتله هو عيسى بن مريم عليهما السلام:

روى الترمذي عن مجمّع بن جارية الأنصاري؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يقتل ابن مريم الدجَّال بباب لدّ»(٢).

ولن يسلط عليه أحد إلا عيسى بن مريم عليه السلام.

وروى الشيخان عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال لعمر حين استأذنه في قتل ابن صياد:

«إن يكن هو؛ فلن تُسَلَّط عليه، وإن لم يكن هو؛ فلا خير لك في قتله»(٣).

وستأتي القصة مفصَّلة عند الحديث عن ابن صياد إن شاء الله تعالى.

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٧٩٩٥).

(٢) سبق ذكره في باب نزول عيسى بن مريم.

(٣) «صحيح الجامع» (رقم ١٤٤٤).

٧ ـ لا يولد له:

روى أحمد عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال:

«الدجَّال لا يولد له، ولا يدخل المدينة ولا مكة»(١).

٨ ـ صفاته الخلقية:

أ ـ أعور العين أو العينين:

روى أحمد ومسلم وابن ماجه عن حذيفة رضي الله عنه؛ قال:

«الدجَّال أعور العين اليسرى، جفال الشعر، معه جنَّة ونار، فناره جنَّة، وجنَّته نار»(٢).

وروى الشيخان عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله لا يخفى عليكم، إن الله تعالى ليس بأعور، وإن المسيح الدجَّال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية»(٣).

وروى الشيخان عن ابن عمرو:

«ألا وإن المسيح الدجَّال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من أدم الرجال، تضرب لمَّته بين منكبيه، رَجِلُ الشعر، يقطر رأسه ماء، واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو بينهما يطوف بالبيت، فقلتُ: من هٰذا؟ فقالوا: المسيح

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٣٤٠٣).

(٢) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٤٧).

(٣) وهو في «المشكاة» (رقم ٥٤٧٠).

بن مريم، ثم رأيت رجلاً وراءه، جعداً، قططاً، أعور العين اليمنى، كأشبه من رأيت بابن قِطن، واضعاً يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت، فقلتُ: من هٰذا؟ فقالوا: المسيح الدجَّال»[1].

وروى الشيخان عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ألا أحدثكم حديثاً عن الدجَّال ما حدَّث به نبيٌّ قبلي قومه؟ إنه أعور، يجيء معه بمثل[2] الجنة والنار، فالتي يقول: إنها الجنة هي النار، وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه»[3].

وروى الشيخان وأبو داود والترمذي عن ابن عمر؛ قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجَّال، فقال:

«إني لأنذركموه، وما من نبيٍّ إلا وقد أنذر قومه، ولقد أنذره نوح قومه، ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيٌّ لقومه، تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور»[4].

ب ـ مكتوب بين عينيه كافر:

روى الشيخان عن أنس؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما من نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه (ك ف ر)»[5].

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٢٦٣٦).

(٢) وفي «صحيح الجامع»: «تمثال».

(٣) «مشكاة المصابيح» (رقم ٥٤٧٢).

(٤) «صحيح الجامع» (رقم ٢٤٩٥).

(٥) «صحيح الجامع» (رقم ٥٧٨٩).

وعنـد مسلم والتـرمـذي زيادة في حديث إنـذار أمته من الدجال، وهو الحديث السابق.

قال ابن شهـاب: وأخبـرني عمر بن ثابت الأنصاري: أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال يوم حذر الناس الدجَّال:

«إنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه من كره عمله، أو يقرؤه كل مؤمن، وقال: تعلَّموا أنه لن يرى أحد منكم ربَّه حتى يموت»[1].

ج ـ عينه خضراء كالزجاجة:

روى أحمد وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» عن أبي بن كعب: أن رسول الله ﷺ قال:

«الدجَّال عينه خضراء كالزجاجة، ونعوذ بالله من عذاب القبر»[2].

د ـ قصير، أفحج، جعد، أعور، عينه ليست بناتئة ولا جحراء:

روى أحمد وأبو داود عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ؛ قال:

«إني حدَّثتكم عن الدجَّال حتى خشيت أن لا تعقلوا أن المسيح الدجَّال: قصير، أفحـج[3]، جعـد[4]، أعـور، مطمـوس العين، ليست بنـاتئـة[5] ولا جحراء[6]، فإن ألبس[7] عليكم؛ فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا

(١) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٤٤).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (٤ / رقم ١٨٦٣).

(٣) «هو الذي يتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه.

(٤) أي: تجمع شعره والتوى.

(٥) بارزة.

(٦) غائرة.

(٧) اختلطت صفته عليكم.

ربكم حتى تموتوا»[1].

هـ ـ هجان، أزهر، كأن رأسه أَصَلَة:

روى أحمد وابن حبان عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال:

«الدجال: أعور، هجان[2]، أزهر[2] (وفي رواية أقمر[3])، كأن رأسه أَصَلَة[4]، أشبه الناس بعبدالعزى بن قطن، فإما هلك الهلَّك[5]؛ فإن ربكم تعالى ليس بأعور»[6].

تنبيهات:

١) وردت الأحاديث الصحيحة بأن الدجال أعور العين اليمنى كما وردت أنه أعور العين اليسرى، وهذا مشكل، وقد أورد الحافظ ابن حجر في «الفتح» أقوال العلماء، وألخصها فيما يلي:

ـ أحاديث أعور العين اليمنى وردت في الصحيحين، بينما أعور العين اليسرى وردت عند مسلم وغيره؛ فعلى هذا ترجَّح أحاديث الصحيحين على الموجودة عند أحدهما أو عند غيرهما، وأشار إلى هذا الترجيح ابن عبدالبر.

ـ كلا الروايتين صحيحة؛ فهو أعور العين اليسرى واليمنى، وكلا عينيه معيبة، فإحداهما معيبة بذهاب ضوئها حتى ذهب إدراكها، والأخرى بنتوئها.

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٢٤٥٩).

(٢) (هجان) و(أزهر) بمعنى واحد، وهو الأبيض.

(٣) أي: لونه لون الحمار الأقمر؛ أي: الأبيض.

(٤) جمع هالك؛ أي: فإن هلك به ناس جاهلون وضلُّوا؛ فاعلموا أن الله ليس بأعور.

(٥) الأفعى، وقيل: هي الحية الضخمة القصيرة، والعرب تشبه الرأس الصغير الكثير الحركة برأس الحية.

(٦) «السلسلة الصحيحة» (٣ / رقم ١١٩٣).

قال ذٰلك القاضي عياض، ووافقه النووي بقوله: «هو في نهاية الحسن»، ووافقه على ذٰلك القرطبي أيضاً.

ــ العين اليمنى طافية (بارزة) واليسرى ممسوحة، والظفرة الغليظة يجوز وجودها في كلا العينين، وهي لا تضاد الطمس ولا النتوء، وتكون العين التي ذهب ضوؤها هي المطموسة والمعيبة مع بقاء ضوئها هي البارزة، وهٰذا ما جنح إليه الحافظ ابن حجر من مجموع الأخبار[1].

٢) قول النبي ﷺ: «ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيٌّ لقومه».

هٰذا القول يدل على أن اختصاص النبي ﷺ ببيان أن الدجال أعور دليل على خروج الدجال في أمته ﷺ، ودلَّ الخبر أيضاً على أن علم كونه يختص خروجه بهٰذه الأمة قد طُوي عن غير هٰذه الأمة كما طُوي عن الجميع علم وقت قيام الساعة[2].

٣) قول النبي ﷺ: «إنه أعور، وإن الله ليس بأعور»: اقتصر ﷺ على ذٰلك، مع أن الأدلَّة على أن الدجَّال مخلوق ظاهرة؛ لكون العور أثر محسوس يدركه العالم والعاميُّ ومَن لا يهتدي إلى الأدلَّة العقلية، فإذا ادَّعى الربوبية وهو ناقص الخلقة، والإلٰه يتعالى عن النقص؛ علم أنه كاذب[3].

٤) ابن قطن الذي شبه رسول الله ﷺ الدجال به هو رجل من بني المصطلق من خزاعة، وقال الزهري: هلك في الجاهلية، واسمه عبدالعزى بن قطن[4].

---

(١) «فتح الباري» (٣ / ٩٧ ـ ٩٨).

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ٩٦).

(٣) «فتح الباري» (١٣ / ٩٦).

(٤) «فتح الباري» (١٣ / ٩٨).

٥) تشبيه رسـول الله ﷺ للدَّجـال بعبدالعزى بن قطن دليل من الأدلَّة الكثيرة على أن الدجَّال الأكبر من البشر، وله صفاتهم:

قال شيخنـا حفـظه الـله تعـليقـاً على حديث (١١٩٣) «السلسلة الصحيحة»: «الدجال: أعور، هجان، أزهر، أشبه الناس بعبد العزى بن قطن. . . إلخ»:

«والحديث صريح في أن الدجال الأكبر من البشر، له صفات البشر، لا سيَّما وقد شبِّه به عبدالعزى بن قطن».

ثم قال:

«فالحديث من الأدلَّة الكثيرة على بطلان تأويل بعضهم الدجَّال بأنه ليس بشخص، وإنما هو رمز للحضارة الأوروبية وزخارفها وفتنها، فالدجال من البشر، وفتنته أكبر من ذٰلك؛ كما تضافرت على ذٰلك الأحاديث الصحيحة، نعوذ بالله منه»[1].

٦) الفقرة من الأحاديث التي تقول: «مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن»: هي فقرة متواترة، جاءت عن جمع من الصحابة؛ منهم: أنس، وأبو بكرة، ومعاذ، وأبو أمامة، وجابر، وأسماء بنت عميس[2].

٧) قد يتسـاءل البعض: كيف يقـرأ المؤمن غير الكـاتب ما بين عيني الدجال؟ وهل الكتابة حقيقية؟

أجاب على ذٰلك الحافظ في «الفتح»، فقال:

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (٣ / ١٩١).

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ١٠٠).

«قوله: «يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب»: إخبار بالحقيقة، وذٰلك أن الإدراك في البصر يخلقه الله للعبد كيف شاء ومتى شاء؛ فهٰذا يراه المؤمن بغير بصره، وإن كان لا يعرف الكتابة، ولا يراه الكافر، ولو كان يعرف الكتابة، كما يرى المؤمن الأدلَّة بعين بصيرته ولا يراها الكافر، فيخلق الله للمؤمن الإدراك دون تعلُّم؛ لأن ذٰلك الزمان تنخرق فيه العادات في ذٰلك.

ويحتمل قوله: «يقرؤه من كره عمله»: أن يُراد به المؤمنون عموماً، ويحتمل أن يختص ببعضهم ممَّن قوِي إيمانه:

وقال النووي: الصحيح الذي عليه المحقِّقون أن الكتابة المذكورة حقيقة جعلها الله علامة قاطعة على كذب الدجَّال، فيظهر الله المؤمن عليها، ويخفيها على من أراد شقاوته.

وحكى عياض خلافاً، وأن بعضهم قال: هي مجاز عن سمة الحدوث عليه. وهو مذهب ضعيف.

ولا يلزم من قوله: «يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب»: أن لا تكون الكتابة حقيقة، بل يقدر الله على غير الكاتب علم الإدراك، فيقرأ ذٰلك، وإن لم يكن سبق له معرفة الكتابة، وكأنَّ السرَّ اللطيف في أن الكاتب وغير الكاتب يقرأ ذٰلك؛ لمناسبة أن كونه أعور يُدركه كل من رآه، فالله أعلم»[1].

٩ ـ أعظم الناس شهادة عند رب العالمين مَن يقتله الدجَّال؛ لأنه يثبت كذبه في ادِّعاء الألوهية:

روى أحمد والشيخان عن أبي سعيد الخدري؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) «فتح الباري» (١٣ / ١٠٠)

«يأتي الدجَّال وهو محرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه رجل، وهو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هٰذا ثم أحييته؛ هل تشكُّون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله، ثم يحييه، فيقول: والله ما كنت فيك أشدّ بصيرة مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتله، فلا يسلَّط عليه»[1].

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«يخرج الدجال، فيتوجه قِبَلَه رجل من المؤمنين، فيلقاه المسالح[2] مسالح الدجال، فيقولون له: أين تعمدُ؟ فيقول: أعمدُ إلى هٰذا الذي خرج. فيقولون له: أوما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربِّنا خفاء. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه؟ فينطلقون به إلى الدجَّال، فإذا رآه المؤمن؛ قال: يا أيها الناس! هٰذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ. فيأمر الدجَّال به، فيشبّح[3]، فيقول: خذوه وشجُّوه[4]، فيوسع بطنه وظهره ضرباً، فيقول: أما تؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيح الكذاب. فيؤمر به، فيُنشر بالمنشار من مفرقه[5] حتى يُفرَق بين رجليه، ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم. فيستوي قائماً، ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة. ثم يقول: يا أيها الناس! إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، فيأخذه

---

(١) «مشكاة المصابيح» (رقم ٥٤٧٩).

(٢) هم القوم ذوو السلاح يحفظون الثغور.

(٣) أي: يُمدُّ على بطنه للضرب.

(٤) شقُّوه، والمعنى: اضربوه ضرباً مبرحاً موجعاً.

(٥) أعلى الرأس ووسطه، وهو موضع فرق الشعر.

الـدجـال، فيذبحه، فيُجعَل ما بين رقبته إلى تُرقوته نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً، فيأخذ بيديه ورجليه، فيقذف به، فيحسب الناس إنما قذفه في النار، وإنما ألقي في الجنَّة، وهٰذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»[1].

تنبيهات:

1) زعم أبـو إسحـاق[2] ـ وهو إبراهيم بن سفيان الفقيه راوي «صحيح مسلم» ـ أن هٰذا الرجل المؤمن الذي يقابل الدجال إنما هو الخضر عليه السلام.

قال شيخنا تعليقاً على قوله:

«ومقتضى قوله هٰذا أن يكون الخضر حيّاً، وليس على ذٰلك دليل صحيح من السنة، بل الأدلَّة العامَّة تشهد أنه خلا ومات؛ كما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من المحققين»[3].

قال الحافظ ابن حجر في كتابه «فتح الباري»:

«قال ابن العربي: سمعت من يقول: إن الذي يقتله الدجال هو الخضر، وهٰذه دعوى لا برهان لها»[4].

والحق أن الخضر مات، ولا دليل يحتج به على حياته، ومَن أراد إثبات حياته؛ فليأت بنص صريح صحيح عن رسول الله ﷺ يخصِّص النصوص العامة

---

(1) «صحيح الجامع» (رقم ٨٠٤٨).

(2) وليس هو أبو إسحاق السبيعي كما ظنَّ القرطبي رحمه الله، ويراجع «فتح الباري» (١٣ / ١٠٤).

(3) «مختصر مسلم» (تعليق على الحديث ٢٠٤٩).

(4) «فتح الباري» (١٣ / ١٠٤).

بأنه لا يبقى على ظهر الأرض ممَّن سمع كلام الرسول على رأس مئة سنة أحد.

٢) جاء في حديث النواس بن سمعان عند مسلم: «فيدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين»، وجاء في أحاديث أخرى: «ينشر بالمنشار»، وظاهر الأمر التعارض.

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال ابن العربي: هٰذا اختلاف عظيم ـ يعني: في قتْلِه بالسيف والمنشار ـ، فيُجمع بينهما بأنهما رجلان يقتل كلًّا منهما قتلة غير قتلة الآخر».

قال الحافظ:

«كذا قال، والأصل عدم التعدُّد».

ثم أجاب عن هٰذا الإشكال رحمه الله، فقال:

«رواية المنشار تفسِّر رواية الضرب بالسيف، فلعلَّ السيف كان فيه فلول، فصار كالمنشار، وأراد المبالغة في تعذيبه بالقتلة المذكورة، ويكون قوله: «فضربه بالسيف»؛ مفسراً لقوله: إنه نشره، وقوله: «فيقطعه جزلتين»؛ إشارة إلى آخر أمره لما ينتهي نشره»[1].

٣) قد يتساءل البعض عن إجراء معجزة إحياء الموتى على يد الدجال وهو كذاب مدَّع للرُّبوبية، مع أن هٰذه الآية من آيات الأنبياء؟!

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال الخطابي: فإن قيل: كيف يجوز أن يُجري الله الآية على يد الكافر؛ فإن إحياء الموتى آية عظيمة من آيات الأنبياء؛ فكيف ينالها الدجال وهو

(١) «فتح الباري» (١٣ / ١٠٢ ـ ١٠٣).

كذاب مفتـر يدَّعي الـربوبية؟! فالجواب أنه على سبيل الفتنة للعباد، إذ كان عندهم ما يدل على أنه مبطلٌ غير محقٍّ في دعواه، وهو أنه أعور، مكتوب على جبهتـه كافر، يقرؤه كل مسلم، فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص الذات والقـدْر، إذ لو كان إلٰهـاً؛ لأزال ذٰلـك عن وجهـه، وآيات الأنبياء سالمـة من المعارضة؛ فلا يشتبهان»[1].

٤) يستفـاد من هٰذين الحـديثين أن المؤمن لا يبالي بالموت وهو يظهر الحق، فلا يمنعه الخوف من الموت أو الناس أن يقول كلمة الحق؛ كما أن المؤمن يغتنم كل مناسبة ليدعو إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة.

فهٰذا المؤمن؛ عندما تلقاه المسالح؛ يسألونه أوَما تؤمن بربِّنا؟ فلا يقول لهم: هٰذا كذاب أفاك، إنما يقول لهم: ما بربنا خفاء؛ أي: أن الله بصفات الكمال والجلال والعظمة لا يخفى علينا، وهٰكذا تكون الدعوة إلى الله.

والمؤمن يصبر مهما اشتد البلاء؛ فإن العاقبة معروفة، وهي الجنة.

وأذكِّر في هٰذا المجال كل مؤمن داعية إلى الله بقول رسول الله ﷺ الذي رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم والطيالسي عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال:

«لا يمنعنَّ رجلًا هيبةُ الناس أن يقول بحقٍّ إذا علمه أو شهده أو سمعه»[2].

قال شيخنا حفظه الله تعليقاً على الحديث:

«وفي الحديث النهي المؤكد عن كتمان الحق خوفاً من الناس أو طمعاً في المعـاش، فكـل من كتمـه مخـافـة إيذائهم إياه بنوع من أنواع الإيذاء؛

(١) «فتح الباري» (١٣ / ١٠٣).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (١ / رقم ١٦٨).

كالضـرب، والشتم، وقـطيعة الرزق، أو مخافة عدم احترامهم إياه... ونحو ذٰلك؛ فهو داخل في النهي، ومخالف للنبي ﷺ، وإذا كان هٰذا حال من يكتم الحقَّ وهو يعلمه؛ فكيف يكون حال من لا يكتفي بذٰلك، بل يشهد بالباطل على المسلمين الأبـرياء، ويتهمهم في دينهم وعقيدتهم؛ مسـايرة منـه للرعاع، أو مخـافـة أن يتهموه هو أيضاً بالباطل إذا لم يسايرهم على ضلالهم واتهامهم، فاللهم ثبتنا على الحق، وإذا أردت بعبادك فتنة؛ فاقبضنا إليك غير مفتونين»[1].

١٠ ـ كذبه في ادِّعائه الألوهية:

الدجَّال يدَّعي الألوهية، وهو في ذٰلك كاذب؛ للأسباب التالية:

أ ـ أعور: وهٰذه صفة نقص، والله عز وجل له صفات الكمال والجلال والعظمة، ولو كان إلٰهاً حقّاً؛ لأزال صفة النقص هٰذه.

ب ـ مكتوب بين عينيه كافر: ولو كان صادقاً؛ لأزال هٰذه العلامة الفارقة التي تدل على دجله وكذبه.

جـ ـ يراه الناس: وقد أبلغنا رسول الله ﷺ أننا لن نرى ربنا حتى نموت.

د ـ عجزه: فلا يُسلَّط إلا على نفس واحدة مرَّة واحدة، ولا يستطيع بعد ذٰلك أن يقتله، ولو كان هو الله؛ ما أعجزه شيء.

هـ ـ حاجته إلى غيره: والله غنيٌّ عن العالمين.

و ـ الله عز وجل كريم رحيم بعباده يعطي الدنيا للكافر والمؤمن، ومن يحب ومن لا يحب، بينما **هٰذا الدَّعي لا يعطي إلا من أقرَّ واعترف بأنه إلٰه.**

ز ـ عجزه عن دخول مكة والمدينة والمسجد الأقصى ومسجد الطور: ولو

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١ / ٢٧٤ و٢٧٥).

كان إلٰهاً حقّاً؛ ما منعه شيء.

ح ـ اعترافه بذٰلك: والدجال يعترف بعجزه وتقصيره وحاجته إلى غيره، ومَن كان كذٰلك؛ فلا يصلح أن يكون إلٰهاً.

ففي حديث تميم الداري الذي رواه أحمد ومسلم عن فاطمة بنت قيس:

«... وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح الدجال، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج، فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة؛ غير مكة وطيبة؛ فهما محرَّمتان عليَّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة ـ أو واحداً ـ منهما؛ استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدُّني عنها، وإن على كل نقب من أنقابها ملائكة يحرسونها»[1].

فأي إلٰه هٰذا الذي يأتمر بأوامر غيره، فإذا أذن له؛ خرج، وإلا؛ سيبقى مقيداً في الذل والهوان؟!

أي إلٰه هٰذا الذي يريد دخول مكة والمدينة، فيمنع من دخولهما، والملائكة هم الذين يصدونه، فلو كان إلٰهاً؛ لكانوا بأمره يعملون؟!

١١ ـ العصمة من فتنته:

هٰذه الفتنة العظيمة التي يبتلي الله عباده بها؛ لا يتركهم لها وجهاً لوجه، بل يبيِّن لهم طريق النجاة من هٰذه الفتنة، فمَن اتَّبعها؛ نجا، ومن لم يتبعها؛ فهو في خطر عظيم أن يكون ممَّن يصدقون الكاذب الدجال في دعواه:

أ ـ قراءة أوائل أو أواخر سورة الكهف قراءة تدبُّر وتفكُّر وحفظها:

روى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن نبي الله ﷺ قال:

---

(١) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٥٤).

«من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف؛ عصم من فتنة الدجال (وفي رواية: من آخر الكهف)»[1].

وروى الطبراني والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قرأ سورة الكهف؛ كانت له نوراً إلى يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها، ثم خرج الدجال؛ لم يضره، ومن توضأ، فقال: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك؛ كتب له في رق، ثم جعل في طابع، فلم يُكْسر إلى يوم القيامة»[2،3].

ولعل المقصود بالحفظ والعصمة ما جاء مفسَّراً في حديث الدجال من رواية مسلم وأبي داود.

«... فمن أدركه منكم؛ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف؛ فإنها جواركم من فتنه»[4].

والمتمعِّن في سورة الكهف ويرى ما فيها من العجائب يبادر لحفظها وحث أولاده على حفظها؛ لتكون العاصم من الدجَّال.

قال المناوي في «الفيض» مبيِّناً سبب العصمة:

«وذلك لما في قصة أهل الكهف من العجائب، فمن علمها؛ لم يستغرب

(١) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٩٨).

(٢) «صحيح الترغيب» (رقم ٢١٨).

(٣) جاء في الحديث زيادة عند النسائي في آخره: «ختم عليها بخاتم، فوضعت تحت العرش، فلم تكسر إلى يوم القيامة»، وصوَّب وقفه على أبي سعيد، ولكنه في حكم المرفوع؛ فهو لا يقال من قبيل الرأي. «صحيح الترغيب» (رقم ٢١٨).

(٤) «مشكاة المصابيح» (رقم ٥٤٧٥).

أمر الدجال، فلا يفتن، أو لأن من تدبَّر هٰذه الآيات، وتأمَّل معناها؛ حذره، فأمن منه، أو هٰذه خصوصية أودعت في السورة»[1].

والمتدبر للآيات يجد:

١) تحدثت عن الكتاب، وأنه لا عوج فيه، ولا ريب في ذٰلك، فهو كلام الله الكامل؛ فلا تغتر يا من رأيت الدجَّال الناقص بخوارقه.

٢) تحدثت عن النعيم الأبدي، وما تراه من الدجال الكذاب إنما هو نعيم زائل، وهو نعيم فقط عند أتباعه.

٣) تحدثت عن المظاهر الخادعة وأنها زائلة، وكذٰلك الدجال؛ فهو مظاهر خادعة، سرعان ما تنكشف حقيقته للمؤمن، وأنه أفَّاك كذَّاب.

٤) تحدثت عن قدرة الله عز وجل من خلال أصحاب الكهف؛ فهو القادر أن يحيي ويميت متى شاء وكيف شاء، فكيف يلبِّس علينا مَنْ لا يسلَّط إلا على رجل واحد مرَّة واحدة ولا يسلَّط بعدها؟!

ب ـ عدم الالتقاء به والهروب عند السماع به:

روى أحمد وأبو داود والحاكم عن عمران بن الحصين؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من سمع بالدَّجال؛ فلينأ عنه، فوالله؛ إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات»[2].

ج ـ سكن المؤمن مكة والمدينة أو الالتجاء للمسجد الأقصى ومسجد الطور:

روى أحمد والشيخان عن أنس؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) فيض القدير مجلد ٦ ص ١١٨ التعليق على الحديث ٨٦٣٩.

(٢) «مشكاة المصابيح» (رقم ٥٤٨٨).

«يجيء الدجَّال، فيطأ الأرض إلا مكة والمدينة، فيأتي المدينة، فيجد بكل نقب من أنقابها صفوفاً من الملائكة، فيأتي سبخة الجُرُف، فيضرب رواقه، فترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة»[١].

وروى البخاري عن أبي بكرة عن النبي ﷺ؛ قال:

«لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجَّال، ولها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان»[٢].

وروى البخاري عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال:

«المدينة يأتيها الدجَّال، فيجد الملائكة يحرسونها، فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله»[٣].

وروى مالك وأحمد والشيخان عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجَّال»[٤].

وروى أحمد عن جنادة بن أمية؛ قال: أتينا رجلاً من الأنصار من أصحاب النبي ﷺ، فدخلنا عليه، فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ ولا تحدثنا ما سمعت من الناس، فشدَّدنا عليه، فقال: قام رسول الله ﷺ فينا، فقال:

«أنذركم المسيح، وهو ممسوح العين (أحسبه قال: العين اليسرى)، تسير معه جبال الخبز وأنهار الماء، علامته: يمكث في الأرض أربعين صباحاً، يبلغ سلطانه كل منهل، لا يأتي أربعة مساجد: الكعبة ومسجد الرسول ﷺ

---

(١) سبق ذكره.

(٢) «فتح الباري» (١٣ / رقم ٧١٢٥).

(٣) «فتح الباري» (١٣ / رقم ٧١٣٤).

(٤) «صحيح الجامع» (رقم ٤٠٢٩).

والمسجد الأقصى والطور، ومهما كان من ذلك؛ فاعلموا أن الله عز وجل ليس بأعور (قال ابن عون: أحسبه قال: يسلَّط على رجل فيقتله ولا يُسلَّط على غيره)»[1].

د ـ الإيمان الحق والقوي:

روى أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن أنس؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما بعث الله من نبي إلا قد أنذر أمته الدجَّال الأعور الكذَّاب، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن»[2].

وفي مسلم عن حذيفة: أن رسول الله ﷺ؛ قال:

«... وإن الدجَّال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه: كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب»[3].

هـ ـ دخول نار الدجال لمن ابتُلِي به:

روى أحمد وأبو داود والحاكم عن حذيفة عن رسول الله ﷺ؛ قال:

«يخرج الدجَّال ومعه نهر ونار، فمن دخل نهره؛ وجب وزرُه وحُطَّ أجرُه، ومن دخل ناره؛ وجب أجره وحُطَّ وزره، ثم إنما هي قيام الساعة»[4].

١٢ ـ النجاة من فتنته توجب الجنَّة:

روى مسلم وغيره من حديث النواس بن سمعان، وفيه:

---

(١) «مجمع الزوائد» (٧ / ٣٤٣).

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٥٥٧٨).

(٣) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٤٦).

(٤) «صحيح الجامع» (رقم ٨٠٤٩).

«... ثم يأتي عيسى بن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة»[1].

وروى أحمد وابن أبي عاصم في «السنَّة» والحاكم عن ابن حوالة الأزدي عن النبي ﷺ؛ قال:

«من نجا من ثلاث فقد نجا»؛ ثلاث مرات. قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: «موتي، والدجال، وقتل خليفة مصطبر بالحق يعطيه»[2].

ثانياً: ابن صياد والدجَّال اثنان أم واحد:

دجال من الدجاجلة، ظهر في زمن رسول الله ﷺ، وله مواقف مع رسول الله ﷺ تدل على أنه مشعوذ أفَّاك.

وكان رسول الله ﷺ أول الأمر يشك أنه الدجَّال، ولم يجزم بأمره شيئاً.

وكان بعض الصحابة يحلف أمام رسول الله ﷺ أن ابن صياد هو الدجَّال، ولا ينكر عليه ﷺ، وتابعهم على هٰذا الحلف من كانت له مواقف مع ابن صياد.

ومع العلم أن معرفة الحقيقة لا تقرب العبد إلى الله زلفى، وأن الاشتغال بها مضيعة للوقت، ذٰلك أن ابن صياد مضى ونحن ننتظر الدجال؛ فليكن استعدادنا لما هو آت، سواء كان هو ابن صياد أم غيره.

إلا أنني سأستعرض الأدلَّة في ثنايا هٰذا الكتاب التي استدل بها القائلون بأن ابن صياد هو الدجَّال الأكبر، والأدلَّة التي استدل بها القائلون بأنه غيره؛ محاولاً ما استطعت بيان الحقيقة، وما توفيقي إلا بالله.

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٤١٦٦).

(٢) «السنة» لابن أبي عاصم (رقم ١١٧٧)، وقد مضى.

١ ـ موقفه من رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر:

روى الشيخان عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال:

إن عمر انطلق في رهْطٍ من أصحاب النبي ﷺ مع النبي ﷺ قِبَلَ ابن صياد، حتى وجدوه يلعب مع الغِلْمان عند أطم بني[1] مغالة، وقد قارب يومئذ ابن صياد يحتلم، فلمْ يشعُر حتى ضرب النبي ﷺ ظهره بيده، ثم قال النبي ﷺ: «أتشهد أني رسول الله ﷺ؟». فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأميِّين[2]. فقال ابن صياد للنبي ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ فقال له النبي ﷺ: «آمنت بالله ورسله». قال النبي ﷺ: «ماذا ترى؟». قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب. قال النبي ﷺ: «خلِّط عليك الأمر». قال النبي ﷺ: «إني قد خبأت لك خبيئاً». قال ابن صياد: هو الدخ. قال النبي ﷺ: «اخسأ فلن تعدو قدرك». قال عمر: يا رسول الله! ائذن لي فيه أضربْ عُنَقَهُ. قال النبي ﷺ: «إن يَكُنْهُ فلن تُسلَّطَ عليه، وإن لم يكنْهُ؛ فلا خير لك في قتله»[3].

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري؛ قال:

لقيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر في بعض طرق المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «أتشهد أني رسول الله». فقال هو: أتشهد أني رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «آمنت بالله وملائكته وكتبه، ما ترى؟». قال: أرى عرشاً على الماء. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلَّم: «ترى عرش إبليس على البحر. وما ترى؟». قال: أرى صادقين وكاذباً، أو كاذبين وصادقاً. فقال رسول

(١) بطن من الأنصار، وهم كل ما كان على يمينك إذا وقفت آخر البلاط مستقبل مسجد رسول الله ﷺ.

(٢) العرب.

(٣) «اللؤلؤ والمرجان» (رقم ١٨٥١).

الله ﷺ: «لُبِسَ عليه، دعوه»[1].

وروى الشيخان عن ابن عمر؛ قال:

انطلق النبيُّ ﷺ وأُبي بن كعب يأتيان النخل الذي فيه ابن صياد، حتى إذا دخل النخل؛ طفق النبي ﷺ يتَّقي بجذوع النخل وهو يختل[2] ابن صياد أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه، وابن صياد مضطجعٌ على فراشه في قطيفة[3] له فيها رمزة[4]، فرأت أم صياد النبي ﷺ وهو يتَّقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: أي صاف ـ وهو اسمه ـ! فثار[5] ابن صياد، فقال النبي ﷺ: «لو تركته[6]؛ بيَّن»[7].

والمتدبر لهٰذه الأحاديث يتوصَّل منها لما يلي:

أ ـ رسول الله ﷺ كان يشك في ابن صياد أنه الدجال، ولم يتبيَّن له حاله، فكان ﷺ يحاول أن يعرف ذٰلك من خلال ابن صياد نفسه، كأن يسمعه خلسةً وهو يفصح عن حاله، وشاء الله عز وجل أن لا يحدث هٰذا.

ب ـ قول ابن صياد للرسول ﷺ: أشهد أنك رسول الأميِّين؛ يشير بصورة غير مباشرة بأن ابن صياد كان من أهل العهد، ذٰلك أنه شهد بأنه رسول للعرب

---

(١) «صحيح مسلم» (١٨ / ٤٩ ـ ٥٠).

(٢) يخدع ابن صياد ويستغفله ليسمع شيئاً من كلامه ويعلم هو والصحابة حاله في أنه كاهن أم ساحر ونحوهما.

(٣) كساءٌ له خمل.

(٤) صوت خفي لا يكاد يفهم أو لا يفهم.

(٥) نهض من مضجعه مسرعاً.

(٦) أي: لو تركته أمه ولم تُعْلِمْه بنا أظهر لنا من حاله ما نطَّلع به على حقيقة حاله.

(٧) «اللؤلؤ والمرجان» (رقم ١٨٥٢).

خاصة.

ج ـ لم يقتله رسول الله ﷺ مع ادعائه النبوَّة أمامه، وقد أجاب العلماء على هٰذا بجوابين: إما لصغر سنه، وإما لأنه من أهل العهد.

وذهب لهٰذا التفصيل البيهقي.

واختار القاضي عياض السبب الأول، وهو صغر السن، وجزم الخطابي في «معالم السنن» بالثاني، وهو كونه من أهل العهد.

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح»[1]:

«. . . ثم إن في السؤال عندي نظراً؛ لأنه لم يصرح بدعوى النبوة، وإنما أوهم أنه يدَّعي الرسالة، ولا يلزم من دعوى الرسالة دعوى النبوة، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنا الشَّياطِينَ عَلى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾[2].

د ـ قال النووي رحمه الله:

قال العلماء: قصة ابن صياد مشكلة، وأمره مشتبه؛ في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره؟ ولا شك في أنه دجَّال من الدَّجاجلة، وظاهر الأحاديث أن النبي ﷺ لم يوحَ إليه بأنه المسيح الدجَّال أو غيره، وإنما أوحي إليه بصفات الدجَّال، وكان في ابن صياد قرائن محتملة؛ فلذٰلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره، ولهٰذا قال لعمر رضي الله عنه: «إن يكن هو؛ فلن تستطيع قتله»[3].

ثم قال رحمه الله:

---

(١) «فتح الباري» (٦ / ١٧٤).

(٢) مريم: ٨٣.

(٣) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٤٦).

«قال البيهقي في كتابه «البعث والنشور»: اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافاً كثيراً؛ هل هو الدجال؟ قال: ومن ذهب إلى أنه غيره؛ احتجَّ بحديث تميم الداري في قصة الجساسة الذي أخرجه مسلم.

ويجوز أن توافق صفة ابن صياد صفة الدجال؛ كما ثبت في الصحيح أن أشبه الناس بالدجَّال عبدالعزى بن قطن، وليس كما قال، وكان أمر ابن صياد فتنة ابتلى الله تعالى بها عباده، فعصم الله تعالى منها المسلمين، ووقاهم شرها»[1].

٢ ـ موقفه من الصحابة وموقف الصحابة منه:

أ ـ موقف عبدالله بن عمر رضي الله عنهما منه:

روى مسلم عن نافع قال:

لقي ابن عمر ابن صائد في بعض طرق المدينة، فقال له قولاً أغضبه، فانتفخ حتى ملأ السكة[2]، فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها[3]، فقالت له: رحمك الله، ما أردت من ابن صائد؟ أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «إنما يخرج من غضبةٍ يغضبها»[4]؟

روى مسلم عن عون عن ابن نافع؛ قال: كان نافع يقول: ابن صياد، قال: قال ابن عمر: لقيته مرتين. قال: فلقيته، فقلت لبعضهم: هل تحدَّثون أنه هو؟ قال: لا والله. قال: قلت: كذبتني، والله لقد أخبرني بعضكم أنه لن

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٤٧ ـ ٤٨).

(٢) الطريق.

(٣) وصل إليها ما جرى بينهما.

(٤) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٥٧).

يموت حتى يكون أكثركم مالاً وولداً، فكذٰلك هو زعموا اليوم. قال: فتحدَّثنا ثم فارقْتـه. قال: فلقيتُه لَقْيةً أخرى وقد نفرت[1] عينه. قال: فقلتُ: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدري. قال: قلت: لا تدري وهي في رأسك؟ قال: إن شاء الله خلقها في عصاك هٰذه. قال: فنخر[2] كأشد نخير حمار سمعت. قال: فزعم بعض أصحـابي أني ضربته بعصاً كانت معي حتى تكسرت، وأما أنا؛ فوالله ما شعرت. قال: وجاء حتى دخل على أم المؤمنين، فحدَّثها، فقالت: ما تريد إليه؟ ألم تعلم أنه قد قال: «إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه»[3].

وروى أبو داود في «سننه» عن نافع؛ قال:

كان ابن عمر يقول: والله ما أشك أن المسيح الدجَّال ابن صياد[4].

هٰذا موقف ابن عمر، وقد شهد لقاءات رسول الله ﷺ مع ابن صياد، فكان يخشى أن يكون الدجال؛ لذا كان يثير ابن صياد أحياناً بالكلام وأحياناً بالضرب؛ ليحصل على قرائن تؤكِّد شكَّه؛ كانتفاخ ابن صياد حتى ملأ السكة، ونفور عينه، وكانت هٰذه القرائن كافية عنده لأن يوقن أن ابن صياد هو الدجَّال.

على أن سياق القصة التي لقيه فيها في المرة الثانية يُشعر أن هناك من أصحاب ابن عمر من كان يرى أنه ليس الدجال، ويقسم على ذٰلك.

ب ـ موقف أبي سعيد الخدري رضي الله عنه منه:

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري؛ قال:

---

(١) ورمت.

(٢) صوَّت صوتاً منكراً.

(٣) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٥٧ ـ ٥٨).

(٤) «مشكاة المصابيح» (رقم ٥٥٠١).

خرجنا حجاجاً أو عماراً، ومعنا ابن صائد. قال: فنزلنا منزلاً، فتفرَّق الناس، وبقيت أنا وهو، فاستوحشت وحشة شديدة مما يقال عليه. قال: وجاء بمتاعه، فوضعه مع متاعي، فقلت: إن الحرَّ شديد، فلو وضعته تحت تلك الشجرة. قال: ففعل. قال: فرُفعت لنا غنم، فانطلق، فجاء بعسٍّ[1]، فقال: اشرب أبا سعيد. فقلت: إن الحرَّ شديد، واللبن حار، ما بي إلا أني أكره أن أشرب عن يده (أو قال: آخذ عن يده). فقال: أبا سعيد! لقد هممت أن آخذ حبلًا، فأعلِّقه بشجرة، ثم أختنق مما يقول لي الناس. يا أبا سعيد! من خفي عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفي عليكم معشر الأنصار؟ ألست من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ هو كافر وأنا مسلم؟ أوليس قد قال رسول الله ﷺ هو عقيم لا يولد له وقد تركت ولدي بالمدينة؟ أوليس قد قال رسول الله ﷺ لا يدخل المدينة ولا مكة وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة؟ قال أبو سعيد الخدري: حتى كدت أن أعذره. ثم قال: أما والله إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن. قال: قلت له: تبّاً لك[2] سائر اليوم[3].

وفي رواية عند مسلم عن أبي سعيد؛ قال:

قال لي ابن صائد وأخذتني منه ذمامة[4]: هٰذا عَذَرْتُ الناس، مالي ولكم يا أصحاب محمد؟! ألم يقل نبي الله ﷺ إنه يهودي وقد أسلمت؟ قال: ولا يولد له وقد وُلِد لي؟ وقال: إن الله قد حرَّم عليه مكة وقد حججت؟ قال: فما زال حتى كاد أن يأخذ فيَّ قوله. قال: فقال له: أما والله إني لأعلم الآن حيث هو،

(١) بضم العين: هو القدح الكبير، وجمعه عِساسٌ وأعساس.

(٢) أي: خسراناً وهلاكاً لك في باقي اليوم.

(٣) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٤١).

(٤) حياءٌ وإشفاقٌ من الذمِّ واللوم.

وأعرف أباه وأمه. قال: وقيل له: أيَسُرُّك أنَّك ذاك الرجل. قال: فقال: لو عرض عليَّ ما كرهت[1].

يتبيَّن من حديثه مع أبي سعيد أن ابن صياد كان يحب إثارة الشك حوله، فبعد أن استشهد على أنه ليس الدجَّال بأقوال رسول الله ﷺ الصحيحة، وعندما كاد قوله أن يؤثر في أبي سعيد؛ أعاد الشك عند أبي سعيد رضي الله عنه بما قاله من معرفته بالدجال، وأين هو؟ ومن أبوه؟ ومن أمه؟ وأنه لا يكره أن يكون هو.

ج ـ موقف جابر بن عبدالله رضي الله عنه منه:

روى الشيخان عن محمد بن المنكدر؛ قال:

رأيت جابر بن عبدالله يحلف بالله أن ابن الصياد الدجال. قلت: تحلف بالله؟ قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ[2].

٣ ـ سؤال النبي ﷺ وتصديقه إياه:

روى مسلم عن أبي سعيد؛ قال: قال رسول الله ﷺ لابن صائد: «ما تربة الجنة؟». قال: دَرْمَكَة[3] بيضاء مسكٌ يا أبا القاسم. قال: «صدقت»[4].

وروى مسلم عن أبي سعيد أيضاً أن السائل إنما هو ابن صياد، وأن المسؤول هو رسول الله ﷺ، فأجاب عليه السلام: «درْمَكة بيضاء، مسك خالص».

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٥٠ ـ ٥١).

(٢) «مشكاة المصابيح» (رقم ٥٥٠٠).

(٣) الدقيق الحواري الخالص البياض.

(٤) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٥٢).

قال النـووي: «قـال القـاضي: قال بعض أهـل النظر: والرواية الثانية أظهر»[1]؛ أي: التي فيها السائل إنما هو ابن صياد.

٤ ـ والآن نعود فنسأل: هل الدجال هو ابن صياد أم لا؟

للإجابة على هٰذا السؤال نحاول أن نجيب على سؤال آخر، وهو:

هل رأى الدجَّال أحدٌ؟

والجواب على هٰذا السؤال: لقد رآه جمع رأي عين، وهم:

أ ـ رسول الله ﷺ:

روى الشيخان عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:

«رأيت ليلة أسري بي موسى رجلًا آدم طوالًا جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلًا مربوعاً، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، ورأيت مالكاً خازن النار، والدجَّال في آياتٍ أراهن الله إياه، فلا تكن في مرية من لقائه»[2].

وروى أحمد عن ابن عباس أن النبي ﷺ رأى الدجَّال في صورته رؤيا عين ليس رؤيا منام، فسئل النبي ﷺ عن الدجَّال؟ فقال:

«رأيته فيلمانيّاً[3] أقمر هجاناً»[4].

ب ـ تميم الداري وصحبه من لخم وجذام وهم من فلسطين والله أعلم.

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٥٢).

(٢) «اللؤلؤ والمرجان» (رقم ١٠٤).

(٣) عظيماً ضخم الجثة.

(٤) «السلسلة الضعيفة» (رقم ١٩٦٨).

روى مسلم عن عامر بن شراحيل الشعبي (شعب همـذان): أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس، وكانت من المهاجرات الأول، فقال: حدثيني حديثاً سمعتيه من رسول الله ﷺ لا تُسنديه إلى أحد غيره. فقالت: لئن شئتَ لأفعلنَّ. فقال لها: أجل؛ حدثيني. فقالت:

نكحت ابن المغيرة، وهو من خيار شباب قريش يومئذ، فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ، فلما تأيمت؛ خطبني عبدالرحمٰن بن عوف في نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، وخطبني رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد، وكنت قد حُدِّثْتُ أن رسول الله ﷺ قال: «من أحبني؛ فليحبَّ أسامة». فلما كلّمني رسول الله ﷺ؛ قلت: أمري بيدك، فأنكحني من شئت. فقال: «انتقلي إلى أم شريك». وأم شريك امرأة غنية من الأنصار، عظيمة النفقة في سبيل الله، ينزل عليها الضيفان. فقلت: سأفعل. فقال: «لا تفعلي؛ إن أم شريك كثيرة الضيفان؛ فإني أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين، ولكن انتقلي إلى ابن عمك عبدالله بن عمرو بن أم مكتوم». وهو رجل من بني فهر، فهر قريش، وهو من البطن الذي هي منه، فانتقلت إليه، فلما انقضت عدَّتي؛ سمعت نداء المنادي منادي رسول الله ﷺ ينـادي الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته؛ جلس على المنبـر وهو يضحك، فقال: «ليلزم كل إنسان مصلاَّه»، ثم قال: «أتدرون لم جمعتكم؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إني والله ما جمعتكم لرغبةٍ ولا لرهبةٍ، ولكن جمعتُكم لأن تميماً الداريَّ كان رجلاً نصرانيّاً، فجاء، فبـايع وأسلم، وحدَّثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم

الموج شهراً في البحر، ثم أرفؤوا[1] إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب[2] السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابَّة أهلب[3] كثير الشعر لا يدرون ما قُبُلُه من دُبُره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك! ما أنت؟ قالت: أنا الجسَّاسة. قالوا: وما الجسَّاسة؟ قالت: أيها القوم! انطلقوا إلى هٰذا الرجل في الدَّير؛ فإنه إلى خبركم بالأشواق[4]. قال: لما سمَّت لنا رجلاً؛ فَرِقْنا[5] منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشدُّه وثاقاً، مجموعةٌ يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك؟ ما أنت؟ قال: قد قَدِرْتُم على خبري، فأخبروني ما أنتم. قالوا: نحن أناس من العرب، ركبْنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم[6]، فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هٰذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يُدرى ما قُبُله من دُبُره من كثرة الشعر. فقلنا: ويلك! ما أنت؟ فقالت: أنا الجسَّاسة. قلنا: وما الجسَّاسة؟ قالت: اعمِدوا إلى هٰذا الرجل في الدير؛ فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً، وفَرِقْنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبروني

---

(١) التجؤوا إليها.

(٢) هي سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم، والجمع قوارب، والواحد قارَب بكسر الراء وفتحها، وجاء هنا أقرب، وهو صحيح، ولكنه خلاف القياس، وقيل: المراد بأقرب السفينة أخرياتها وما قرب منها للنزول.

(٣) غليظ الشعر وكثيره.

(٤) أي: شديد الأشواق إليه.

(٥) خفنا.

(٦) هاج وجاوز حدَّه المعتاد، وقال الكسائي: الاغتلام: أن يتجاوز الإنسان ما حدَّ له من الخير والمباح. «صحيح مسلم بشرح النووي».

عن نخل بيسان. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنَّه يوشك أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زُغَر[1]. قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبيِّ الأمِّيين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال: قد كان ذٰلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح[2]، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج، فأسير في الأرض، فلا أدع قرية؛ إلا هبطتها في أربعين ليلة؛ غير مكة وطيبة؛ فهما محرَّمتان عليَّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما؛ استقبلني مَلَكٌ بيده السيف صلتاً[3] يصدُّني عنها، وإن على كل نقْب منها ملائكة يحرسونها». قالت: قال رسول الله ﷺ - وطعن بِمِخْصَرَتِهِ في المنبر -: «هٰذه طيبة، هٰذه طيبة (يعني: المدينة)، ألا هل كنت حدَّثتكم ذٰلك؟». فقال الناس: نعم. «فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدِّثكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه من بحر الشأم أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو (وأومأ بيده إلى المشرق)».

---

(١) بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام.

(٢) الدجال، وجاءت هٰذه اللفظة في أصل نسخ «مختصر مسلم للمنذري»، ولم ترد في «صحيح مسلم».

(٣) بفتح الصاد وضمنها؛ أي: مسلولاً.

قالت: فحفظت هٰذا من رسول الله ﷺ

وعند الترمذي عن فاطمة بنت قيس: أن نبيَّ الله ﷺ صعد المنبر، فضحك، فقال:

«إن تميماً الداري حدَّثني بحديث، ففرحت، فأحببت أن أحدثكم: أن ناساً من أهل فلسطين ركبوا سفينة في البحر، فجالت بهم، حتى قذفتهم في جزيرة من جزائر البحر، فإذا هم بدابَّة لبَّاسة ناشرة شعرها. فقالوا: ما أنت؟ قالت: أنا الجسَّاسة. قالوا: فأخبرينا. قالت: لا أخبركم ولا أستخبركم، ولكن ائتوا أقصى القرية؛ فإن ثَمَّ مَن يخبركم ويستخبركم.

فأتينا أقصى القرية، فإذا رجل مُوثَقٌ بسلسلة، فقال: أخبروني عن عين زغر؟ قلنا: ملأى تدْفق. قال: أخبروني عن البحيرة؟ قلنا: ملأى تدفِق. قال: أخبروني عن نخل بيسان الذي بين الأردن وفلسطين؛ هل أطْعَم؟ قلنا: نعم. قال: أخبروني عن النبي؛ هل بُعث؟ قلنا: نعم. قال: أخبروني كيف الناس إليه؟ قلنا: سراع. قال: فنزى نزوَةً حتى كاد. قلنا: فما أنت؟ قال: أنا الدجال، وإنه يدخل الأمصار كلها إلا طيْبة، وطيْبة المدينة»(١).

يتبيَّن لنا من هٰذه الأحاديث ما يلي:

١) أن رسول الله ﷺ رأى الدجال رأي عين كما رآه مناماً، وكذٰلك رآه تميم الداري ومَن كان معه على ظهر السفينة.

٢) الدجال موثق بسلاسل في جزيرة من جزائر البحر، فإذا قضى الله خروجه؛ فكَّت سلاسله وخرج.

٣) خروجه يكون من جهة المشرق جزماً

---

(١) «صحيح الترمذي» (١٨٣٧).

٤) له علامات تدل على خروجه، تقع جميعها حيث يهلك، فالعلامات في بلاد الشام، بل كلها في الجزء الجنوبي من بلاد الشام (فلسطين والأردن).

٥ ـ وعلى هٰذا أقول:

ابن صياد دجال من الدجاجلة، كانت به قرائن محتملة لأن يكون الدجال، وليس هو؛ لما يلي:

أ ـ وجوده موثقاً بالحديد في زمن رسول الله ﷺ في جزيرة من جزائر البحر، ولتفسير خروجه والتقائه برسول الله ﷺ لا بدَّ من نصٍّ واضح في ذٰلك، وهو مفقود هنا.

قال الحافظ في «الفتح» بعد أن ساق حديث تميم مختصراً:

«قال البيهقي: في حديث تميم أن الدجَّال الذي يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد، وكان ابن صياد أحد الدجالين الكذابين الذين أخبر ﷺ بخروجهم، وكأن الذين يجزمون بابن صياد هو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم، وإلا؛ فالجمع بينهما بعيد جدّاً، إذ كيف يلتئم أن يكون من كان في أثناء الحياة النبوية شبه المحتلم ويجتمع به النبي ﷺ ويسأله أن يكون في آخرها شيخاً[1] كبيراً مسجوناً في جزيرة من جزائر البحر موثقاً بالحديد يستفهم عن خبر النبي ﷺ هل خرج أو لا؟! فالأولى أن يحمل على عدم الاطلاع، أما عمر؛ فيحتمل أن يكون ذٰلك منه قبل أن يسمع قصة تميم، ثمَّ لما سمعها لم يعد إلى الحلف المذكور، وأما جابر؛ فشهد حلفه عند النبي ﷺ، فاستصحب ما كان اطَّلع عليه من عمر بحضرة النبي ﷺ».

(١) قال الحافظ في «الفتح»: «جاء في بعض طرق حديث تميم عند البيهقي أن الدجال شيخ (كبير السن)، وسندها صحيح».

ب ـ عدم إنكـار النبي ﷺ على عمـر لا يستلزم منـه أن ابن صياد هو الدجَّال؛ لأن النبي ﷺ كان متردِّداً في أمره، وإنكاره أو عدمه يستلزم أن يكون جازماً بالأمر المقرّ أو المنكر.

قال الحافظ في «الفتح»:

«كان جابراً؛ لما سمع عمر يحلف عند رسول الله ﷺ فلم ينكر عليه؛ فهم منه المطابقة، ولكن بقي أن شرط العمل بالتقرير أن لا يعارضه التصريح بخلافه، فمَن قال أو فعل بحضرة النبي شيئاً، فأقره؛ دلَّ ذلك على الجواز، فإن قال النبي ﷺ: افعل خلاف ذلك؛ دلَّ على نسخ ذلك التقرير؛ إلا إن ثبت دليل الخصوصية»[1].

ثم قال رحمه الله:

«وقد تكلَّم ابن دقيق العيد على مسألة التقرير في أوائل «شرح الإلمام»، فقال ما ملخصه: إذا أُخبر بحضرة النبي ﷺ عن أمر ليس فيه حكم شرعي؛ فهل يكون سكوته ﷺ دليلاً على مطابقة ما في الواقع؛ كما وقع لعمر في حلفه على ابن صياد هو الدجال، فلم ينكر عليه؟ فهل يدل عدم إنكاره على أن ابن صياد هو الدجال كما فهمه جابر حتى صار يحلف عليه ويستند إلى حلف عمر أو لا يدل فيه نظر؟ قال: والأقرب عندي أنه لا يدل؛ لأن مأخذ المسألة ومناطها هو العصمة من التقرير على باطل، وذلك يتوقف على تحقُّق البطلان، ولا يكفي فيه عدم تحقُّق الصحة؛ إلا أن يدَّعي مدَّع أنه يكفي في وجوب البيان عدم تحقُّق الصحة، فيحتاج إلى دليل، وهو عاجز عنه.

نعم؛ التقرير يسوِّغ الحلف على ذلك على غلبة الظن؛ لعدم توقُّف ذلك

---

(1) «فتح الباري» (١٣ / ٣٢٥).

على العلم»[1].

أما ابن بطال رحمه الله؛ فقد ذهب إلى ترجيح أن ابن صياد هو الدجَّال.

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال ابن بطَّال بعد أن قرَّر دليل جابر: فإن قيل: ثبت[2] أن عمر قال للنبي ﷺ في قصة ابن صياد: دعني أضرب عنقه. فقال: «إن يكن هو؛ فلن تسلَّط عليه»؛ فهٰذا صريح في أنه تردَّد في أمره، فلا يدلُّ سكوته عن إنكاره عند حلف عمر على أنه هو.

قال[3]: وعن ذٰلك جوابان:

أحدهما: أن الترديد كان قبل أن يعلمه الله تعالى بأنه هو الدجال، فلما أعلمه؛ لم ينكر على عمر حلفه.

والثاني: أن العرب قد تخرج الكلام مخرج الشك وإن لم يكن في الخبر شك، فيكون ذٰلك من تلطُّف النبي ﷺ بعمر في صرفه عن قتله»[4].

قلت[5]: يرد على ابن بطال رحمه الله ما يلي:

ـ ما الدليل على أن الله أعلم رسوله بأن ابن صياد هو الدجال؟

ـ يمكن أن يكون سكوت رسول الله ﷺ عن الإنكار على عمر أنه تبيَّن له أن ابن صياد ليس الدجال، ولكنه رأى من المصلحة أن لا يخبرهم بذٰلك؛

---

(1) «فتح الباري» (١٣ / ٣٢٧).

(2) هٰذه الكلمة من عندي.

(3) أي: ابن بطال.

(4) «فتح الباري» (١٣ / ٣٢٥).

(5) أي: المؤلف.

خشية عليهم من تلبيس ابن صياد وتدجيله؛ فهو ولا شك دجَّال من الدجاجلة، فلو أنه ﷺ أعلمه أنه ليس الدجال؛ لأنس له المسلمون، واستطاع أن يبث بينهم سمومه؛ كما فعل عبدالله بن سبإ وغيره.

على أن ابن بطال رحمه الله لم يجزم بصورة مطلقة على أنه الدجال:

قال الحافظ في «الفتح» ما ملخصه:

«إن ابن بطال ذكر ما ورد عن غير جابر مما يدل على أن ابن صياد هو الدجال، ومنها حديث ابن عمر، وأنه لقيه مرتين، وضربِ ابن عمر له وهو لا يشعر أنه يضربه، ودخوله على أم المؤمنين حفصة، وقولها له: ألم تسمع قول رسول الله ﷺ: «إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه»، ثم قال ابن بطال: فإن قيل: هٰذا أيضاً يدلُّ على التردُّد في أمره؛ فالجواب أنه إن وقع الشك في أنه الدجال الذي يقتله عيسى بن مريم؛ فلم يقع الشك في أنه أحد الدجالين الذين أنذر بهم النبي ﷺ في قوله: (إن بين يدي الساعة دجَّالين كذَّابين)».

قال الحافظ:

«وملخصه عدم تسليم الجزم بأنه الدجال»(١).

ج - يشكل عند البعض رؤية النبي ﷺ للدَّجَّال في المنام يطوف بالبيت، ولا إشكال فيه إن شاء الله تعالى؛ لما يلي:

١) هٰذه رؤيا منامية، وعند التعارض مع أقواله يقظة؛ تقدم الأقوال على الرؤيا المنامية.

٢) أنها حالة خاصة تستثنى من عموم قوله ﷺ: «الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة».

---

(١) «فتح الباري» (١٣ / ٣٢٥) ملخصاً.

٣) أن هٰذه الرؤيا تمَّتْ في مكة، والرسول ﷺ مستضعف، فأراد الله عز وجل أن يسرِّي عن رسوله برؤيا تبيِّن له انتصار الخير على الشر، فأراه عيسى بن مريم ومعه الدجَّال يطوف خلفه؛ بياناً لانتصار الخير ممثلاً في عيسى بن مريم الـذي يزيل الشر ممثلاً في الدجال، فيأنس رسول الله ﷺ لوعد ربه بانتصار وظهور الإسلام، فكانت رؤية الدجال في مكة حالة خاصة.

٤) لم يعط الله عزَّ وجلَّ للدجَّال خاصيَّة التشكُّل في نفسه، حتى لا يبقى للناس حجة على الله، فبين عينيه كافر، وابن صياد ليس كذٰلك، وهو أعور، وابن صياد نفرت عينه، وليس من دليل أنها أصبحت عوراء.

٥) وأهم دليل في نظري أن أقوال رسول الله ﷺ مطلقة، وتحتاج لتقييدها إلى دليل صريح أو قرينة قاطعة لا تقبل التأويل، وهي أمور مفقودة، والله أعلم.

فما الذي يقيد مثلاً قوله ﷺ: «الدجَّال لا يولد له ولا يدخل مكة والمدينة».

وهٰذا ابن صياد كان له ابن هو من خيار وأفاضل المسلمين الثقات؛ كما جاء في ترجمته في «التهذيب»، واسمه عمارة بن عبدالله بن الصياد[1]. وهٰذا ابن صياد قد ولد بالمدينة وحج.

٦) وأما القول بأن هٰذا كله إنما يكون عند خروجه؛ ففيه نظر؛ لوجوه:

ـ ما الدليل الذي يستدل به على هٰذا القول؟

ـ إن كان هٰذا يكـون وقت خروجه؛ فما الدليل على أنه في غير وقت خروجه يخرج للناس ويتزوج ويولد له ويدخل مكة والمدينة؟

---

(١) ترجمته في «تهذيب التهذيب» (٧ / ٦٨٢)، وقد دلَّني عليها أخونا يحيى محمد أمين كاظم، فجزاه الله خيراً.

وأختم حديثي عن ابن صياد بالقول:

إن مما اتفق المسلمون عليه أن ابن صياد دجَّال من الدجاجلة، واختلفوا هل هو الدجال أم لا، فنخرج من اختلافهم بأخذ ما اتَّفقوا عليه وترك ما اختلفوا فيه؛ إلا أن يتضح الدليل.

وجمع الحافظ في «الفتح» بين حديث تميم وكون ابن صياد هو الدجال، فقال:

«وأقرب ما يُجمع به بين ما تضمنه حديث تميم وكون ابن صياد هو الدجال: أن الدجال بعينه هو الذي شاهده تميم موثقاً، وأن ابن صياد شيطان تبدَّى في صورة الدجَّال في تلك المدة إلى أن توجَّه إلى أصبهان فاستقرَّ مع قرينه إلى أن تجيء المدة التي قدَّر الله تعالى خروجه فيها»[1].

ويشكل على كونه شيطاناً أنه تزوج وولد له ولد من أفاضل المسلمين، والله تعالى أعلم.

وقد فقد المسلمون ابن صياد يوم الحرة:

روى أبو داود عن جابر رضي الله عنه؛ قال: قد فقدنا ابن صياد يوم الحرة[2].

ثالثاً: فتن الدجَّال:

الدجال في ادِّعائه الألوهية يعتمد على خوارق تؤيد ادِّعاءاته الباطلة، فمن كان عند الله ضالاًّ؛ أعمى بصره وبصيرته؛ فلا يرى العلامات الباهرات التي

---

(١) «فتح الباري» (١٣ / ٣٢٨).

(٢) يوم الحرة: هو يوم غلبة يزيد بن معاوية على أهل المدينة.

تبرز كذب المدَّعي، ويرى الخوارق التي يجريها الله على يديه ابتلاء للناس وفتنة.

ومن أراد الله به الخير؛ رأى ببصره وبصيرته تلك العلامات الباهرات التي تبرز كذب الدجَّال، فيثبت على إيمانه، وينجو من فتنته.

ومن البلاء أن الخوارق التي يظهر، تتعلَّق بأمور يعرف الناس أنها من صفات الله؛ فنزول المطر وانحباسه، وإخراج كنوز الأرض بكلمة، وإحياء الميت؛ هي أمور تتم بأمر الله، فإذا أمر الدجَّال السماء أن تمطر؛ فهي تمطر بإذن الله، لا الدعيِّ، وإن ظهر ذلك للناس؛ ابتلاء لهم وفتنة.

فلنتعرَّفْ على فتنه وضلالاته، ولندع الله مخلصين أن يجنِّبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

١ ـ معه مثل الجنَّة والنار:

ففي حديث أبي أمامة عند ابن ماجه والحاكم وابن خزيمة والضياء:

«. . . ومن فتنته أن معه جنة وناراً؛ فناره جنة، وجنته نار، فمن ابتلي بناره؛ فليستغث بالله، وليقرأ فواتح الكهف»[١].

وروى أحمد والشيخان وأبو داود عن حذيفة وأبي مسعود معاً: أن رسول الله ﷺ قال:

«لأنا أعلم بما مع الدجَّال من الدجَّال؛ معه نهران يجريان: أحدهما رأيَ العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجَّج، فإما أدركهنَّ واحد منكم؛ فليأت النهر الذي يراه ناراً، ثم ليغمس، ثم ليطأطىء رأسه فيشرب؛ فإنه ماء بارد، وإن

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٧٨٧٥).

الدجال ممسوح العين اليسرى، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب»[1].

٢ ـ تعاون الشياطين معه لإضلال الناس:

ففي حديث أبي أمامة:

«... وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك؛ أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمِّه، فيقولان: يا بنيَّ! اتَّبعه؛ فإنه ربُّك»[2].

٣ ـ قتْل نفس واحدة وإحيائها بإذن الله.

ففي حديث أبي أمامة:

«... وإن من فتنته أن يُسلَّط على نفس واحدة، فيقتلها؛ ينشرها بالمنشار حتى تلقى شقين[3]، ثم يقول: انظروا إلى عبدي هٰذا؛ فإني أبعثه، ثم يزعم أن له ربّاً غيري، فيبعثه الله، ويقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربِّيَ الله، وأنت عدوُّ الله، أنت الدجَّال، والله ما كنت قطُّ أشد بصيرة بك منِّي اليوم»[4].

وفي حديث النواس بن سمعان الذي رواه أحمد ومسلم والترمذي:

«... ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين[5]

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٥٠٥١).

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٧٨٧٥).

(٣) الشق: هو الجنب؛ أي: قسمين.

(٤) «صحيح الجامع» رقم (٥٠٥١).

(٥) أي: قطعتين.

رمْية الغرض[1]، ثم يدعوه، فيُقْبل، ويتهلَّل[2] وجهه، ويضحك[3].

٤ ـ أمره السماء بالمطر والأرض بالنبات:

ففي حديث أبي أمامة:

«... وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت»[4].

٥ ـ حال من يصدقه وحال من يكذِّبه:

أ ـ حال من يكذبه:

ففي حديث أبي أمامة:

«... وإن من فتنته أن يمرَّ بالحي فيكذبونه، فلا يبقى لهم سائمة[5]؛ إلا هلكت»[6].

وفي حديث النواس بن سمعان:

«... ثم يأتي القوم، فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين[7]؛ ليس بأيديهم شيء من أموالهم»[8].

---

(١) يجعل بين القطعتين مقدار رمية السهم إلى الهدف.

(٢) يستنير وتظهر عليه علامات السرور.

(٣) «صحيح الجامع» (رقم ٤١٦٦).

(٤) «صحيح الجامع» رقم (٥٠٥١).

(٥) السائمة: الدابة.

(٦) «صحيح الجامع» رقم (٥٠٥١).

(٧) قد قطع المطر عنهم، يُقال: محل المكان: إذا أجدب.

(٨) «صحيح الجامع» (رقم ٤١٦٦).

ب ـ حال من يصدقه:

ففي حديث أبي أمامة:

«. . . وإن من فتنته أن يمرَّ بالحيِّ فيصدِّقونه، فيأمر السماء أن تُمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تُنبت فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمدَّه[1] خواصر وأدرَّه[2] ضروعاً»[3].

وفي حديث النواس بن سمعان:

«. . . فيأتي على القوم، فيدعوهم، فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم[4] أطول ما كانت درّاً[5] وأشبعه[6] ضروعاً وأمدَّه خواصر»[7].

٦ ـ إخراجه لكنوز الأرض:

ففي حديث النواس بن سمعان:

«. . . ويمرُّ بالخربة[8]، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب[9] النحل»[7]!!

(١) أوسعها وأتمَّها.

(٢) أكثره.

(٣) «صحيح الجامع» (رقم ٥٨٧٥).

(٤) إبلهم.

(٥) أكثر ما كانت حلباً.

(٦) أملؤه من كثرة اللبن.

(٧) «صحيح الجامع» رقم (٤١٦٦).

(٨) الموضع المحروث للزراعة.

(٩) جماعات النحل.

رابعاً: مدة بقائه في الأرض:

يمكث الـدجـال في الأرض أربعين يوماً، يطول أحدها لسنة، وأحدها لشهر، والآخر لجمعة، ثم تعود أياماً عادية.

ففي حديث النواس بن سمعان:

«. . . قالوا: يا رسول الله: ما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»[1].

واليوم الذي كسنة لا تكفي فيه صلاة يوم؛ ففي حديث النواس:

«. . . قالـوا: يا رسول الله! فذاك اليوم كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟

---

(١) «صحيح الجامع» رقم (٤١٦٦).

تنبيه: قال النووي في «شرح مسلم»: «قوله ﷺ: «يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»: قال العلماء: هٰذا الحديث على ظاهره، وهٰذه الأيام الثلاثة طويلة على هٰذا القدر المذكور في الحديث، يدل عليه قوله ﷺ: «وسائر أيامه كأيامكم».

وأما قولهم: «يا رسول الله! فذٰلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا؛ اقدروا له قدره»: فقال القاضي وغيره: هٰذا حكم مخصوص بذٰلك اليوم، شرعه لنا صاحب الشرع. قالوا: ولولا هٰذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا؛ لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام.

ومعنى: «اقدروا له قدره»: أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، وإذا مضى بعد هٰذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح، ثم الظهر، ثم العصر، ثم المغرب، وهٰكذا حتى ينقضي ذٰلك اليوم وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلها مؤدَّاة في وقتها.

وأما الثاني الذي كشهر والثالث الذي كجمعة؛ فقياس اليوم الأول أن يُقدر لهما كاليوم الأول على ما ذكرناه، والله أعلم»[أ].

(أ) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٦٥ ـ ٦٦).

قال: لا، اقدروا له قدره»[1].

خامساً: إسراعه في الأرض:

وفي حديث النواس بن سمعان أيضاً:

«... قالوا: وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح»[1].

سادساً: يوم الخلاص وقلّة العرب يومها:

وهو يوم خروج المنافقين من المدينة للقاء الدجّال ليكونوا من أتباعه، فيخلّص الله المؤمنين من شرورهم.

ففي حديث أبي أمامة:

«... وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه؛ إلا مكة والمدينة، لا يأتيهما من نقب[2] من أنقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صَلتة[3]، حتى ينزل عند الضريب الأحمر عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبيث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويُدعى ذلك اليوم يوم الخلاص». قيل: فأين العرب يومئذ؟ قال: «هم يومئذ قليل»[4].

سابعاً: العلامات التي ذكرها الدجال لخروجه:

ذكر الدجال لتميم وصحبه ثلاث علامات كمؤشر لقرب خروجه، وهي: جفاف طبريا، وجفاف عين زغر، وتوقُّف نخل بيسان عن إعطاء الثمر.

(١) «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٤١٦٦).

(٢) طريق يكون بين جبلين.

(٣) مرفوعة خارج أغمادها.

(٤) «صحيح الجامع» (٧٨٧٥).

ففي الحديث الذي رواه مسلم وغيره عن فاطمة بنت قيس، وفيه:

«. . . قال: أخبـروني عن نخل بيسان. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها؛ هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنها يوشك أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة طبرية؟ قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيهـا ماء؟ قلنـا: هي كثيرة المـاء. قال: إن ماءهـا يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زُغْرٍ[1]. قلنا له: نعم؛ هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها»[2].

ثامناً: أشد المسلمين على الدجَّال:

هم بنو تميم؛ لما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة؛ قال:

ما زلت أحب بني تميم من أجل ثلاث: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هم أشد أمتي على الدجَّال». وجاءت صدقاتهم فقال: «هٰذه صدقات قومي». وكانت سبية منهم عند عائشة، فقال رسول الله ﷺ: «أعتقيها؛ فإنها من ولد إسماعيل[3]»[4].

تاسعاً: تحذير الرسول ﷺ من الأئمة المضلِّين:

روى أحمد عن أبي ذر: أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) في مسلم زغر.

(٢) «صحيح الجامع» (٧٨٨٩).

(٣) «فتح الباري» (٥ / ٢٥٤٣).

(٤) قال الحافظ في «الفتح»: في قوله ﷺ: «هم أشد أمتي على الدجال» في رواية الشعبي عن أبي هريرة عند مسلم هم أشد الناس قتالاً في الملاحم وهي أعم من الرواية المذكورة أعلاه، ويمكن أن يحمل العام في ذلك على الخاص فيكون المراد بالملاحم أكبرها وهو قتال الدجال، أو ذكر الدجال ليدخل غيره بطريق الأولى.

«غير الدجال أخوف على أمتي من الدجال، الأئمة المضلون»(١).

قال المناوي في «الفيض»:

«قال أبو البقاء: ظاهر اللفظ يدل على أن غير الدجال هو المُخاف، وليس معنى الحديث هٰذا؛ إنما معناه أني أخاف على أمتي من غير الدجال أكثر من خوفي منه».

ثم قال:

«قال بعضهم: لما استعظم صحبه أمر الدجال، وأشار به إلى أنه لم ينذرهم منه خوفاً منه عليهم؛ لأنهم لم يتخالجهم في الله شكٌّ، إذ ليس كمثله شيء، بل إيذاناً بأن خروجه في زمن بأس وضيق.

وقال ابن العربي: هٰذا لا ينافي خبر: «لا فتنة أعظم من فتنة الدجال»؛ لأن قوله هنا إنما قاله لأصحابه؛ لأن الذي خافه عليهم أقرب إليهم من الدجال، فالقريب المتيقَّن وقوعه لمن يخاف عليه يشتد الخوف منه على البعيد المظنون وقوعه به، ولو كان أشد»(٢).

عاشراً: الفتنة القريبة في شدتها من فتنة الدجال:

وهٰذه الفتنة هي فتنة القبر، أعاذنا الله وإياكم منها:

روى أحمد والشيخان عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما؛ قالت: إن رسول الله ﷺ قال:

«ما من شيء لم أكن أريته؛ إلا رأيته في مقامي هٰذا، حتى رأيت الجنَّة

(١) «صحيح الجامع» (٤١٦٥).
(٢) «فيض القدير» (٤ / ٤٠٧).

والنار، ولقد أوحي إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريباً من فتنة المسيح الـدجَّـال؛ يؤتى أحـدكم، فيقـال له: ما علمك بهٰذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن؛ فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا واتبعنا، هو محمد (ثلاثاً). فيُقال له: نم صالحاً، قد علمنا إن كنت لموقناً به، وأما المنافق أو المرتاب؛ فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلتُه»[1].

وقد جمع رسول الله ﷺ الاستعاذة من الدجَّال وعذاب القبر في أحاديث كثيرة؛ منها:

روى أحمد ومسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه؛ قال:

بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به، فكـادت تلقيه، وإذا أقبـرٌ ستـة أو خمسـة أو أربعة (قال: كذا كان يقول الجريري[2])، فقال: «من يعرف أصحاب هٰذه الأقبر؟». فقال رجل: أنا. قال: «فمتى مات هٰؤلاء؟». قال: ماتوا في الإشراك[3]. فقال:

«إن هٰذه الأمة تُبْتَلى في قبورها، فلولا أن لا تدافَنوا[4]؛ لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبـر الـذي أسمـع منه». ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر». فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن». قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما

---

(١) «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٥٧٢٢).

(٢) أحد رواة الحديث عند مسلم.

(٣) أي: زمن الإشراك؛ يعني: في الجاهلية؛ ففيه دليل على أن الذين ماتوا في الجاهلية ليسوا من أهل الفترة، والأحاديث في ذٰلك كثيرة.

(٤) مخافة أن لا تدافنوا.

بطن. قال: «تعوذوا بالله من فتنة الدجَّال». قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجَّال(1).

وروى مسلم والنسائي عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«عوذوا بالله من عذاب القبر، عوذوا بالله من عذاب النار، عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجَّال، عوذوا بالله من فتنة المحيا والممات»(2).

وروى البخاري في «الأدب المفرد» والترمذي والنسائي عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«استعيذوا بالله من عذاب القبر، استعيذوا بالله من عذاب جهنم، استعيذوا بالله من فتنة المسيح الدجَّال، استعيذوا بالله من فتنة المحيا والممات»(3).

حادي عشر: الاستعاذة من الدجال في كل صلاة:

وحتى نتذكر دائماً فتنة الدجال؛ فقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نستعيذ منها في كل صلاة.

وذهب بعض العلماء كابن حزم وطاووس إلى القول بوجوب الاستعاذة.

فقد أخرج عبدالرزاق بسند صحيح عن طاووس ما يدل على أنه يرى وجوب الاستعاذة المأمور بها في حديث أبي هريرة، وذلك أنه سأل ابنه: هل قالها بعد التشهد؟ فقال: لا، فأمره أن يعيد الصلاة»(4).

أما حديث أبي هريرة؛ فقد رواه أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه

---

(1) «مختصر مسلم» (رقم ٤٩٣).

(2) «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٤١١٠).

(3) «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٩٤١).

(4) «فتح الباري» (٢ / ٣٢١).

وغيرهم: أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر؛ فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرِّ فتنة المسيح الدجَّال، ثم يدعو لنفسه بما بدا له»(١).

وكان ﷺ يدعو به في صلاته.

روى الشيخان والنسائي عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته: رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة:

«اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللهم إني أعوذ من المأثم والمغرم». فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ فقال: «إن الرجل إذا غرم حدَّث فكذب، ووعد فأخلف»(٢).

ثاني عشر: الدجال أهون على الله:

عن المغيرة بن شعبة قال: ما سأل أحد النبيَّ ﷺ أكثر مما سألت؛ قال:

«وما يُنصِبُك منه؟ إنه لا يضرك». قلت: يا رسول الله! إنهم يقولون: إن معه الطعام والنهار. قال: «هو أهون على الله من ذٰلك»(٣، ٤).

---

(١) «صفة صلاة النبي» لشيخنا الألباني (ص ١٤٥).

(٢) «فتح الباري» (٢ / رقم ٨٣٢).

(٣) «مختصر مسلم» (٢٠٥١).

(٤) قال ابن كثير رحمه الله في «نهاية البداية والنهاية»: «. . . وقد تمسك طائفة من العلماء بهٰذا الحديث كابن حزم والطحاوي وغيرهما في أن الدجال ممخرق(أ) مموِّه لا حقيقة لما يبدي للناس

(أ) مشعوذ.

ثالث عشر: لماذا لم يذكر الدجال صراحة في القرآن؟

قال الحافظ في «الفتح»:

«اشتهر السؤال عن الحكمة في عدم التصريح بذكر الدجال في القرآن مع ما ذكر عنه؛ من الشر، وعظم الفتنة به، وتحذير الأنبياء منه، والأمر بالاستعاذة

من الأمور التي تشاهد في زمانه، بل كلها خيالات عند هٰؤلاء.

وقال الشيخ أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة: لا يجوز أن يكون ذٰلك حقيقة لئلا يشتبه خارق الساحر بخارق النبي، وقد أجابه القاضي عياض وغيره بأن الدجال إنَّما يدَّعي الإلٰهية، وذٰلك منافٍ للبشرية، فلا يمتنع إجراء الخارق على يديه والحالة هٰذه، وقد أنكرت طوائف كثيرة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة خروج الدجال بالكلية وردُّوا الأحاديث الواردة فيه، فلم يصنعوا شيئاً، وخرجوا بذٰلك عن حيِّز العلماء لردِّهم ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من غير وجهٍ عن رسول الله ﷺ كما تقدَّم، وإنما أوردنا بعض ما ورد في هٰذا الباب؛ لأن فيه كفاية ومقنعاً، وبالله المستعان.

والذي يظهر من الأحاديث المتقدمة أن الدجال يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه كما تقدَّم أن من استجاب له يأمر السماء لتمطرهم والأرض فتنبت لهم زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم، وترجع إليهم سماناً، ومَن لا يستجيب له ويرد عليه أمره؛ تصيبهم السنة والجدب والقحط، والعلَّة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وأنه تتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل، ويقتل ذٰلك الشاب ثم يحييه، وهٰذا كله ليس بمخرفة، بل له حقيقة امتحن الله به عباده في ذٰلك الزمان، فيضل به كثيراً، ويهدي به كثيراً، يفكر المرتابون، ويزداد الذين آمنوا إيماناً، وقد حمل القاضي عياض وغيره على هٰذا المعنى الحديث: «هو أهون على الله من ذٰلك»؛ أي: هو أقل من أن يكون معه ما يُضل به عباده المؤمنين، وما ذٰلك إلا لأنه ظاهر النقص والفجور والظلم، وإن كان معه ما معه من الخوارق وبين عينيه مكتوب كافر كتابة ظاهرة، وقد حقَّق ذٰلك الشارع في خبره بقوله (ك. ف. ر)، وقد دلَّ ذٰلك على أنه كتابة حسية لا معنوية؛ كما يقوله بعض الناس، وعينه الواحدة عوراء شنيعة المنظر ناتئة، وهو معنى قوله: «كأنها عنبة طافية»؛ أي: طافيةٌ على وجه الماء ومَن روى ذٰلك طافية فمعناه لا ضوء فيها[1].

---

(1) «نهاية البداية والنهاية» (١٤٧ ـ ١٤٩).

منه حتى في الصلاة؟ وأجيب بأجوبة:

أحدها: أنه ذكر في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها﴾؛ فقد أخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة رفعه:

«ثلاثة إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها»[1].

الثاني: أنه قد وقعت الإشارة في القرآن إلى نزول عيسى بن مريم في قوله تعالى: ﴿وإنْ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ إلَّا لَيُؤمِنُنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وإنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ﴾، وصحَّ أنه الذي يقتل الدجَّال، فاكتفى بذكر أحد الضدَّين عن الآخر، ولكونه يلقَّب المسيح كعيسى، لكن الدجال مسيح الضلالة، وعيسى مسيح الهدى.

الثالث: أنه ترك ذكره احتقاراً.

وتُعُقِّب بذكر يأجوج ومأجوج، وليست الفتنة بهم بدون الفتنة بالدجَّال والذي قبله.

وتُعُقِّبَ بأن السؤال باق، وهو: ما الحكمة في ترك التنصيص عليه؟

وأجاب شيخنا البلقيني بأنه اعتبر كل من ذُكر في القرآن من المفسدين؛ فوجد كل من ذكر؛ إنما هو ممَّن مضى وانقضى أمره، وأما من لم يجىء بعد؛ فلم يذكر منهم أحداً.

وهٰذا ينتقض بيأجوج ومأجوج[2]».

---

(١) ورواه مسلم أيضاً في «صحيحه» بلفظ: «ثلاث».

(٢) هٰذه العبارة من قول الحافظ.

وقـد وقـع في «تفسير البغوي»[1] أن الدجال مذكور في القرآن في قوله تعـالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمـاواتِ والأرْضِ أكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[2]، وأن المراد بالناس هنا الدجال، من إطلاق الكل على البعض، وهٰذا ـ إن ثبت ـ أحسن الأجوبة، فيكون من جملة ما تكفَّل النبي ﷺ ببيانه، والعلم عند الله تعالى.

رابع عشر: أحاديث الدجَّال متواترة:

قال شيخنا حفظه الله:

«واعلم أن أحـاديث الـدجَّال ونزول عيسى عليه السلام متواترة، يجب الإيمـان بها، ولا تغترَّ بمن يدَّعي فيها أنها أحاديث آحاد؛ فإنهم جهَّال بهٰذا العلم، وليس فيهم مَن تتبَّع طرقها، ولو فعل؛ لوجدها متواترة؛ كما شهد بذٰلك أئمة هٰذا العلم؛ كالحافظ ابن حجر وغيره، ومن المؤسف حقّاً أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم، لا سيما والأمر دين وعقيدة»[3].

ونقل هٰذا التواتر ابن كثير رحمه الله في كتابه «نهاية البداية والنهاية»، وسبق قوله هٰذا.

وكذٰلك ذكر التواتر لأحاديث الدجَّال السخاوي في كتابه «فتح المغيث شرح ألفية الحديث»[4].

* * * * *

(١) (٤ / ١٠١ فما بعد / تفسير سورة غافر)

(٢) غافر: ٥٧.

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٥٦٥).

(٤) «فتح المغيث» (٣ / ٤٤).

المبحث الثاني

يأجوج ومأجوج (آية كبرى)

الفتن تتوالى، وما أن يخرج المسلمون من فتنة ويحمدوا الله على الخلاص منها؛ إذا هم بفتنة جديدة لا تقل خطراً عن سابقتها.

فها هم قد انتهوا من الدجال، وقد قتله الله على يدي عيسى بن مريم عليه السلام، وقد أحاط بعيسى عليه السلام قومٌ وهو يحدثهم عن درجاتهم في الجنة، وقد عصمهم الله من فتنة الدجال، وقد أبلغنا رسول الله ﷺ: أن من نجا من فتنته؛ فقد نجا.

وفجأة يطلب إليهم عيسى بوحي من السماء أن يحصِّنوا أنفسهم بالطور فقد أخرج الله عباداً لا قِبَل لأحدهم بقتالهم، وهم **يأجوج ومأجوج**.

ولا تقلُّ فتنتهم عن فتنة الدجال الذي يدَّعي الألوهيَّة، وهم يدَّعون قدرته على قتل مَن في السماء تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً.

١ ـ ذكرهم في القرآن الكريم:

ورد ذكرهم في القرآن في موضعين:

الأول: في سورة الكهف، عند ذكر قصة ذي القرنين، وبناءه السد؛ ليحول بين الناس وبين يأجوج ومأجوج.

قال تعالى:

﴿حَتَّى إذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهونَ قَوْلاً . قَالوا يا ذا القَرْنَيْنِ إنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مُفْسِدونَ في الأرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلى أَنْ تَجْعَلَ بَيْننا وبَيْنَهُم سدّاً . قالَ مَا مَكَّنِّي فيهِ رَبِّي خَيْرٌ فأَعينوني بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ

بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ رَدْماً . آتُوني زُبَرَ الحَديدِ حَتَّى إذا سَاوى بَيْنَ الصَّدَفَيْن قالَ انْفُخوا حتَّى إذا جَعَلَهُ ناراً قالَ آتُـوني أُفْـرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً . فما اسْطاعوا أَنْ يَظْهَروهُ وما اسْتَطاعوا لهُ نَقْباً . قالَ هٰذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فإذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وكانَ وَعْدُ رَبِّي حقّاً﴾(1).

والثاني في سورة الأنبياء:

﴿حَتَّى إذا فُتِحَتْ يَأْجوجُ ومَأْجُوجُ وهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلونَ . واقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ فإذا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذينَ كَفَرُوا يا وَيْلَنا قَدْ كُنَّا في غَفْلَةٍ مِنْ هٰذا بَلْ كُنَّا ظَالِمينَ﴾(2).

٢ ـ تحذير رسول الله ﷺ منهم:

روى الشيخان عن زينب ابنة جحش رضي الله عنها: أن النبيَّ ﷺ دخل عليها فزعاً يقول:

«لا إلٰه إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فتح اليوم من ردْم يأجوج ومأجوج مثل هٰذه، وحلَّق بأصبعه الإبهام والتي تليها». قالت زينب ابنة جحش: فقلتُ: يا رسول الله! أنهلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: «نعم؛ إذا كثُرَ الخَبَث»(3).

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال:

«فتح الله من ردْم يأجوج ومأجوج مثلَ هٰذا (وعقد بيده تسعين)»(4).

قال الحافظ في «الفتح»:

---

(1) الكهف: ٩٣ ـ ٩٨.

(2) الأنبياء: ٩٦ ـ ٩٧.

(3) «اللؤلؤ والمرجان» (رقم ١٨٢٩).

(4) «اللؤلؤ والمرجان» (رقم ١٨٣٠).

«خصَّ العرب بذٰلك؛ لأنهم كانوا حينئذ معظم من أسلم، والمراد بالشر ما وقع بعده من قتـل عثمان، ثم توالت الفتن، حتى صارت العرب بين الأمم كالقصعة بين الأكلة؛ كما وقع في الحديث الآخر: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها»[1].

ويحتمل أن يكون المراد بالشر ما أشار إليه حديث أم سلمة: «ماذا أنزل الليلة من الفتن، ومـاذا أنـزل من الخزائن»[2]، فأشار بذٰلك إلى الفتوح التي فتحت بعده، فكثرت الأموال في أيديهم، فوقع التنافس الذي جر الفتن»[3].

ثم قال رحمه الله تعليقاً على قول زينب: «أنهلك وفينا الصالحون؟». وجواب رسول الله ﷺ: «نعم؛ إذا كثر الخبث»:

«قال ابن العربي: فيه البيان بأن الخيِّر يهلك بهلاك الشرير إذا لم يغيِّر عليه خبثه، وكذٰلك إذا غيَّر عليه، لكن حيث لا يجدي ذٰلك، ويصرُّ الشرير على عمله السيىء، ويفشـو ذٰلـك ويكثر، حتى يعُمَّ الفساد، فيهلك حينئذ القليل والكثير، ثم يحشر كل أحد على نيته».

ثم قال رحمه الله:

«وكأنها فهمت من فتح القدْر المذكور من الردم: أن الأمر إن تمادى على ذٰلك؛ اتسع الخرق؛ بحيث يخرجون، وكأن عندها علم أن في خروجهم على الناس إهلاكاً عامّاً لهم».

وجاء الحديث في هٰذا المعنى

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٨١٨٣).

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٣٥٩٩)، وأوله: «سبحان الله ماذا أنزل».

(٣) «فتح الباري» (١٣ / ١٠٩).

روى أحمد والحاكم عن مولاة لرسول الله ﷺ وأحمد عن عائشة والطبراني وأبو نعيم في «الحلية» عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ؛ قال:

«إذا ظهر السوء في الأرض؛ أنزل الله بأسه بأهل الأرض، وإن كان فيهم قوم صالحون؛ يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يرجعون إلى رحمة الله ومغفرته»[1].

٣ ـ من البشر من ذرية آدم:

ويأجوج ومأجوج من البشر من ذرية آدم؛ خلافاً لمن قال غير ذٰلك، وذٰلك لما روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري ـ واللفظ للبخاري ـ؛ قال: قال النبي ﷺ:

«يقول الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة: يا آدم! فيقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار. قال: يا رب! وما بعث النار؟ قال: من كل ألف ـ أراه قال ـ تسع مئة وتسعة وتسعين؛ فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»، فشقَّ ذٰلك على الناس حتى تغيَّرت وجوههم، فقال النبي ﷺ: «من يأجوج ومأجوج تسع مئة وتسعة وتسعين ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنَّة»، فكبَّرنا. ثم قال: «ثلث أهل الجنة»، فكبَّرنا. ثم قال: «شطر أهل الجنة»، فكبَّرنا[2].

قال ابن كثير:

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٦٨٠).

(٢) «فتح الباري» (٨ / رقم ٤٧٤١).

«قلت: يأجوج ومأجوج طائفتان من الترك من ذرية آدم عليه السلام؛ كما ثبت في الصحيح»[1].

وفي رواية عند الترمذي عن عمران بن حصين؛ قال:

كنا مع النبي ﷺ في سفر، فتفاوت بين أصحابه في السير، فرفع رسول الله ﷺ صوته بهاتين الآيتين: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[2] إلى قوله: ﴿وَلٰكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾[3]. فلما سمع ذلك أصحابه؛ حثُّوا المطي، وعرفوا أنه عند قول يقوله فقال: «هل تدرون أيَّ يوم ذلك؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك يومٌ ينادي الله فيه آدم فيناديه ربه، فيقول: يا آدم! ابعث بعث النار. فيقول: أي رب! وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة». فيئس القوم حتى ما أبدوا بضاحكة، فلما رأى رسول الله ﷺ الذي بأصحابه؛ قال: «اعملوا وأبشروا؛ فوالذي نفس محمد بيده؛ إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثَّرتاه: يأجوج ومأجوج، ومن مات من بني آدم وبني إبليس». قال: فسُرِّي عن القوم بعض الذي يجدون. قال: «اعملوا وأبشروا؛ فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة[4] في ذراع الدابَّة»[5].

قال ابن كثير:

«وهم يشبهون الناس؛ كأبناء جنسهم من الأتراك المخرومة عيونهم،

---

(١) «نهاية البداية والنهاية» (١ / ١٨٣).

(٢) الحج: ١.

(٣) الحج: ٢.

(٤) العلامة.

(٥) «صحيح الترمذي» (رقم ٢٥٣٤).

الزلف أنوفهم، الصهب شعورهم، على أشكالهم وألوانهم، ومن زعم أن منهم الطويل كالنخلة السحوق أو أطول ومنهم القصير الذي هو كالشيء الحقير ومنهم من له أذنان يتغطّى بإحداهما ويتوطّى بالأخرى؛ فقد تكلّف ما لا علم له به، وقال ما لا دليل عليه[1]»[2].

٤ ـ خلقهم خير عميم للمسلمين يوم القيامة:

ولكثرتهم الكاثرة؛ فهم بشرى خير للمسلمين في الآخرة، فبعث النار كما ورد في الأحاديث السابقة من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعون منهم، وواحد من أمة محمد.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعليقاً على حديث بعث النار في قصة يأجوج ومأجوج:

«والغرض منه هنا ذكر يأجوج ومأجوج، والإشارة إلى كثرتهم، وأن هٰذه الأمة بالنسبة إليهم نحو عشر عشر العشر[3]، وأنهم من ذرية آدم؛ ردّاً على من قال خلاف ذلك»[4].

٥ ـ يخرجون على الناس بمشيئة الله تعالى:

روى أحمد وأبو داود والحاكم وابن حبان عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع

---

(١) هٰذا القول لابن كثير، والعهدة في صحته عليه.

(٢) «نهاية البداية والنهاية» (١ / ١٨٤).

(٣) أي: جزء من ألف.

(٤) «فتح الباري» (٦ / ٣٨٦).

الشمس؛ قال الذي عليهم: ارجعوا؛ فسنحفِرُه غداً، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدَّتهم[1] وأراد الله أن يبعثهم على الناس؛ حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس؛ قال الذي عليهم: ارجعوا؛ فستحفرونه غداً إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه، ويخرجون على الناس، فينشِفون[2] الماء، ويتحصَّن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع عليها الدَّم الذي أجفظ[3]، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفاً[4] في أقفائهم فيقتُلُهم بها».

قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده؛ إن دوابَّ الأرض لتسمن وتَشْكَرُ شَكَراً[5] من لحومهم»[6].

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال ابن العربي: في هٰذا الحديث ثلاث آيات:

الأولى: أن الله منعهم أن يوالوا الحفر ليلاً ونهاراً.

الثانية: منعهم أن يحاولوا الرقي على السدِّ بسلَّم أو آلة، فلم يلهمهم ذٰلك، ولا علمهم إياه، ويحتمل أن تكون أرضهم لا خشب فيها ولا آلات تصلح لذٰلك.

---

(١) حان وقت خروجهم.

(٢) يشربونه عن آخره.

(٣) انتفخ.

(٤) دود يكون في أنوف الإبل والغنم.

(٥) أي: تسمن وتمتلىء شحماً.

(٦) «صحيح ابن ماجه» (رقم ٣٢٩٨).

قلت[1]: وهـو مردود؛ فإن في خبـرهم عند وهب في «المبتدأ» أن لهم أشجاراً وزورعاً وغير ذٰلك من الآلات، فالأول أولى.

الثالثة: أنه صدَّهم عن أن يقولوا: إن شاء الله؛ حتى يجيء الوقت المحدود.

قال الحافظ:

«قلت: وفيه أن فيهم أهل صناعة، وأهل ولاية وسلاطة، ورعية تطيع من فوقها، وأن فيهم من يعرف الله ويقرُّ بقدرته ومشيئته، ويحتمل أن تكون تلك الكلمـة تجـري على لسـان ذٰلـك الوالي من غير أن يعرف معناها، فيحصل المقصود ببركتها»[2].

٦ ـ كيف يقتلهم الله عزَّ وجلَّ؟

يقصم الله عزَّ وجلَّ الجبابرة، ويكون ذٰلك عادة بأسلوب لا يتصوَّره أحد، ولكنه أسلوب فيه العبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فمنهم من يخسف به، ومنهم من يغـرقـه، ومنهم من يسلِّط عليه خلقاً ضعيفاً من مخلوقاته.

وهٰكـذا الأمر مع يأجوج ومأجوج، اغترُّوا بكثرتهم، فظنُّوا أنهم قادرون على كل شيء، وهٰذا واضح جليٌّ في أقوالهم: «قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء»، فجعل الله في قتلهم عبرة بالغة لمن يتَّعظ.

يرسـل عليهم النغف، فيأخـذ بأعناقهم، فيموتون موت الجراد، يركب

(١) أي: الحافظ ابن حجر.

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ١٠٩).

بعضهم بعضاً، وهٰكذا يقصم الله كلَّ جبار في عنفوان جبروته، وينجي الذين آمنوا في أشد حالات الكرب والضيق.

روى أحمد والحاكم وابن ماجه وابن حبان عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال:

«تفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون كما قال الله تعالى: ﴿وهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ[1] يَنْسِلونَ﴾[2] فيعمّون الأرض وينحاز[3] منهم المسلمون، حتى تصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم، ويضمُّون إليهم مواشيَهم، حتى إنهم ليمرُّون بالنهر، فيشربونه، حتى ما يذرون فيه شيئاً، فيمرُّ آخرهم على أثرهم، فيقول قائلهم: لقد كان بهٰذا المكان مرَّةً ماء، ويظهرون على الأرض، فيقول قائلهم: هٰؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، ولَنُنازِلَنَّ أهل السماء، حتى إن أحدهم ليهزُّ حربته إلى السماء، فترجع مخضَّبةً بالدم، فيقولون: قد قتلنا أهل السماء، فبينما هم كذٰلك؛ إذ بعث الله دوابَّ كنغف الجراد، فتأخذ بأعناقهم، فيموتون موت الجراد، يركب بعضهم بعضاً، فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسّاً، فيقولون: من رجل يشري[4] نفسه وينظر ما فعلوا؟ فينزل منهم رجل قد وطَّن نفسه على أن يقتلوه، فيجدهم موتى، فيناديهم: ألا أبشروا؛ فقد هلك عدوُّكم، فيخرج الناس، ويُخلون سبيل مواشيهم، فما يكون لهم رعيٌ إلا لحومهم، فتشكر عليها كأحسن ما شكرت على نبات قط»[5].

---

(١) هو غليظ الأرض ومرتفعها.

(٢) يسرعون: أي: يخرجون مسرعين

(٣) يلجأ.

(٤) يبيع نفسه.

(٥) «صحيح ابن ماجه» (رقم ٣٢٩٧)

٧ ـ الدوابُّ ترعى لحومهم وتسمن عليها:

ففي حديث أبي سعيد الخدري وفيه:

«. . . فيخرج الناس، ويُخلون سبيل مواشيهم، فما يكون لهم رعْيٌ إلا لحومهم، فتشكر عليها كأحسن ما شكرت على نبات قط»[١].

وفي حديث أبي هريرة قول رسول الله ﷺ وفيه:

«والذي نفسي بيده؛ إن دوابَّ الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم»[٢].

٨ ـ ترك قتال العدو بأمر الله:

ففي حديث النواس بن سمعان عند مسلم وفيه:

«. . . فبينما هو كذٰلك؛ إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان[٣] لأحد بقتالهم، فحرِّز[٤] عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ﴿وهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلونَ﴾، فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهٰذه مرة ماء»[٥].

٩ ـ مقتلهم عند جبل بيت المقدس:

ففي حديث النواس بن سمعان وفيه

---

(١) «صحيح ابن ماجه» (رقم ٣٢٩٧).

(٢) «صحيح ابن ماجه» (رقم ٣٢٩٨).

(٣) لا قدرة ولا طاقة.

(٤) أي: ضمهم إليه، واجعله حرزاً لهم.

(٥) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٤٨).

«. . . ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخَمَر[١]، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلمَّ[٢] فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشَّابهم[٣] إلى السماء، فيردُّ الله عليهم نشَّابهم مخضوبة[٤] دماً، ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مئة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب[٥] نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى[٦] كموت نفس واحدة»[٧].

وفي هٰذه الفقرة من الحديث شدة العيش التي يعاني منها عيسى عليه السلام وأصحابه وهم محصورون، وفي هٰذا دليل على أن جزءاً من حكم عيسى عليه السلام يكون المسلمون فيه في ضيق شديد وفتن، وذٰلك خلال ملحمة الدجال وخروج يأجوج ومأجوج.

١٠ ـ أسلحتهم وقود المسلمين:

روى ابن ماجه والترمذي ومسلم نحوه[٨] عن النواس:

---

(١) الشجر الملتف الذي يستر ما فيه.

(٢) تعالوا.

(٣) سهامهم.

(٤) ملطخة.

(٥) يدعو.

(٦) أي: قتلى.

(٧) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٧١).

(٨) قال مسلم عقب سوقه لإسناد علي بن حجر: «نحو ما ذكرنا».

وهي عند الترمذي عن علي بن حجر، وفيها: «ويستوقد المسلمون من قسيِّهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين». «صحيح الترمذي» (رقم ١٨٢٥).

«سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين»[1].

١١ ـ المطر الغزير لإزالة آثار يأجوج ومأجوج:

ففي حديث النواس، وفيه:

«. . . ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر؛ إلا ملأه زهمُهم ونتنُهم[2]، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت[3]، فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يُكنُّ[4] منه بيت مدر[5] ولا وبر، فيغسل الأرض، حتى يجعلها كالزَّلفة[6]»[7].

١٢ ـ طيب العيش وبركته بعد الخلاص من يأجوج ومأجوج:

ففي حديث النواس وفيه:

«. . . ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردِّي بركتك؛ فيومئذ تأكل العصابة من الرمَّانة، ويستظلُّون بقِحْفها[8]، ويبارك في الرِّسْل[9]، حتى إن

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٣٦٦٦).

(٢) دسمهم ورائحتهم الكريهة.

(٣) نوع من الجمال.

(٤) لا يمنع من نزول الماء بيت.

(٥) المَدَر: هو الطين الصلب.

(٦) الزَّلفة: المرآة في صفائها ونظافتها.

(٧) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٤٨).

(٨) مقعر قشرها، شبهها بقحف الرأس، وهو الذي فوق الدماغ، وقيل: ما انفصل من جمجمته وانفلق.

(٩) اللبن.

اللِّقحة[1] من الإبل لتكفي الفئام[2] من الناس، واللقحة من البقرة لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفَخِذ[3] من الناس»[4].

١٣ ـ حج البيت بعد الخلاص من يأجوج ومأجوج:

روى أحمد والبخاري عن أبي سعيد: أن رسول الله ﷺ قال:

«ليحجَّنَّ هٰذا البيت وليعتمرنَّ بعد يأجوج ومأجوج»[5].

وقد بيَّنت وجه الجمع بين هٰذا الحديث وحديث لا تقوم الساعة حتى لا يحجَّ البيت في باب أشراط متفرِّقة؛ فليراجع.

* * * * *

---

(١) قريبة العهد بالولادة.

(٢) الجماعة الكثيرة.

(٣) الجماعة من الأقارب.

(٤) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٤٨).

(٥) «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٥٣٦١).

المبحث الثالث

دابَّة الأرض

الفتن تتوالى وتتوالى كخرزات منظومات في سلك انقطع فتتابع:

ما إن يفيق الناس من هول فتنة أو آية إلا وهم يفاجؤون بما هو أمر وأدهى:

قُتل الدجّال، فتنفَّسوا الصعداء، فإذا بنبأ عظيم يأجوج ومأجوج، فخلَّصهم الله من شرِّهم.

وإن كان ما سبق من آيات معتاداً لهم؛ فقد بدأ زمن ما هو غير معتاد:

دابَّة تخرج من الأرض؛ تكلِّم الناس، وتسمهم على خراطيمهم؛ لقد أصبحت الساعة قريباً جدّاً منهم؛ فقد بدأ أيضاً في هٰذا الوقت تغيُّر العالم العلوي بطلوع الشمس من مغربها.

قال تعالى:

﴿وإذا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دابَّةً مِنَ الأرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بآياتِنا لا يُوقِنونَ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله:

«هٰذه الدابَّة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يُخْرِج الله لهم دابَّة من الأرض ـ قيل: من مكة ـ، فتكلم الناس، على ذٰلك قال ابن عباس والحسن وقتادة. ويروى عن علي رضي الله عنه: تكلِّمهم كلاماً؛ أي: تخاطبهم مخاطبة. وقال عطاء الخراساني: تكلِّمهم، فتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، ويروى هٰذا عن علي،

---

(١) النمل: ٨٢

واختاره ابن جرير، وفي هٰذا القول نظر لا يخفى، والله أعلم»[1].

ثم قال رحمه الله:

«وقال ابن عباس في رواية: تجرحهم، وعنه رواية: كلًّا تفعل هٰذا وهٰذا، وهو قول حسن، والله أعلم»[1].

١ ـ الإيمان عند خروجها لا ينفع:

والدابة أحد ثلاث آيات لا ينفع الإيمان عند معاينتها، بل ينفع الإيمان من أدركته واحدةً من الثلاث مؤمناً عاملاً.

روى مسلم والترمذي عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث إذا خرجْن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجَّال، ودابَّة الأرض»[2].

٢ ـ وقت خروجها:

تخرج الدابَّة على الناس ضحىً وفي وقت طلوع الشمس من مغربها، وأيهما كانت قبل الأخرى؛ فالأخرى في أثرها قريباً.

روى أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه عن ابن عمرو؛ قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن أول الآيات خروجاً: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابَّة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها؛ فالأخرى على إثرها قريباً»[3].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣ / ٣٧٤).

(٢) «مختصر مسلم» (رقم ٢١٣٧).

(٣) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٥٣).

ويبدو في الحديث إشكال، وقد وضحْت هٰذا الإشكال والحمد لله في باب طلوع الشمس من مغربها؛ فليراجع.

٣ ـ وسْمُها للناس على خراطيمهم:

روى أحمد والبخاري في «التاريخ الكبير» وغيرهما عن أبي أمامة يرفعه للنبي ﷺ؛ قال:

«تخرج الدابَّة، فتَسِم[١] الناس على خراطيمهم[٢]، ثم يعمَّرن فيكم، حتى يشتري الرجل الدابَّة، فيقال: ممَّن اشتريت؟ فيقول: من الرجل المخطَّم[٣]»[٤].

وأما طبيعة هٰذا الوسم، وكيف يكون؛ فلا أعلم في ذٰلك حديثاً صحيحاً، وسأبيِّن إن شاء الله ضعف هٰذه الأحاديث في باب أحاديث يجب التنبيه عليها، وسيأتي في آخر الكتاب إن شاء الله.

* * * * *

---

(١) تعلمهم بعلامة ما.

(٢) أنوفهم.

(٣) المعلَّم أنفه.

(٤) «السلسلة الصحيحة» (رقم ٣٢٢).

المبحث الرابع

الخسف والمسخ والقذف

مع توالي الآيات والأشراط، وما فيها من تحذير للغافل أن يتنبه، وللضالّ أن يعود للصواب؛ فإن أصنافاً من الناس لا يرعوون عما هم فيه من انحراف وبعد عن الطريق المستقيم، فكان لا بد أن يكون عبرة لغيرهم، وقد سبقهم على الطريق فرعون وقارون وأضرابهما، فأغرق الله فرعون ونجّاه ببدنه، وخسف بقارون، ومسخ أقواماً من بني إسرائيل قردة وخنازير وغير ذٰلك.

فليحذر المتكبِّرون والمختالون أن يخسف بهم، وليحذر الذين يخالفون أوامر الله أن يمسخوا حميراً وكلاباً.

١ ـ الخسف والمسخ والقذف كائن في هٰذه الأمة:

روى الطبراني عن سعيد بن أبي راشد؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن في أمتي خسفاً[1] ومسخاً[2] وقذفاً[3]»[4].

وروى ابن ماجه عن سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال:

«يكون في آخر الزمان الخسف والقذف والمسخ»[5].

٢ ـ متى يكون؟ وفيمن يكون؟

أ ـ عند ظهور الخبث:

---

(١) غوراً وذهاباً في الأرض.

(٢) تحول صورهم لصور قبيحة كالحيوانات من القردة والخنازير.

(٣) رمياً لها من السماء بالحجارة.

(٤) «صحيح الجامع» (رقم ٢١٣٢).

(٥) «صحيح الجامع» (رقم ٨١٤٩).

روى الترمذي عن عائشة؛ قالت: قال رسول الله ﷺ:

«يكون في آخر هٰذه الأمة خسفٌ ومسخٌ وقذفٌ». قالت: قلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم؛ إذا كثر الخبث»[1].

ب ـ عند ظهور المعازف والقينات واستحلال الخمور وشربها:

روى الطبراني عن سهل بن سعد؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ إذا ظهرت المعازف والقينات[2] واستحلَّت الخمر»[3].

وروى الترمذي عن عمران بن الحصين؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«في هٰذه الأمة خسف ومسخ وقذف، إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور»[4].

وروى الطبراني عن أبي أمامة: أن رسول الله ﷺ قال:

«ليبيتَنَّ أقوام من أمتي على أكل ولهو ولعب، ثم ليصبحنَّ قردة وخنازير»[5].

وروى ابن ماجه وابن حبان والطبراني والبيهقي عن أبي مالك الأشعري: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«ليشربنَّ أناسٌ من أمتي الخمر يسمُّونها بغير اسمها، ويُضرَب على

---

(١) «صحيح الترمذي» (رقم ١٧٧٦).

(٢) مفردها قَيْنة، وهي الأمة المغنيَة.

(٣) «صحيح الجامع» (رقم ٣٦٦٥).

(٤) «صحيح الجامع» (رقم ٤٢٧٣).

(٥) «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٦٠٤).

رؤوسهم بالمعازف والقينات، يخسف الله بهم الأرض، ويجْعلُ منهم قردة وخنازير»[1].

جـ ـ عند ترك قضاء حوائج الناس لأجل اللهو وشرب الخمر:

روى البخاري وأبو داود عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري: سمع النبي ﷺ يقول:

«ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحلُّون الحِرَ[2] والحريرَ والخمر والمعازف[3]، ولينزلنَّ أقوام إلى جنب عَلَم[4] يروح عليهم[5] بسارحة[6] لهم، يأتيهم ـ يعني: الفقير ـ لحاجة[7]، فيقولوا: ارجعْ إلينا غداً، فيُبيِّتُهم[8] الله، ويضع[9] العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»[10].

قال شيخنا حفظه الله:

«إن الله عزَّ وجلَّ قد يعاقب بعض الفساق عقوبة دنيوية ماديَّة، فيمسخهم فيقلب صورهم ـ وبالتالي عقولهم ـ إلى بهيمة»[11].

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٥٤٥٤).

(٢) الفرج، والمراد: الزنا.

(٣) جمع معزفة، وهي آلات الملاهي. «فتح».

(٤) الجبل العالي.

(٥) هو الراعي، فالسارحة لا بد لها من حافظ.

(٦) هي الماشية التي تسرح بالغداة لرعيها، وتروح (أي: ترجع) بالعشي إلى مألفها.

(٧) طالب حاجة.

(٨) يهلكهم ليلاً.

(٩) يوقعه عليهم.

(١٠) «فتح الباري» (١٠ / رقم ٥٥٩٠).

(١١) «السلسلة الصحيحة» (١ / ١٤٦).

ثم قال:

«قال الحافظ في «الفتح» في صدد كلامه على المسخ المذكور في الحديث: قال ابن العربي: يحتمل الحقيقة كما وقع للأمم السابقة، ويحتمل أن يكون كناية عن تبدُّل أخلاقهم. قلت (أي الحافظ): والأول أليق بالسياق».

قال شيخنا:

«ولا مانع من الجمع بين القولين كما ذكرنا، بل هو المتبادر من الأحاديث، والله أعلم».

ثم قال حفظه الله:

«وقد ذهب بعض المفسرين في العصر الحاضر إلى أن مسخ بعض اليهود قردة وخنازير لم يكن مسخاً حقيقياً بدنيّاً، وإنما كان مسخاً خُلُقيّاً، وهٰذا خلاف ظاهر الآيات والأحاديث الواردة فيهم، فلا تلتفت إلى قولهم؛ فإنهم لا حجة لهم فيه إلا الاستبعاد العقلي المشعر بضعف الإيمان بالغيب، نسأل الله السلامة».

ثم قال حفظه الله:

«قال الحافظ في «الفتح»: وفي هٰذا الحديث وعيد شديد على من يتحيَّل في تحليل ما يحرم بتغيير اسمه، وأن الحكم يدور مع العلَّة، والعلَّة في تحريم الخمر الإسكار، فمهما وجد الإسكار؛ وجد التحريم، ولو لم يستمر الاسم. قال ابن العربي: هو أصل في أن الأحكام إنما تتعلَّق بمعاني الأسماء لا بألقابها؛ ردّاً على مَن حمله على اللفظ»[1].

د ـ في أهل القدر:

روى أبو داود والترمذي وابن ماجه عن نافع:

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١ / ١٤٦ ـ ١٤٧).

أن رجلًا أتى ابن عمر، فقال: إن فلاناً يقرئك السلام. قال: إنه بلغني أنه قد أحدث[1]، فلا تقرئه مني السلام، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون في أمتي (أو في هٰذه الأمة) مسخ وخسف وقذف، وذٰلك في أهل القدر»[2].

وشرار الأمَّة في آخر الزمان هم الذين يتكلَّمون في القدر.

روى الطبراني في «الأوسط» والحاكم عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أخِّر الكلام في القدر لشرار أمتي في آخر الزمان»[3].

هـ - فيمن يصرُّ على مسابقة الإمام في الركوع والسجود:

روى الشيخان وأصحاب «السنن» عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال محمد ﷺ:

«أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحوِّل الله رأسه رأس حمار»[4].

وفي لفظ: «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل الله صورته صورة حمار»[5].

قال شيخنا حفظه الله:

اختلف العلماء في معنى الوعيد المذكور هنا، فقيل: يُحتمل أن يرجع

---

(1) أي: اخترع بدعة واعتقد بها، وهي القول بنفي القدر.

(2) الذين يقولون: لا قدر.

(3) «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٢٢٦).

(4) «إرواء الغليل» (رقم ٥١٠).

(5) «صحيح الجامع» (رقم ١٣٤١).

ذٰلك إلى أمر معنوي؛ فإن الحمار موصوف بالبلادة، فاستُعير هٰذا المعنى للجاهل بما يجب عليه من فرض الصلاة ومتابعة الإمام، ويرجِّح هٰذا المجاز أن التحويل لم يقع مع كثرة الفاعلين، لكن الحديث ليس فيه ما يدل على أن ذٰلك يقع ولا بد، وإنما يدلُّ على كون فاعله متعرِّضاً لذٰلك، وكون فعله ممكناً لأن يقع عنه ذٰلك الوعيد، ولا يلزم من التعرُّض للشيء وقوع ذٰلك الشيء»[1].

٣ ـ التحذير من سكن البصرة:

روى أبو داود عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال:

«يا أنس! إن الناس يُمصِّرون[2] أمصاراً، وإن مصراً منها يُقال لها البصرة أو البصيرة، فإن مررت بها أو دخلتها؛ فإياك وسباخها[3] وكلَّاءها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها؛ فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف[4] وقوم يبيِّتون يصبحون قردة وخنازير»[5].

٤ ـ الخسف بالجيش الذي يغزو الكعبة:

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ:

«يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض؛ يخسف بأولهم وآخرهم». قلت: يا رسول الله! كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «يُخسَفُ بأولهم وآخرهم، ثم يُبْعَثون على نياتهم»[6].

---

(١) «صحيح الترغيب» (ص ٢٨٠).

(٢) يفتحون.

(٣) مفردها سبخة، وهي الأرض التي تعلوها ملوحة فلا تنبت إلا قليلاً.

(٤) الزلازل.

(٥) «صحيح الجامع» (رقم ٧٨٥٩).

(٦) «فتح الباري» (٤ / رقم ٢١١٨).

وروى أحمد ومسلم والحاكم عن عبيدالله بن القبطية؛ قال: دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبدالله بن صفوان وأنا معهما على أمِّ سلمة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها، فسألاها عن الجيش الذي يخسف به؟ وكان ذٰلك في أيام ابن الزبير، فقالت: قال رسول الله ﷺ:

«يعوذ عائذ بالبيت، فيُبعث إليه بعثٌ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض؛ خسف بهم». فقلت: يا رسول الله! فكيف بمن كان كارهاً؟ قال: «يُخْسَفُ به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيَّته»، وقال أبو جعفر: هي بيداء المدينة[1].

وروى مسلم وأحمد والنسائي وابن ماجه عن حفصة: أنها سمعت النبي ﷺ يقول:

«ليؤمَّنَّ هٰذا البيت جيش يغزونه، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض؛ يُخسف بأوسطهم وينادي أوَّلهم آخرهم، ثمَّ يُخسف بهم، فلا يبقى إلا الشريد الذي يُخبر عنهم»[2].

وروى مسلم عن أم المؤمنين: أن رسول الله ﷺ قال:

«سيعوذ بهٰذا البيت (يعني: الكعبة) قومٌ ليس لهم مَنَعَة ولا عدد ولا عُدَّة، يُبعَثُ إليهم جيش، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض؛ خُسِفَ بهم»[3].

وروى مسلم عن عائشة؛ قالت:

عَبِثَ رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله! صنعت في منامك شيئاً لم تكن تفعله، فقال: «العَجَبُ! إن ناساً من أمَّتي يؤمُّون بالبيت برجلٍ من

---

(١) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٣٠).

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٥٣٥١).

(٣) «صحيح مسلم» مجلد ٩ (١٨ / ٦).

قريش قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء؛ خُسِفَ بهم». فقلنا: يا رسول الله! إن الطريق قد يجْمع الناس. قال: «فيهم المستبصر(١) والمجبور(٢) وابن السبيل(٣)، يهلِكون مهلكاً(٤) واحداً، ويصدرون مصادر شتَّى(٥)؛ يبعثهم الله على نيَّاتهم»(٦).

قال النووي رحمه الله:

«وفي هٰذا الحديث من الفقه: التباعد من أهل الظلم، والتحذير من مجالستهم ومجالسة البغاة ونحوهم من المبطلين؛ لئلا يناله ما يعاقبون به، وفيه أن مَن كثَّر سواد قوم؛ جرى عليه حكمهم في ظاهر عقوبات الدنيا(٧).

٥ ـ الخسف من علامات دنوِّ الساعة واقترابها:

روى أحمد والحاكم في «الكنى» والطبراني عن بقَيْرة الهلالية؛ قالت: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول:

«يا هٰؤلاء! إذا سمعتم بجيش قد خُسِفَ به قريباً؛ فقد أظلَّت(٨) الساعة»(٩).

---

(١) المستبين لذٰلك القاصد له عمداً.

(٢) المكره.

(٣) سالك الطريق معهم وليس منهم.

(٤) يقع الهلاك في الدنيا على جميعهم.

(٥) يبعثون مختلفين على قدر نياتهم، فيجازون بحسبها

(٦) «مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٧).

(٧) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٧).

(٨) دنت واقتربت جدّاً.

(٩) «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٣٥٥).

وفي رواية عنها:

«إذا سمعتم بقوم قد خسف فيهم ها هنا قريباً؛ فقد أظلت الساعة»[1].

٦ ـ الخسوف الكبرى الثلاثة من الآيات الكبرى:

جاء ذٰلك في حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد، وقد مر الحديث معنا في باب الدخان؛ فليراجع هناك، وفيه أن من أشراط الساعة ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب.

٧ ـ الاستعاذة من الخسف:

روى أبو داود وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هٰؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح:

«اللهم إني أسألك العفو[2] والعافية[3] في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي[4]، وآمن روعاتي[5]، واحفظني من بين يديَّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي[6]، وأعوذ بك أن أغتال[7] من تحتي». قال وكيع: يعني: الخسف[8].

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٦١٨).

(٢) محو الذنوب.

(٣) السلامة من الأسقام والبلايا، وقيل: عدم الابتلاء بها والصبر عليها والرضى بقضائها.

(٤) العيوب.

(٥) الفزعات، ومعنى: «آمن روعاتي»؛ أي: ادفع عني خوفاً يقلقني ويزعجني.

(٦) «واحفظني... فوقي»؛ أي: ادفع عني البلاء من الجهات الست؛ لأن كل بلية تصل لإنسان إنما تصله من إحداهن، وبالغ في جهة السفل؛ لرداءة الآفة بها.

(٧) الأخذ غيلة.

(٨) «صحيح ابن ماجه».

المبحث الخامس

خروج النار

ما الـذي بقي لكم أيها الناس من دنياكم؛ لقد انفرط العقد، وتتابعت الآيات، وبدأ الاستعداد لليوم الرهيب، لليوم الذي قال الله فيه:

﴿يَا أَيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وتَرى النَّاسَ سُكَارى ومَا هُمْ بِسُكارَى ولُكِنَّ عَذابَ اللهِ شَديدٌ﴾[1].

يبدأ الاستعداد بالحشر، وذلك بطرد الناس إلى محشرهم، وهو الشام؛ لقـولـه ﷺ في الحـديث الذي رواه أحمد وابن ماجه عن ميمونة بنت سعد، وأخرجه الربعي في «فضائل الشام» عن أبي ذر:

«الشام أرض المحشر والمنشر»[2].

والناس عادة لا يستجيبون لمن يأمرهم باللين؛ إلا من رحم الله، فاقتضت حكمـة الخـالق جلَّ وعلا، أن يستجيبوا قسراً، فيقيِّض الله عز وجل لهم من يطردهم ويفروا من أمامه فزعين؛ يرسل النار؛ تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت حيث باتوا حتى المحشر.

أولاً: النار ناران:

١ ـ نار خرجت وانتهت، وهي التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى.

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال

(١) الحج: ١ و ٢.

(٢) «صحيح الجامع» (رقم ٣٧٢٦).

«لا تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى[1]»[2].

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال النووي: تواتر العلم بخروج هٰذه النار عند جميع أهل الشام.

وقال القرطبي في «التذكرة»: قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة. . . .»[3] إلى آخر نقل الحافظ وصفها في كتاب «فتح الباري»؛ فليراجع.

وبعد أن نقل رحمه الله بعض الأقوال؛ قال:

«والذي ظهر لي أن النار المذكورة في الحديث هي التي ظهرت في نواحي المدينة؛ كما فهمه القرطبي وغيره، وأما النار التي تحشر الناس؛ فنار أخرى»[4].

٢ ـ نارٌ لم تخرج بعد، وهي آخر الأشراط في الحياة الدنيا وأول أشراط الآخرة.

وهٰذه النار هي التي تحشر الناس وجاء في ذٰلك أحاديث؛ منها:

أ ـ ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قال «يُحْشَرُ الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين، واثنان على بعير،

---

(١) بُصرى مدينة معروفة بالشام، وهي مدينة حوران، بينها وبين دمشق نحو ٣ مراحل. النووي

(٢) «مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٣٠).

(٣) «فتح الباري» (١٣ / ٧٩).

(٤) «فتح الباري» (١٣ / ٧٩).

وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار؛ تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا»[1].

وفي هٰذا الحديث فوائد منها:

١) الحشر المذكور في الحديث ـ والله أعلم ـ هو ما يكون قبل الساعة، يُحشر الناس فيه أحياء إلى الشام.

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال الخطابي: هٰذا الحشر يكون قبل قيام الساعة، تُحشَر الناس أحياءً إلى الشام، وأما الحشر من القبور إلى الموقف؛ فهو على خلاف هٰذه الصورة؛ من الركوب على الإبل، والتعاقب عليها»[2].

ويؤيِّد ما ذهب إليه الخطابي أحاديث؛ منها:

ـ حديث ابن عباس الذي رواه البخاري عنه؛ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«إنكم ملاقو الله حفاة عراةً مشاةً غُرلاً[3]»[4].

فقوله في الحديث: «مشاة»؛ يدل على أن الحشر المذكور في الحديث السابق هو غير الحشر بعد القيام من القبور.

ـ حديث معاوية بن حيدة الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم

---

(١) «فتح الباري» (رقم ٦٥٢٢).

(٢) «فتح الباري» (١١ / ٣٧٩).

(٣) قلفاً غير مختونين.

(٤) «فتح الباري» (١١ / رقم ٦٥٢٤).

عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنكم تحشرون رجالاً وركباناً، وتجرُّون على وجوهكم ها هنا»، وأومأ بيده نحو الشام[1].

ـ حديث عبدالله بن عمر الذي رواه الترمذي عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ستخرج نار من نحو حضرموت ـ أو من حضرموت ـ تحشر الناس».
قلنا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال: «عليكم بالشام»[2].

فقولهم: «فما تأمرنا؟». وقوله لهم: «عليكم بالشام»؛ دليل على أن ذٰلك كائن وهم أحياء.

٢) حشر الناس إلى أرض المحشر والمنشر يتم بثلاث طرق:

ـ راغبين راهبين، وينطلقون رغبة ورهبة؛ هرباً من الفتن.

ـ من ينطلقون عندما تشتد الفتن وتتوالى الآيات.

ـ من تحشرهم النار؛ لأنهم استمرُّوا حيث هم، وضاقت سبل انتقالهم إلى المحشر.

وهٰذا يدل على أن النار لا تحشر كل الناس، وإنما تحشر قسماً معيّناً من الناس».

قال الحافظ في «الفتح» نقلاً عن الطيبي:

«الذي ورد في الحديث إنما ورد على القصد من الخلاص من الفتنة،

---

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٢٣٠٢).

(٢) «مشكاة المصابيح» (رقم ٦٢٦٥).

فمن اغتنم الفرصة؛ سار على قسمة من الظهر ويسرة في الزاد؛ راغباً فيما يستقبله، راهباً فيما يستدبره، وهٰؤلاء هم الصنف الأول في الحديث، ومن توانى حتى قلَّ الظهر وضاق عن أن يسعهم لركوبهم؛ اشتركوا وركبوا عقبة، فيحصل اشتراك الاثنين في البعير الواحد، وكذا الثلاثة، ويمكنهم كل من الأمرين، وأما الأربعة في الواحد؛ فالظاهر من حالهم التعاقب، وقد يمكنهم إذا كانوا خفافاً أو أطفالاً، وأما العشرة؛ فبالتعاقب، وسكت عما فوقها؛ إشارة إلى أنها المنتى في ذٰلك، وعما بينها وبين الأربعة؛ اختصاراً، وهٰؤلاء هم الصنف الثاني في الحديث، وأما الصنف الثالث؛ فعبَّر عنه بقوله: «تحشر بقيتهم النار»؛ إشارة إلى أنهم عجزوا عن تحصيل ما يركبونه، ولم يقع في الحديث بيان حالهم، بل يحتمل أنهم يمشون أو يسحبون فراراً من النار التي تحشرهم»[1].

ب ـ ما رواه مسلم وابن ماجه عن حذيفة بن أسيد؛ قال: اطَّلع رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة، فقال:

«. . . ونار تخرج من قعر عدن أبين[2] تسوق الناس إلى المحشر؛ تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا»[3].

هٰذا لفظ ابن ماجه.

وعدن أبين ذكرها رسول الله ﷺ في حديث صحيح، وأنه يخرج منها خير قوم.

روى أبو يعلى والطبراني ـ واللفظ له ـ عن ابن عباس رضي الله عنه؛

---

(١) «فتح الباري» (١١ / ٣٨١).

(٢) مدينة باليمن.

(٣) «صحيح ابن ماجه» (رقم ٣٢٧٨).

قال: قال رسول الله ﷺ:

«يخرج من عدن أبْين اثنا عشر ألفاً، ينصرون الله ورسوله، هم خير من بيني وبينهم»[1].

وقد جاء في حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم:

«. . . وآخر ذٰلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم»[2].

وفي هٰذا الحديث:

١) النار التي تحشر الناس تخرج من قعر عدن.

٢) أنها آخر أشراط الساعة الكبرى المؤذنة بانتهاء الدنيا

ج ـ ما رواه أحمد والبخاري والنسائي عن أنس عن النبي ﷺ؛ قال:

«أما أول أشراط الساعة؛ فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنَّة؛ فزيادة كبد الحوت، وأما الولد؛ فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة؛ نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل؛ نزعت الولد»[3].

وفي هٰذا الحديث:

١) أول أشراط الساعة النار التي تحشر الناس.

---

(١) «رياض الجنة».

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨ / ٢٨).

(٣) «فتح الباري» (٧ / رقم ٣٩٣٨)، وفيه قصة إسلام عبدالله بن سلام رضي الله عنه، وأنَّه وجَّه لرسول الله ﷺ ثلاثة أسئلة لا يعلمها إلا نبي، وفيه أيضاً بيان كذب اليهود، وأنهم قوم بهت كما قال عبدالله بن سلام، وفي الحديث عبرة بالغة لأولٰئك الذين لا يألون جهداً وهم يخطبون ودَّ اليهود.

٢) تحشرهم من المشرق إلى المغرب.

ويبدو في ظاهر الأمر أن هناك تعارضاً بين هٰذا الحديث والذي سبقه من زاويتين:

الأولى: من أين تخرج النار؟

الثانية: أهي أول أشراط الساعة أو آخرها؟

قال الحافظ في «الفتح»:

«وقد أشكل الجمع بين هٰذه الأخبار، وظهر لي في وجه الجمع أن كونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذٰلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله: «تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»؛ إرادة تعميم الحشر، لا خصوص المشرق والمغرب، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق، ويؤيد ذٰلك أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق، وأما جعل الغاية إلى المغرب؛ فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب.

ويحتمل أن تكون النار في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار، وكان ابتداؤها من قبل المشرق، حتى خرب معظمه وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر، وهما من جهة المغرب؛ كما شوهد ذٰلك مراراً من المغل من عهد جنكيز خان ومن بعده، والنار التي في الحديث الآخر على حقيقتها، والله أعلم»[1].

قلت: النار هي آخر أشراط الساعة، وهي كما الحافظ وغيره تبدأ من قعر عدن، ثم تنتشر وتحشر الناس من المشرق إلى المغرب.

(١) «فتح الباري» (١١ / ٣٧٨ - ٣٧٩).

وهي نار واحدة؛ فهي آخر الأشراط المؤذنة بانتهاء الدنيا وأول الأشراط المؤذنة ببدء الآخرة.

ويؤيِّد ذٰلك ما رواه الطيالسي عن أنس؛ بلفظ: «أول شيء يحشر الناس نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب»[1].

والحشر هو أول مراحل الآخرة، وبذٰلك يرتفع الإشكال، والحمد لله على توفيقه.

* * * * *

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٢٥٦٨).

المبحث السادس

الريح التي تقبض أرواح المؤمنين

لقد آن للمؤمنين أن يستريحوا من الأهوال استعداداً ليوم الفزع الأكبر، لقد توالت عليهم الآيات الكبرى من أشراط الساعة، وثبتهم الله على الحق ونصره؛ فهم لا زالوا على الحق حتى تقبضهم الريح الليِّنة بأمر الله عز وجل.

١ - من أين تُبعث هٰذه الريح:

أ - روى مسلم والحاكم وغيرهما عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله تعالى يبعث ريحاً من اليمن أَلْيَنَ من الحرير؛ فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته»[١].

وفي هٰذا الحديث فوائد:

١) بيان للمذهب الصحيح أن الإيمان يزيد وينقص[٢].

٢) إشارة إلى الرفق بالمؤمنين والإكرام لهم، وذٰلك بإرسال هٰذه الريح الليِّنة لقبض أرواحهم[٢].

ب - وروى مسلم من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وفيه:

«... ثم يرسل الله عزَّ وجلَّ ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرَّة من خير أو إيمان؛ إلا قبضته»[٣].

---

[١] «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢ / ١٣٢).

[٢] «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢ / ١٣٢ - ١٣٣).

[٣] «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٥٢).

ويبدو بين الحديثين تعارض، وليس كذٰلك والحمد لله، بل يمكن أن يكون هناك ريح من قبل الشام تقبض روح كل مؤمن بعد عيسى عليه السلام، والأخرى من قبل اليمن تقبض روح كل مؤمن موجود، وذٰلك قبل قيام الساعة مباشرة.

وجمع الإمام النووي رحمه الله بين الحديثين، فقال:

«يُحتمل أنهما ريحان شاميَّة ويمانية، ويحتمل أن مبدأها من أحد الإقليمين، ثمَّ تصل الآخر وتنتشر عنده، والله أعلم»[1].

٢ ـ لا يمنع من هٰذه الريح شيء:

ففي حديث عبدالله بن عمرو:

«. . . حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل؛ لدخلته عليه؛ حتى تقبضه»[2].

٣ ـ كيف تقبضهم الريح:

ففي حديث النواس بن سمعان:

«. . . فبينما هم كذٰلك؛ إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم»[3].

٤ ـ صفات هٰذه الريح:

ففي حديث مسلم عند عبدالله بن عمرو:

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢ / ١٣٣).

(٢) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٥٢).

(٣) «مختصر مسلم» (رقم ٢٠٤٨).

«... ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك، مسُّها مسُّ الحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبَّةٍ من إيمان؛ إلا قبضته»[1].

* * * * *

(١) «مختصر مسلم» (رقم ١٠٩٦)

المبحث السابع

تخريب الكعبة حرسها الله

خلت الأرض ممَّن يقول لا إله إلا الله، وبقي شرار الخلق، ولم يبق على الأرض ما يدلُّ على لا إله إلا الله إلا الكعبة وما أذن الله ببقائه.

فلا يروق الأمر لشرار الخلق، وهم الظاهرون على الأرض، فيتحيَّنون الفرصة؛ لينقضُّوا على بيت الله؛ ليزيلوا بذلك أي أثر للإسلام على الأرض.

ولما كان الذهب هو الذي يخلب الألباب، والكعبة تضمُّ بين ثناياها كنزاً عظيماً، والهوى هو الآمر الناهي، فيأتي الأسود الأفحج يقلعها حجراً حجراً.

١ ـ صاحبها ذو السويقتين من الحبشة قبَّحه الله:

روى الشيخان والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«يخرِّب الكعبة ذو السويقتين[١] من الحبشة»[٢].

٢ ـ صفاته:

أسود أفحج.

روى أحمد والبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ:

«كأني به أسود أفحج، يقلعها حجراً حجراً»[٣].

---

(١) له ساقان دقيقان.

(٢) «فتح الباري» (٣ / رقم ١٥٩٦).

(٣) «فتح الباري» (٣ / رقم ١٥٩٥).

٣ ـ أمر رسول الله لنا بترك الحبشة اتقاء شرهم:

روى أبو داود والحاكم عن ابن عمرو عن النبي ﷺ؛ قال:

«اتركوا الحبشة ما تركوكم؛ فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة»[1].

٤ ـ هلكة العرب باستحلالهم للبيت، وتخرِّبه الحبشة، فلا يعمر أبداً.

روى أحمد عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«يبايع لرجل ما بين الركن والمقام، ولن يستحلَّ البيت إلا أهله، فإذا استحلُّوه؛ فلا يُسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة، فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً، وهم الذين يستخرجون كنزه»[2].

وهٰذا آخر ما تيسر لي جمعه من أشراط الساعة، والحمد لله رب العالمين، وأسأله عزَّ وجل أن يغفر لي تقصيري وما بدر مني من أخطاء إنه غفور رحيم.

* * * * *

(١) «صحيح الجامع» (رقم ٩٠).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (٢ / رقم ٥٧٩).

بعض الأحاديث التي لا تصح في أشراط الساعة

وردت أحاديث كثيرة في الفتن وأشراط الساعة، وهي أحاديث لا تصمد أمام النقد الحديثي الصحيح؛ فهي إما ضعيفة أو موضوعة، ومع ذٰلك؛ فهي مشتهرة على ألسنة الناس، بل هي عندهم من قول رسول الله ﷺ، فكان عليَّ أن أبين شيئاً من هٰذه الأحاديث؛ ليجتنبها الناس خاصة، وأن موضوع الكتاب على صلة بهٰذه الأحاديث.

ومن هٰذه الأحاديث:

١ - «المهدي من ولد العباس عمي»[1]:

قال شيخنا:

«موضوع. أخرجه: الدارقطني في «الأفراد» من طريق محمد بن الوليد القرشي: ثنا أسباط بن محمد وصِلة بن سليمان الواسطي عن سليمان التيمي عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عثمان بن عفان مرفوعاً.

وقال الدارقطني: غريب، تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم بهٰذا الإسناد».

قال شيخنا:

«قلت: وهو متهم بالكذب. قال ابن عدي: كان يضع الحديث. وقال أبو عروبة: كذاب.

وبهٰذا أعلَّه المناوي في «الفيض» نقلاً عن ابن الجوزي، وبه تبيَّن خطأ السيوطي في إيراده لهٰذا الحديث في (الجامع الصغير)».

---

(١) «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١ / رقم ٨٠).

قال شيخنا:

«قلت: ومما يدلُّ على كذب الحديث أنه مخالف لقوله ﷺ: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»، أخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» وكذا العقيلي من طريق زياد بن بيان عن علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة مرفوعاً.

وهٰذا سند جيد، رجاله كلهم ثقات، وله شواهد كثيرة؛ فهو دليل واضح على ردِّ هٰذا الحديث»[1].

٢ - «يا عباس! إن الله فتح هٰذا الأمر بي، وسيختمه بغلام من ولدك يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وهو الذي يصلي بعيسى»[2].

قال شيخنا:

«موضوع. أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» في ترجمة أحمد بن الحجاج بن الصلت، وقال: حدثنا سعيد بن سليمان: حدثنا خلف بن خليفة عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عمار بن ياسر مرفوعاً».

قال شيخنا:

«قلت: وهٰذا سند رجاله كلهم ثقات معروفون من رجال مسلم غير أحمد بن الحجاج هٰذا، ولم يذكر فيه الخطيب جرحاً ولا تعديلاً.

وقد اتهمه الذهبي بهٰذا الحديث، فقال: رواه بإسناد الصحاح مرفوعاً، فهو آفته، والعجيب أن الخطيب ذكره في «تاريخه» ولم يضعِّفه، وكأنه سكت عن حاله لانتهاك حالهِ.

---

(١) «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١ / رقم ٨٠).

(٢) «سلسلة الأحاديث الضعفية» (١ / رقم ٨١).

ووافقه الحافظ في «لسان الميزان».

والحديث أورده السيوطي في «اللآلىء المصنوعة»، وسكت عليه، ومن هنا يتبين لك الفرق بين الذهبي والسيوطي؛ فإن الأول حافظ نقَّاد والآخر جمَّاع نقال، وهٰذا هو السر في كثرة خطئه وتناقضه في كتبه».

قال شُيخنا:

«والحديث أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» من حديث ابن عباس نحوه، وقال: موضوع، المتهم به الغلابي. وأقرَّه السيوطي في (اللآلىء)».

قال شيخنا:

«وأما صلاة المهدي بعيسى عليه السلام؛ فصحيح ثابت في أحاديث كثيرة»[1].

٣ ـ «ألا أبشرك يا أبا الفضل[2]؟ إن الله عز وجل افتتح بي هٰذا الأمر وبذريتك يختمه»[3].

قال شيخنا:

«موضوع. أخرجه أبو نعيم في «الحلية» من طريق لاهز بن جعفر التيمي: حدثنا عبدالعزيز بن عبدالصمد العمي، أخبرني علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً، وقال: تفرَّد به لاهز بن جعفر وهو حديث عزيز».

---

(١) «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١ / رقم ٨١).

(٢) هو العباس عم رسول الله ﷺ.

(٣) «السلسلة الضعيفة» (١ / رقم ٨٢).

قال شيخنا

«قلت: وهو متهم. قال فيه ابن عدي: بغدادي مجهول يحدث عن الثقات بالمناكير. ثم ساق له حديثاً في فضل علي، ثم قال ابن عدي: وهٰذا باطل. قال الذهبي: إي والله؛ هٰذا من أكبر الموضوعات، وعليٌّ؛ فلعن الله من لا يحبه.

والحديث أورده في «كنز العمال» برواية أبي نعيم في «الحلية» عن أبي هريرة بغير هٰذا اللفظ، ولم أعثر عليه الآن في «الحلية»، فالله أعلم».

قال شيخنا:

«تنبيه: إذا علمت حال هٰذا الحديث والذي قبله؛ فلا يليق نصب الخلاف بينهما وبين الحديث الصحيح المتقدم قريباً: «المهدي من ولد فاطمة»؛ لصحته وشدَّة ضعف مخالفه (انظر: «البيانات» للأستاذ المودودي)، وعليه؛ لا مبرر لمحاولة التوفيق بينهما؛ كما فعل بعض المتقدمين، والله تعالى هو الموفق، لا إلٰه سواه»[1].

٤ - «تخرج الدابَّة ومعها عصا موسى عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام، فتخطم الكافر بالخاتم، وتجلو وجه المؤمن بالعصا، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون على خوان، فيقول هٰذا: يا مؤمن! ويقول هٰذا: يا كافر!»[2].

قال شيخنا:

«منكر. أخرجه الطيالسي وأحمد والترمذي وابن ماجه والثعلبي في

(١) «السلسلة الضعيفة» (١ / رقم ٨٢).

(٢) «السلسلة الضعيفة» (٣ / رقم ١١٠٨).

«تفسيره» كلهم من طريق عن علي بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (فذكره).

وقال الترمذي: حديث حسن».

قال شيخنا:

«قلت: وفيه علتان:

الأولى: أوس بن خالد: ذكره البخاري في الضعفاء، وقال ابن القطان له عن أبي هريرة ثلاثة أحاديث منكرة، وليس له كبير شيء. كذا في «الميزان» وفي «التقريب»: مجهول.

الأخرى: علي بن زيد، وهو ابن جدعان: ضعيف»[1].

٥ ـ «تخرج الدابَّة من أجياد، فيبلغ صدرها الركن اليمانيّ، ولمَّا يخرج ذنبها بعد، وهي دابَّة ذات وبر وقوائم»[2].

قال شيخنا:

«ضعيف. أخرجه الواحدي في «الوسيط» والحافظ الذهبي في «الميزان» من طريق فرقد بن الحجاج القرشي؛ قال: سمعت عقبة بن أبي الحسناء اليماني؛ قال: سمعت أبا هريرة يقول: (فذكره مرفوعاً)».

قال شيخنا:

«قلت: وهٰذا إسناد ضعيف؛ فإن فرقداً في عداد مجهولي الحال، وشيخه عقبة مجهول العين، وفي ترجمته ساق الذهبي الحديث وقال فيه: مجهول،

---

(١) «السلسلة الضعيفة» (٣ / رقم ١١٠٨).

(٢) «السلسلة الضعيفة» (٣ / رقم ١١٠٩).

رواه الكناني عن أبي حاتم الرازي. ثم قال أبو حاتم: روى عنه فرقد بن الحجاج، مجهول. وكذا قال ابن المديني عقبه: مجهول. قلت: أما فرقد؛ فقد حدَّث عنه ثلاث ثقات، وما علمت فيه قدحاً».

قال شيخنا:

«قلت: وقد ترجم الاثنين ابن أبي حاتم، وقال كل منهما عن أبيه: شيخ. وأما ابن حبان؛ فأوردهما في «الثقات»، وقال في الأول منهما فرقد: يخطىء»[1].

٦ - «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة؛ حلَّ بها البلاء: إذا كان المغنمُ دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وأطاع الرجل زوجته وعقَّ أمه، وبرَّ صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمور، ولُبِس الحرير، واتُّخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أوَّلها؛ فليترقَّبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً ومسخاً»[2].

قال شيخنا:

«ضعيف الإسناد. أخرجه الترمذي والخطيب من طريق الفرج بن فضالة الشامي عن يحيى بن سعيد عن محمد بن علي عن علي بن أبي طالب مرفوعاً. وقال: حديث غريب، والفرج بن فضالة قد تكلم فيه بعض أهل الحديث، وضعفه من قبل حفظه».

قال شيخنا:

---

(١) «السلسلة الضعيفة» (٣ / ٢٣٣ - ٢٣٤)

(٢) «السلسلة الضعيفة» (٣ / رقم ١١٧٠).

«قلت: وفي ترجمته من «الميزان»: وقال البرقاني: سألت الدارقطني عن حديثه هٰذا؟ فقال: باطل. فقلت: مِن فرج؟ قال: نعم، ومحمد هو ابن الحنفية».

قال شيخنا:

«وفي «فيض القدير»: وقال العراقي والمنذري: ضعيف لضعف فرج بن فضالة، وقال الذهبي: منكر، وقال ابن الجوزي: مقطوع واهٍ، لا يحل الاحتجاج به».

قال شيخنا:

«قلت: وقد رواه الفرج بإسناد آخر بزيادات كثيرة فيه، وهو الآتي بعده»(1).

٧ - «من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة: إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا، واستحلُّوا الكذب، واستخفوا الدماء، واستعملوا البناء، وباعوا الدين بالدنيا، وتقطعت الأرحام، ويكون الحكم ضعفاً، والكذب صدقاً، والحرير لباساً، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وموت الفجأة، وائتمن الخائن، وخُوِّن الأمين، وصُدِّق الكاذب، وكذِّب الصادق، وكَثُر القَذْف، وكان المطر قيظاً، والولد غيظاً، وفاض اللئام فيضاً، وغاض الكرام غيضاً، وكان الأمراء فجرة، والوزراء كذبة، والأمناء خونة، والعرفاء ظلمة، والقرَّاء فسقة، إذا لبسوا مسوك الضأن، قلوبهم أنتن من الجيفة وأمرُّ من الصبر، يُغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود الظلمة، وتظهر الصفراء - يعني: الدنانير -، وتطلب البيضاء - يعني: الدراهم -، وتكثر الخطايا، وتغلّ

(1) «السلسلة الضعيفة» (٣ / ٣١٢).

الأمراء، وحلِّيت المصاحف، وصوِّرت المساجد، وطُوِّلت المنائر، وخربت القلوب، وشُربت الخمور، وعُطِّلت الحدود، وولدت الأمة ربَّتها، وترى الحفاة العراة وقد صاروا ملوكاً، وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وحُلِف بالله من غير أن يُستحلف، وشهد المرء من غير أن يُستشهد، وسُلِّم للمعرفة، وتُفُقِّه لغير الدين، وطلبت الدنيا بعمل الآخرة، واتُّخذ المغنم دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وكان زعيم القوم أرذلهم، وعقَّ الرجل أباه، وجفا أمَّه، وبرَّ صديقه، وأطاع زوجته، وعلت أصوات الفسقة في المساجد، واتُّخذت القينات والمعازف، وشُربت الخمور في الطرق، واتُّخِذ الظلم فخراً، وبيعَ الحكم، وكَثُرت الشُّرط، واتُّخذ القرآن مزامير، وجلود السباع صفافاً، والمساجد طرقاً، ولعن آخر هٰذه الأمة أولها، فليتَّقوا عند ذٰلك ريحاً حمراء وخسفاً ومسخاً وآيات»[1].

قال شيخنا:

«ضعيف. أخرجه أبو نعيم في «الحلية» من طريق سويد بن سعيد عن فرج بن فضالة عن عبدالله بن عبيد بن عمير الليثي عن حذيفة بن اليمان مرفوعاً.

قال أبو نعيم: غريب من حديث عبدالله بن عبيد بن عمير، لم يروه عنه فيما أعلم إلَّا فرج بن فضالة».

قال شيخنا:

«قلت: وهو ضعيف كما قال الحافظ العراقي، وفيه علَّة أخرى، وهي الانقطاع؛ فقد قال أبو نعيم في ترجمة عبدالله بن عبيد هٰذا: أرسل عن أبي الدرداء وحذيفة وغيرهم».

---

(١) «السلسلة الضعيفة» (٣ / رقم ١١٧١).

قال شيخنا

«والحديث مما فات السيوطي والمناوي؛ فلم يورداه في جامعيهما»[1].

٨ ـ «أبشركم بالمهدي، يُبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً، فقال له رجل: ما صحاحاً؟ قال: بالسويَّة بين الناس. قال: ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غنىً، ويسعهم عدله، حتى يأمر منادياً، فينادي: من له في مال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل. فيقول: ائت السدَّان ـ يعني: الخازن ـ، فقل له: إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً. فيقول له: احثُ، حتى إذا جعله في حجره، وأحرزه؛ ندم، فيقول: كنت أجشع أمة محمداً نفساً، أوَ عَجِزَ عني ما وسِعَهم. قال: فيردّه، فلا يُقبل منه، فيُقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه، فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين، أو تسع سنين، ثم لا خير في العيش بعده، أو قال: لا خير في الحياة بعده»[2].

قال شيخنا:

«ضعيف. أخرجه أحمد من طريق المعلَّى بن زياد: ثنا العلاء بن بشير عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (فذكره)».

قال شيخنا

«قلت: وهٰذا إسناد ضعيف، العلاء بن بشير مجهول؛ كما قال ابن

---

(١) «السلسلة الضعيفة» (٣ / ٣١٤).

(٢) «السلسلة الضعيفة» (٤ / رقم ١٥٨٨)

المديني، وتبعه الحافظ وغيره؛ لم يرو عنه غير المعلّى بن زياد؛ كما كان في «الميزان».

نعم؛ قد جاء الحديث من طريق أخرى عن أبي الصديق، ولكنه مختصر، ليس فيه هٰذا التفصيل الذي رواه العلاء، وإسناده صحيح.

٩ ـ «أحذِّركم سبع فتن تكون بعدي: فتنةً تقبل من المدينة، وفتنةً من مكة، وفتنةً تقبل من اليمن، وفتنةً تقبل من الشام، وفتنةً تقبل من المشرق، وفتنة تقبل من المغرب، وفتنة من بطن الشام، وهي السفياني»(١).

قال شيخنا:

«ضعيف جدّاً. أخرجه الحاكم من طريق نعيم بن حماد: ثنا يحيى بن سعيد: ثنا الوليد بن عياش أخو أبي بكر بن عياش عن إبراهيم عن علقمة؛ قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: قال لنا رسول الله ﷺ: (فذكره). قال: فقال ابن مسعود: منكم من يدرك أولها، ومن هٰذه الأمة من يدرك آخرها. قال الوليد بن عياش: فكانت فتنة المدينة من قبل طلحة والزبير، وفتنة مكة فتنة عبدالله بن الزبير، وفتنة الشام من قبل بني أمية، وفتنة المشرق من قبل هٰؤلاء.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

ورده الذهبي بقوله: قلت: هٰذا من أوابد نُعيم؛ أي: من غرائبه وعجائبه».

قال شيخنا:

«قلت: هو متَّهم بالكذب؛ فالحديث ضعيف جدّاً، كما يُشعر بذٰلك قول الذهبي هٰذا»(١).

---

(١) «السلسلة الضعيفة» (٤ / رقم ١٨٧٠ / ٣٥٠).

١٠ ـ «الآيات بعد المئتين»[1].

قال شيخنا:

«موضوع. رواه ابن ماجه والعقيلي في «الضعفاء» والقطيعي في «جزء الألف دينار» والحاكم عن محمد (هو ابن يونس بن موسى) قال: ثنا عون بن عمارة العنبري قال: ثنا عبدالله بن المثنى عن ثمامة عن أنس بن مالك عن أبي قتادة مرفوعاً.

وقال العقيلي: قال البخاري: عون بن عمارة تعرف وتنكر، ولا يُعرف إلا به، وقد روي عن ابن سيرين من قوله».

قال شيخنا:

«قلت: وتمام كلام البخاري بعد أن ساق الحديث: «فقد مضى مئتان ولم يكن من الآيات شيء».

ولهٰذا جزم ابن القيم في «المنار» بوضعه.

وأما الحاكم؛ فقال: صحيح على شرط الشيخين».

قال شيخنا:

«قلت: وهٰذا من أوهامه الفاحشة؛ فإن عوناً هٰذا مع ضعفه لم يخرِّج له الشيخان شيئاً.

وقد تعقَّبه الذهبي بقوله: قلت: أحسبه موضوعاً، وعون ضعَّفوه.

قال المناوي عقبه: وسبقه إلى الحكم بوضعه ابن الجوزي، وتعقَّبه المصنف، فما راح ولا جاء.

---

(١) «السلسلة الضعيفة» (٤ / رقم ١٩٦٦ / ٤٣٧).

وقال في «التيسير»: صحَّحه الحاكم، فأنكروا عليه، وقالوا: واهٍ جدّاً، بل قيل بوضعه»[1].

١١ ـ «يخرج الدجال على حمار أقمر، ما بين أذنيه سبعون عاماً، معه سبعون ألف يهودي، عليهم الطيالسة بالخضر حتى ينزلوا كومَ ابن الحمراء»[2].

قال شيخنا:

«ضعيف جدّاً. رواه الحسن بن رشيق العسكري في «المنتقى من الأمالي»: حدثنا علي بن سعيد بن بشير: ثنا عبدالعزيز بن يحيى: ثنا سليمان بن بلال عن محمد أبو عقبة عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً».

قال شيخنا:

«قلت: وهٰذا إسناد ضعيف جدّاً، عبدالعزيز بن يحيى المدني؛ قال الحافظ: متروك، كذَّبه إبراهيم بن المنذر.

والحديث أورده في «المشكاة» دون قوله: «معه سبعون ألف ملك»، وقال: رواه البيهقي في كتاب (البعث والنشور)».

قال شيخنا:

«قلت: وهٰذه الزيادة في «صحيح مسلم» عن أنس بلفظ: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة»[3].

وفي حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ رأى الدجال في صورته رؤيا عين

---

(١) «السلسلة الضعيفة» (٤ / ٤٣٧ و٤٣٨)

(٢) «السلسلة الضعيفة» (٤ / رقم ١٩٦٨).

(٣) سبق تخريجه.

ليس رؤيا منام، فسُئل النبي ﷺ عن الدجَّال؟ فقال: «رأيته فيلمانيّاً أقمر هجاناً»[1]، أخرجه أحمد بسند حسن».

قال شيخنا:

«وقد جاءت الجملة الأولى في حديث آخر إسناده خير من هٰذا دون قوله: «أقمر»، ولكنه ضعيف أيضاً، مع الاختلاف في بعد ما بين أذني الحمار»[2].

١٢ ـ «يخرج الدجال، في خفَّة من الدين، وإدبار من العلم، وله أربعون يوماً يسيحها، اليوم كالسنة، واليوم كالشهر، واليوم كالجمعة، ثم سائر أيامه مثل أيامكم، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً، يأتي الناس، فيقول: أنا ربكم، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه ك ف ر، يقرأه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب، يمرُّ بكل ماء ومنهل، إلا المدينة ومكة، حرَّمهما الله عليه، وقامت الملائكة بأبوابهما»[3].

قال شيخنا:

«ضعيف. أخرجه أحمد وابن خزيمة في «التوحيد» والحاكم من طريق إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (فذكره).

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي».

قال شيخنا:

«قلت: أبو الزبير مدلِّس، وقد عنعنه؛ فهي علَّة الحديث، وقد سكت

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) «السلسلة الضعيفة» (٤ / ٤٣٩).

(٣) «السلسلة الضعيفة» (٤ / رقم ١٩٦٩ / ٤٣٩ ـ ٤٤٠).

عنهـا في «المجمع»، وادَّعى أنه رواه أحمد بإسنادين، وإنما روى منه قوله: «مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن»[1]، أخرجه من طريق حسين بن واقد: حدَّثني أبو الزبير: ثنا جابر؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ (فذكره)».

قال شيخنا:

«وإسناده جيد، وهٰذا القدر منه صحيح، بل متواتر، جاء عن جمع من الصحابة؛ منهم أنس وبعض أصحاب النبي ﷺ رواهما مسلم وابن عمر عند ابن حبان، وانظر: «الفتح»، و«المجمع».

وقوله: «يأتي الناس...» إلخ ثابت في أحاديث صحيحة مشهورة»[1].

* * * * *

---

(١) «السلسلة الضعيفة» (٤ / رقم ١٩٦٩/ ٤٣٩، ٤٤٠).

الفهارس

فهرس الآيات

* * * * *

فهرس الأحاديث القولية والفعلية

طرف الحديث | الصفحة

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف لا

حرف الياء

* * * * *

فهرس الآثار الموقوفة

* * * * *



فهرس الأحاديث الضعيفة والموضوعة

* * * * *

فهرس المراجع

أ ـ القرآن الكريم.

ب ـ المراجع الأخرى.

١ ـ «الأدب المفرد»، الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، مراجعة محمد هشام البرهاني، المطبعة العصرية ومكتبتها، الإمارات العربية.

٢ ـ «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»، لشيخنا حافظ الوقت محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية.

٣ ـ «أشراط الساعة»، الأخ يوسف بن عبدالله بن يوسف الوابل، دار طيبة، مكتبة ابن الجوزي، الطبعة الأولى.

٤ ـ «الإشاعة لأشراط الساعة»، الشريف محمد بن رسول الحسيني البرزنجي ثم المدني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥ ـ «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، الإمام ابن قيم الجوزية، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان.

٦ ـ «البداية والنهاية»، ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة.

٧ ـ «تاريخ الأمم والملوك»، الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٨ ـ «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد»، العلامة محمد ناصر الدين الألباني، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثانية.

٩ - «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.

١٠ - «ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير وزيادته»، عوني الشريف وعلي حسن عبدالحميد، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.

١١ - «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، المحدث الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي، تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة.

١٢ - «تهذيب التهذيب»، الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

١٣ - «تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل»، الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، إعداد وتحقيق خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٤ - «تفسير القرآن العظيم»، ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٥ - «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام»، محمد ناصر الدين الألباني.

١٦ - «دلائل النبوة»، لأبي نعيم الأصبهاني، دار النفائس، تحقيق الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس.

١٧ - «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة»، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

١٨ - «الرد على من أنكر أحاديث المهدي».

١٩ - «رسالة أبي داود إلى أهل مكة في وصف سننه»، لأبي داود سليمان بن الأشعث حققها وعلّق عليها وقدّم لها الدكتور محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي.

٢٠ - «رياض الجنّة في الرّد على أعداء السنّة»، أبو عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

٢١ - «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها محمد ناصر الدين

الألباني.
المجلد الأول والثاني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة.
المجلد الثالث، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى.
المجلد الرابع، المكتبة الإسلامية، عمان، والدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى.

٢٢ ـ «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء»، محمد ناصر الدين الألباني.
المجلد الأول، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة.
المجلد الثاني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الطبعة الثانية.
المجلد الثالث والرابع، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.

٢٣ ـ «سنن الدارمي»، أبو محمد عبد الله بن عبدالرحمن ابن الفضل بن بهرام الدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٤ ـ «سنن أبي داود»، الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، دار الفكر، مراجعة وضبط وتعليق محيي الدين عبدالحميد.

٢٥ ـ «السنة»، للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، ومعه «ظلال الجنّة في تخريج السنّة» بقلم محمّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية.

٢٦ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، للعلامة ابن أبي العز الحنفي، حققها وراجعها جماعة من العلماء، خرّج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة.

٢٧ ـ «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، القاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي»، تحقيق محمد أمين قرّه علي ورفقاه.

٢٨ ـ «صحيح الترغيب والترهيب»، الحافظ المنذري اختيار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.

٢٩ ـ «صحيح الجامع الصغير وزيادته»، الطبعة المجددة والمنقحة (مجلدان)، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، «صحيح الجامع الصغير وزيادته»، ٣ مجلدات،

المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية.

٣٠ - «صحيح سنن الترمـذي»، محمد ناصر الدين الألباني، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، أشرف على طباعته وفهرسته زهير الشاويش.

٣١ - «صحيح سنن ابن ماجـه»، محمد ناصر الدين الألباني، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، توزيع المكتب، بيروت، الطبعة الأولى.

٣٢ - «صحيح مسلم بشرح النووي»، دار إحياء التراث العربي.

٣٣ - «الطبقات الكبرى»، ابن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر.

٣٤ - «عقد الدرر في إخبار المهدي المنتظر»، العلامة يوسف بن يحيى بن علي بن عبدالعزيز المقدسي الشافعي السلمي، حققه وراجع نصوصه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه الشيخ مهيب بن صالح بن عبدالرحمن البوريني، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى.

٣٥ - «فتـح المغيث شرح ألفية الحـديث للعـراقي»، شمس الـدين محمـد بن عبدالرحمن السبخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٦ - «الفتن»، أحمد عزالدين البيانوني رحمه الله تعالى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

٣٧ - «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً وأشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٨ - «فيض القـدير شرح الجـامـع الصغير»، العـلامـة المحـدث محمـد المدعو بعبدالرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٩ - «فضائل دمشق والشام»، الربعي، ومعه مناقب الشام وأهله لابن تيمية، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة.

٤٠ - «القنـاعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة»، لأبي الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع.

٤١ ـ «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر».

٤٢ ـ «لسان العرب»، ابن منظور، نسّقه وعلّق عليه ووضع فهارسه علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٤٣ ـ «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان»، جمعة محمد فؤاد عبدالباقي، راجعه الدكتور عبدالستار أبو غدة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، إدارة الشؤون الإسلامية والتراث الإسلامي، المطبعة العصرية، الكويت.

٤٤ ـ «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المرضية في عقيدة الفرقة المرضية»، محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، ومكتبة أسامة، الرياض.

٤٥ ـ «مختصر صحيح مسلم»، الحافظ المنذري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، إحياء التراث الإسلامي، الدار الكويتية للطبع والنشر والتوزيع.

٤٦ ـ «المستدرك على الصحيحين»، لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري، وبذيله «التلخيص» للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٤٧ ـ «مجموع الفتاوى»، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، وساعده ابنه محمد، تصوير الطبعة الأولى.

٤٨ ـ «معجم مفردات القرآن العظيم»، جمع وإعداد عبدالمعين محمود عبارة، عني بطبعه ونشره خادم العلم عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.

٤٩ ـ «المعجم الوسيط»، الدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور عبدالحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد، عني بطبعه ونشره خادم العلم عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.

٥٠ ـ «المنار المنيف في الصحيح والضعيف»، ابن قيم الجوزية، حقق أحاديثه محمود مهدي استانبولي.

٥١ ـ «المسيح المنتظر وتعاليم التلمود»، الدار السعودية للنشر والتوزيع.

٥٢ ـ «المهدي حقيقة لا خرافة»، محمد بن أحمد بن إسماعيل، المدرسة السلفية، الإسكندرية.

٥٣ ـ «المهدي المنتظر»، لأبي الفضل عبدالله بن محمد بن الصديق الغماري، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى.

٥٤ ـ «نصب الراية لأحاديث الهداية»، الإمام الحافظ البارع العلامة جمال الدين أبي محمد عبدالله بن يوسف الحنفي الزيلعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.

٥٥ ـ «نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم»، تحقيق محمد فهيم أبو عبية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، الطبعة الأولى.

٥٦ ـ «اليوم الآخر» [سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة]، (١) القيامة الصغرى، الدكتور عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح.

* * * * *

كتب ننصحك بقراءتها لتحذر فرق الضلال

١ ـ «بيان مذهب الباطنية وبطلانه»، منقول من كتاب «قواعد عقائد آل محمد»، تأليف محمد بن الحسن الديلمي، مكتبة المعارف، الرياض.

٢ ـ «تبديد الظلام وتنبيه النيام»، تأليف إبراهيم سليمان الجبهان، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣ ـ «التصـوف، المنشـأ والمصادر»، تأليف إحسان إلهي ظهير، نشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.

٤ ـ «رجال الشيعة في الميزان»، تأليف عبدالرحمن عبدالله الزرعي، دار الأرقم، الكويت.

٥ ـ «الشيعـة وأهـل البيت»، تأليف إحسان إلهي ظهير، نشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.

٦ ـ «الشيعة والتشيع، فرقٌ وتاريخ»، تأليف إحسان إلهي ظهير، نشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.

٧ ـ «العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ»، للإمام القاضي أبي بكر بن العربي المالكي رحمه الله، حقّقه وعلّق حواشيه العلامة الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله، وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمود مهدي استانبولي، وثّقه وزاد في تحقيقه والتعليق عليه المكتب السلفي لتحقيق التراث بإشراف الدكور محمد جميل غازي

رحمه الله.

٨ ـ «الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنّة»، تأليف عبدالرحمن عبدالخالق، مكتبة ابن تيمية، الكويت.

٩ ـ «كشف الأسرار»، روح الله الخميني، قدّم له د. محمد أحمد الخطيب، كلية الشريعة في الجامعة الأردنية، دار عمار للنشر والتوزيع.

١٠ ـ «مختصر التحفة الاثني عشرية»، شاه عبدالعزيز غلام حكيم الدهلوي، نقله من الفارسية إلى العربية الشيخ الحافظ غلام محمد بن محيي بن عمر الأسلمي، اختصره وهذبه علاّمة العراق محمود شكري الآلوسي.

١١ ـ «وجاء دور المجوس، الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية»، د. عبدالله محمد الغريب.

* * * * *

فهرس الموضوعات

* * * * *